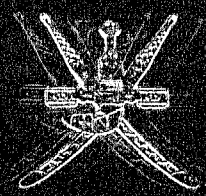

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب
تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من تأليف
الشيخ العالم العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

الجزء الأول

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب
تمهيد قواعد الإيمان
وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من جوابات
الشيخ العالم العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م

المقـــدمة

قيـد بســـفر قواعـد الايمـــان
لشـــوارد الأحـكام والأديـــان

وارسب ببحـر العـلم تلق جواهـرا
تحشـــو بهـن مســـامع الآذان

واستجلى للأنـــوار من أنـــواره
تجلو بهـن غشـــاوة الأذهـــان

واجعـله سـلطانا الى سـبل الهـدى
تقمـع به لغـــواية الشـــيطان

وأعظم بجامعنـــا الكبـير فانـــه
علـم الهـدى ودلالـة الحـــيران

تجـــدن بـــه ما شئت من حـكم ومن
حـــكم ومرفقـــه ومن تبيـــان

فالثم شـــذى أزهـــاره واقطـف جنى
أثمـــاره وارتـــع بروض بيـــان

ســـفر هو البحـر المحيط فغص بـــه
تظفـر بنيـــل الـــدر والمرجـــان

فالـــدر فى أســـدافه كالـــدر فى
أصـــدافه فانعـــم بدر معـــان

واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه
من بحر فكر العالم الربان

ذاك ابن خلفان سعد المرتقى
قصب العلى والسبق فى الميدان

قد أتقن السفى صيغة وضعه
ناهيك من وضع ومن اتقان

أهداه سفرا بيمين سطوره
عن لؤلؤ متنظم وجمان

يهدى بغرته الأنام فأرخوا
عزا بفضل قواعد الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى مهد بحكمته للعالمين ، قواعد شوارد الاسلام ، وبين للمبصرين برحمته فى خلال صفات كتابه العزيز المبين ، معالم الحلال والحرام ، ليهتدوا بنور العلم الى توحيده ومعرفته وتفريده ، فسبحانه من حكيم علام ، ألهم العلماء تأويل كتابه ، وأتقنهم تحقيق صوابه ، ففضلهم بالعلم على سائر الأنام ، وأذن لهم فى استنباط آياته من محكمات كتابه ، ومتشابهاته ليقتدوا بها على القياس فى أحكام ، وجعل اختلافهم فيه منه رحمة فيما كان من طريق الاجتهاد ، ونعمة فيا لها من نعمة لا ترام •

وأودع العارفين لطائف ستره فهم أهل الحضرة والالهام ، ووفق العالمين لخدمته فهجروا لذيذ المنام ، وأذاق المحبين من كأس لذة قربه ، وحلاوة مناجاته ، فحين جعلهم من خواصه ، هانت عليهم مفارقة العوام ، وأيقظ عيون قلوب العاشقين ، لما هب عليهم نسيم المكاشفة فى خلوة المعاملة ، فهم منها بواد المحاضرة فى حبه هيام •

أحمده سبحانه وتعالى على ما منحنا من جزيل الانعام ، وأشكره إذ هدانا الى سبيل دين أهل الاستقامة من الاسلام ، وأنزهه عن قول الملحدين ، وما خرقوا له فى افكهم من بنات وبنين ، فسبحانه عن أن تكيفه مدارك العقول والأفهام ، وتعالى عن الأنداد والأضداد ، والكمية والكيفية والتحديد والتجسيم والانقسام •

صنع المصنوعات بحكمته ، وأقام الموجودات بوحدانيته ، ودبر الكائنات بلا واسطة فى أحكام صنعها ، فلا مساعد له ولا معين ، بل هى حكمة بالغة فلا نقض فيما أحكمه ولا إبرام ، بسط البسيطة

للأنام على لجة المـاء ، ورفع السـماء بقدرته على الهواء بغـير عمد ولا قـوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم القيـام ، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسـوله امـام كل امـام ، صلى الله عليه وسلم صـلاة وسـلاما يتجددان لـه على الـدوام ، وعلى آله وأهل بيته وأصحابه السادة الأعلام .

أما بعـد :

قال العبـد الفقـير ، مؤلف الجـامع الكبير ، المعترف بالذنـب والتقصير ، المرتجى من ربه العلى الكبير ، غفر المساوى والأثام :

لما كان علم الشريعة أشرف العلوم وأنفعها ، وأعلاها قدرا وأرفعها ، مع أنه أعلق بالذات عما جـرى فى اللهوات ، وانطـوى فى الصفحات ونمق بالأقلام ، وان آثار الشـيخ العالم النحرير الفاضـل المحقق المدقق سيدى أبى محمد سعيد بن خلفان الخليلى الخروصى من أصح الآثار ، وأسفاره من أوضح الأسفار ، لمـا ألهمه الله تعـالى من بصيرة والهـام ، ولـم يعتن بهـا أحـد أن يجمـع ما نثره فيهـا من دره المصون ، وأظهره بها من جوهره المكنون ، أن ينظمه فى سلك نظام التركيب على عقـد قانون الترتيب بأوضح تأليف وأحسن نظام .

كنت قد جمعت منها كتابا ، وسميته (الجـامع الصغير لكتـاب تمهيد الايمـان وتقييد شوارد مسـائل الأحكام والأديان) من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان ، لـكن جـاء غـير مستوعب المسائل والأبواب ، ولم يفهم دليـل القول فيه من لحن الخطاب ، ولم يشتمل على كيفية النهاية والاتمـام ، عنّ لى أن أجمـع غيره منهـا كتـابا وأؤلفه أبوابا ، ليسهل على المطالع إن أسفرت منه المطالع ، وان أضيف

اليــه ما شذ من آثاره ، وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره ، لكى يتحصل فهمه لذوى البصائر والأفهام ، فحيث وجدت معنيين فى مسألة ، ولم تفترق ألفاظ تلك المعانى منها ، لنضع كل معنى فى بابه ، أتينا به فى بــاب كل معنى منهــا لئلا يتوهم الناظــر أن ذلك التكرار لا فائدة فيــه فى تلك الأبواب والأقسام •

وسميته (الجامع الكبير لكتاب تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديــان) فأشرقت أعلامه على كل الأعلام ، وقــد ذيلنا بعض مسائل هذا الكتاب بأجــوبة نسج طرتهــا ، وأبرز للمبصرين غرتهــا ، السيد الجليل أبو نبهــان رضوان الله عليه ، توضيحا لمــا أبهمه شيخنا الخليلى من لبس وابهام ، فجاء بحمــد الله كتــابا يسر الخاطر ، ويبهج بمؤيتــه الناظر •

والله أستمده واستهديه ، ومن فيض سبب جوده وحسن رعايته أستوهبه واستجديه ، وأساله أن يغفر خطيئتى يوم يؤخــذ بالنواصى والأقــدام ، وأستمنحه الهداية والتوفيق ، والسلوك الى أقوم طريق ، لأنه ولى الفضــل والانعــام ، يهب ما شاء لمن يشــاء من الأنــام ، تبارك اسم ربك ذى الجــلال والاكرام •

بـــاب

فى العلم وفى طلب العلم وفى العلم النافع وفى خلق القرآن والناسخ والمنسوخ منه وشواهدها من كتـــاب الله تعالى

قوله عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمـــا بالقســـط) فانظـــر كيف بدأ سبحانه وتعـــالى بنفســـه ، وثنى بالملائكة ، وثلث بأهـــل العلم ، وناهيك بهذا شرفا وفضـــلا وجـــلاء ونبـــلا ، وقال الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العـــلم درجـــات) •

قال ابن عباس رضى الله عنـــه : للعلماء درجـــات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام •

وقال الله عـــز وجـــل : (قل هل يســـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى : (انمـــا يخشى الله من عبـــاده العلمـــاء) وقال تعالى : (قل كفى باللـــه شـــهيدا بينى وبينكـــم ومن عنـــده علم الكتاب) وقال تعالى : (وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به) تنبيهـــا على أنه اقتدر بقوة العلم •

وقال عز وجـــل : (وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) ان عظم قدر الآخـــرة يعلم بالعلم ، وقال تعالى : (وتلك الأمثـــال نضربهـــا للناس وما يعقلهـــا إلا العالمون) وقال تعالى : (ولو ردوه الى الرســـول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) رد حكمه فى الوقائع الى استنباطهم ، والحق رتبتهم برتبة الأنبيـــاء فى كشف حكمه الله •

وقيل فى قول الله تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباســـا

يوارى سوءاتكم) يعنى العلم (وريشا) يعنى اليقين (ولباس التقوى) يعنى الحياء ، وقال عز وجل : (ولو جئناهم بكتاب فصلناه على علم) وقال تعالى : (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وقال عز وجل : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) وقال تعالى : (الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان علمه البيان) وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان •

وأما الأخبار الواردة عن النبى المختار : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه الدين ويلهمه رشده » وقال صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة •

وقال صلى الله عليه وسلم : « يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض » وأى منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه ، وهم مشغولون بالاستغفار له ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » ، وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى •

وقال صلى الله عليه وسلم : « خصلتان لا يكونان فى منافق : حسن سمة وفقه فى الدين » ولا تشكن فى الحديث لنفاق فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذين ظننتم • وقال صلى الله عليه وسلم : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عالم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أمتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس » •

وكثير من الأخبار والآثار ما ورد عنه عليه السلام فى فضيلة العلم ، وناهيك به شرفا وفضلا ما أورده الله فى كتابه العزيز من مدح العلماء وعلو شرفهم ، حيث عظمهم هذا التعظيم بفضل العلم ، وجمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله ، حيث استنبطوا من كتابه العزيز الحجج الساطعة ، والبراهين القاطعة ، وهم علماء العدل والتوحيد ، الذين حظهم ورثة أنبيائه ، والقوام بالعدل فى أرضه ، وهم علماء الآخرة لا علماء السوء المبتدعين •

وقال النبى عليه الصلاة والسلام : « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » وقال عليه الصلاة والسلام : « علماء أمتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاد ، ومذاكرته تسبيح ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » لأنه معالم الحلال والحرام ، وهو منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الغربة ، بالعلم يعرف الله ويوحد ، وبه يطاع الله ويعبد ، وهو امام العمل والعقل تابعه ، يلهمه الله السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، والعلم على ثلاثة أصناف : وهو وهبى وضرورى وكسبى •

قلت لشيخى الخليلى سعيد بن خلفان : ما الفرق بين العلم الوهبى والضرورى والكسبى ؟ تفضل بينه لنا بيانا شافيا للاشكال نافيا •

قال : الوهبى : يلقيه الله تعالى فى قلب عبده فيض نورانى ، ومدد رحمانى •

والضرورى : ألا يمكن أن يتصور لذى بال خلافه ، بأن الاثنين أكثر من الواحد •

والكسبى : ما عرف بالتعلم والتحفظ والاجتهـاد ، فحصل بسمع من المسموعات ، أو نظر من المرئيات ، أو بفكرة من نتائج المقـدمات ، لأهل الاسـتدلال والنظر ، والله أعلم •

وقيل فى الخبر : العلم ميت احياؤه الطلب ، فاذا حيى بالطلب فهو ضعيف قوته الدرس ، فاذا قوى بالدرس فهو محتجب اظهاره المناظرة ، فاذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم نتيجته العمـل ، فاذا نتج بالعمـل فهو مريض صحته الاخلاص ، فاذا صح بالاخـلاص هـدى الى سـبيل الجنة ، ولا توفيق إلا بالله •

*** مسـألة :**

وسألت شيخى الخليلى فى قراءة سـورة الاخلاص ما الأفضـل عندك فى قراءتها ، أن يقـف بالجزم فى كل صفة منهـا ، أم يقف على الصمد ليميز بين النفى والاثبات فعلى هـذا ما الأولى له أن يضـم دال أحـد ليحصل له تفخيم اسم الذات ، أم ينـون الدال ويرقـق الاسـم ؟ تفضـل أوضـح لى ما الأفضـل معـك من ذلك كفيـت المهـالك •

قال : الله أعلم ، وعندى أن الوقف عند كل فاصلة من هذه السورة الشريفة جائز حسن ، والوصل جائز كذلك بلا فرق أعرفه ، والنفى والاثبات منهـا كله سـواء فلا يحتاج الى فصـل بينهما ، كمـا لا فصـل بين قوله تعالى : (الله لا إله إلا هـو الحى القيـوم) واذا وقف على الفواصـل المعربة بالجـزم ، فليسكنها على ما عهـد من جزمهـا ، وان وقـف على الفواصـل المعـربة جـاز له فيهـا ثلاثة أوجـه فى المشهور من القراءات وهى : السكون والجـزم والاشمام ، فان وصلها رجـع الى اعرابهـا المعهـود إلا فى الفاصلة الأخـيرة ، فيقـول :

(قل هو الله أحـد • الله الصمد) بتنوين أحـد مع رفعـه ، وبكسر التنوين لالتقـاء الساكنين ، فيرقق اللامين فى اللفظ من اسم الجـلالة فى أول الفاصلة الثانية لمناسبة الكسرة التى قبلهـا ، ولا فرق من جهة التعظيم بين الترقيق والتفخيم كمـا تراه متفقـا عليه ، أو مجتمعـا اذا ولى الكسر فى كل موضـع من القرآن العظيم الكريم ، ولو لـم نجـده كذلك إلا فى بسـم الله الرحمن الرحيم لكفى ، وانمـا ترقق الحروف أو تفخـم لتناسـب اللفظ لاغـيره ، وما فى ذلك خفـاء ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

ومن هذا سؤال من شيبة الاسلام الى الفقير لفظه : هل تعـلم شيئا من القرآن أن يحجر الوصـل فيه قطعـا ، حتى يقـال انـه لا يجوز شرعا ، كنحـو قوله تعـالى : (ولم يجعـل له عوجا • قيمـا لينذر بأسـا شديدا) وكقوله تعـالى : (تنزيـلا ممن خلـق الأرض والسموات العلى • الرحمن) فيصـل عوجا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنـا الحـق فى هذا كما عرفتـه من مذهب أهل الصدق مأجـورا مثابا ان شاء الله •

قال : ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيـان على جواز فصـل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نسـم واحـد ، فقيما عرفنا من قولهم : انه غـير الاحن بذلك ولا لاحد ، وانما فيـه مواضع استحسنوا الوقف عليهـا ، ومواضع أخـرى يحسن الفصـل بغير وقف لديهـا •

فالأول مما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجـه رشـاده ، فاستحسن فصـله بالوقف لسـداده لموضـع الفاصلة من قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفـى

المخادعة عن تقدير على التبعية ، والأجـله كان الوقف أولى مع هـذه الفاصلة البهية •

بمثل هذا استحسنوا الوقف بعـد البسملة الشريفة فى ابتـداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سـورة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والقارعة ، والتكاثر ، والهمزة وسورة أبى لهب • وليس فى استحسان ما يـدل على أنه ممـا وجب ، ولا بأس أن يلحـق بهن فى القسـم ، كمـا أشبههن بالمعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما صـدر منهن بواو القسم ، وما جرى من الآيات بهـذا المجرى ، فانه به فى الحـكم أحـرى ولو فى غـير الفواصـل كالوقف على : (فاستبقوا الخيرات) والابتـداء بالشرط والجزاء لئلا يتوهم تعـلق الشرط بالأمر كون الجـزاء جوابا للأمـر أيضـا فيفسد المعنى •

وكـذا فى قوله تعالى : (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقـدنا) والابتـداء باسم اشـارة ليتمحص استئنافه للجواب ، لئلا يتوهـم كـونه نعتا لمـا قبله ، ويكفى فى كل من هـذه المواضع من الفصـل ما يـدل عليـه ، ولو لم يقف القـارىء لديه ، غـير أن الوقف أولى بالفواصـل وأحلى •

والثانى : ما تعارض فيه معنيان يقتضيان وصلا وفصلا ، فتجاذب منـه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعـل له عوجا • قيما) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة للعوج حسن الفصـل ، ولئلا يفصـل بين الحـال وصاحبها حسن الوصـل فكان من حق هذا الموضـع أن يفصـل قليـلا بغير وقف ، ولهذا نفى بعض الرواة أن ينسـب الوقف عليـه الى بعض أعـلام القراءة لم يحضرنى ذكر اسمه •

وقال من نسب ذلك اليه : فقد أخطأ وانما كان يفصل بينهما قليلا قدر ما يظهر فصلا بينهما ، ولعله بقدر أخذ النفس ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتداء بقول : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه ، من غير أن يوجب التزامه ، فانه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصل ، والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل ، وليت شعرى أى داع الى وجوب الوقف عليه ألا يخبرنى من يدريه أنى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيه •

وليس هو من الفصل الأول فى شىء وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفع الرحمن فى أشهر القراءات دليلا على أنها فى الأحكام من مستأنف الكلام ، فأين محل الاشكال ، أو موضع الجدال فى هذا •

فان قيل : فيوجد فى بعض كتب القوم أن الوقف لازم فى نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم ، فما لأصحابكم لا يقولون بلزومه ؟

والظاهر أنه من قولهم حسن فيقال : ان القرآن قد أنزل باللسان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لسانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكفاية ، والاشارة والابهام والالغاز الى غير ذلك مما سبقت لهم به مزدوجة البلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منه بعدة أوجه من بديعه ، والحديث كما قيل شجون ، ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الاعجاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم ، وجازوا لهذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، فضل قوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل •

فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ، وأما الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهدى لأقوم سبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهم لمن آتاه الله فى معانيه الفهم ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل مع دعوى احتماله ، ولا لبس فى نور الحق تجلو المعنى ما فى دفع ذلك أظهر من الشمس ، أليس الحق أحق أن يتبع ، أليس الصدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه ، زاهقا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بسيف الحق أوله وآخره ، غير معتد به ، ولا معول عليه ، ولا ملتفت اليه ، فانه غير شىء فأنى يعول عليه •

أما فى الآى الشريفة من قرائن المبانى ، وشواهد المعانى ، ما يكتفى به فى البيان ، على صريح الحق لمن لا يجحد العيان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا باظلال الوهم ، ولم يكن شيئا مذكورا ، والعدول اليها عن معالم العدل وهى تتلألأ نورا ، هذا ما لا سبيل اليه ، وإلا فما يصنع من عارض اجتراء ، أو حاور مراء بنحو قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) •

ولولا الاكتفاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجاز أن يقع فى فاسد الفهم أنه من مظنة الوهم ، كما لا يخفى لأن العطف انما هو فى الحق على الفاعل ، ويحتمل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقف بين المعطوف والمعطوف عليه إلا لعذر هو قبيح ولا ضرورة ، فالفصل فى هذا النسق الفصيح هو لا غيره الصحيح والمبتدأ بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصور منه فى الوهم ، والابتداء به استئنافا لا معنى له لاخلاله بالمعنى •

وكأين من موضوع فى كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضع الكريم ، برفع الملك القدوس العزيز الحكيم لو تأولها الجاهل أنها بدل من الفاعل من يسبح ، لشاع له فى الباطل أن يكون من الكلام العاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهر نوره ، ويتم ظهوره ، فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليه الملحدون ، وليس فى هذا وبابه ما يؤذن بوهم فى صوابه ، فيجوز أن يسمى شيئا فى جوابه •

كلا بل هو فى كل زمان نوع هذيان ، أو وسوسة شيطان ، أو حديث نفس ما لها به من سلطان ، لعدم ما عليه من برهان ، ان الحكم إلا لله يقضى بالحق ويقول الصدق •

فلا عبرة فى مراء بتأويل هزاء من فوق الأرض ، ليس بذى طول ولا عرض ، أم يكون من السداد أن يقاس بيت العنكبوت بارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، ولا جرم فالحق أعظم ركنا من ارم وأثبت ، والباطل يضمحل هباء ، ويذهب جفاء ، لأنه ليس شيء جزما ، فأنى يستوجب فى الحق أن يكون فى الثابت حكما •

وفى الاجماع أن الحق يعلو أو لا يعلى فلا قرار لتأويل الباطل ، ولا احتمال له فى دين المولى فقد بطل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يستدل قطعا على أن ذلك الوقف فى موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا ، إذ لا موجب له إلا مخافة تلاعب الأوهام ، بما يولاهم فساد المعنى من مفهوم الكلام •

ولا عبرة به على حال ، فان تطرق المجال اليه فى حكم الحق محال ، لأنه فى محكم وصفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفـه ، ومن عرض لـه فى وهمـه ، سـوء فهمه ، فذلك لقصـوره وغرقه فى بحر نوره ، ولا يحمـل على غيره ، لعظيم خيره ، فانـه مجرد من الشـوائب برىء من المعائب ، وبهذا ينكشف لك الحـق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة ، وعليه نبنى جوابنا •

والله نسأله أن يفيض علينا من نور هداه وتوفيقه ، ما يبلغنـا الى أقوم طريقة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وهل تعلم شيئا من القرآن يحجر الوصـل فيه قطعـا ، حتى يقال انه لا يجـوز شرعا ، كنحو قوله تعالى : (ولم يجعـل له عوجـا • قيما لينذر بأسـا شديدا) وكقوله تعالى : (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) فيصـل عوجـا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنا الحق فى هذا عما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

الجـواب :

ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيان ، على جواز وصل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نسـم واحـد ، ففيما عرفنا من قولهم أنه غير لاحن بذلك ولا لاحـد ، وانما فيه مواضـع استحسنوا الوقـف عليهـا ، وأخـرى يحسن الفصـل بغـير وقف لديهـا •

فالأول ما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجه رشـاده ، فاستحسنوا فصـله بالوقف لسـداده ، كموضع الفاصـلة

وقوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفى المخادعة على تقدير التبعية ، ولأجله كان الوقف أولى من هذه الفاصلة البهيـة •

ولمثل هذا استحسنوا الوقف بعـد البسملة الشريفة ، فى ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سورة محمد صلى الله عليـه وسلم ، والقيـامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والتكاثر ، والهمـزة ، وسـورة أبى لهب ، وليس فى الاستحسان ما يـدل على أنه مما وجب ، ولا بأس أن يلحـق بهن فى القسم ، كلما أشبههن فى المعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما افتتح بواو القسم ، وما جـرى من الآيات بهذا المجرى ، فانه به فى الحـكم أحـرى ، ولو فى غير الفواصل كالوقف على (فاستبقوا الخيرات) والابتـداء بالشرط والجزاء جوابا للأمـر أيضا فيفسد المعنى •

وكذا فى قوله تعالى : (قالـوا يا ويلنـا من بعثنـا من مرقدنا) والابتداء باسم الاشـارة ليتمحص استئنافه للجـواب ، لئلا يتوهم كونه نعتا لمـا قبله •

ويكفى فى كل من هذه المواضع من الفصـل ما يدل عليه ، ولو لم يقف القارىء عليه غير أن الوقف أولى ، عند الفواصـل وأحلى ، والقول به فيهـا حيث لا مانع أظهر وأجلى •

والثانى ما تعارض فيـه معنيان للوصـل والفصـل يقتضيان ، فتجاذب منه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعـل له عوجا • قيمـا) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة لعوجا حسن الفصـل ، ولئلا يفصـل بين الحال وصاحبها حسن الفصل ، فكان من حق هذا الموضع أن يفصـل قليلا بغير وقف مراعاة للاعتبارين ، وجمعـا بين الوجهين ،

كمـا هو مذهب حفص ، وأما غـيره من القـراء فانهم يصلونه كمـا صرح به الشاطبى فى قوله :

وســـكتة حفص دون قطـع لطيفـة
على ألف التنـــوين فى عـــوجا بـلا

وفى نـون من راق ومرقـدنا فـــلا
م بل ران والباقون سكت موصـــلا

قال الشارح : أخبر أن حفصا يسكت سكتة لطيفة دون قطـع نفس عن الألف المبدلة من عوجا ، ثم يقول : (قيما لينذر بأسـا شديدا) ، وكـذلك يسكت فى سـورة القيـامة على النون من من ثم يقـول : (راق) وكذلك سكت فى سـورة يس على الألف من (مرقـدنا) ثم يقول : (هذا ما وعد الرحمن) وكذلك يسكت فى المطففين على اللام فى (بـل) ثم يقول : (ران على قلوبهم) ، وان الباقين يصـلون ذلك كله من غير سكت انتهى •

فانظروا فى هذا كله ، فان فى صريح قوله ما دل فى عـدله على غلط من أوجب الوقوف على عوجـا فى كل قول ، كمـا صرح به الشاطبى فى نظمه ، والمفسر فى شرحه فى المذهبين جميعا ، لأن الباقين من القراء ماعـدا حفصا يوافقون على وصلها ، ومذهب حفص هو ما قلنـاه من فصلها إلا أنه كما صرحوا به بسكتة لطيفة من دون قطع نفس ، فهـو فى حكم الوصـل ، كما لا يتصـور الوقف فى الموضعين المذكـورين فى القيامة والمطففين ، لأنه لا يحـل الوقف فيهما البتة ، ولكن هـذا الموضـع من قبلهما فى معنى الفصـل فى موضع الوصل ، جمعت كلها فى باب واحـد لحكم واحد كما ترى •

وبالجملة فالوصـل أظهر حسـنا فى هذا الموضـع من الوقف ،

لما تقرر فى القواعد ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتداء بقوله : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه من غير أن يجب التزامه ، فانه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصل والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل •

وليت شعرى أى داع الى وجوب الوقوف ألا يخبرنى من يدريه ، انى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيه ، وليس هو من الفصل الأول ، وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفع الرحمن فى أشهر القراءة دليلا على أنها فى الأحكام من مستأنف الكلام ، وفى القراءة بالجر كذلك ، لأنها صفة لمن خلق أو عطف بيان أو بدل منه ، ولا لبس هنالك فأين محل الاشكال أو موضع الجدال فى هذا ، فان قيل فيوجد فى بعض كتب القوم أن الوقف لازم فى نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم فما لأصحابكم لا يقولون بذلك الظاهر انه من قولهم حسن ؟

فيقال : ان القرآن قد أنزل باللسان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لسانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكناية والاشارة والابهام والالغاز ، الى غير ذلك مما سبقت لهم من دوحة البلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منه بعدة أوجه من بديعه ، والحديث كما قيل : ان الحديث شجون •

ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الأعجاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم وجاز ، ولهذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، ضل به قوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل ، (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

منه ابتغـاء الفتنـة وابتغـاء تأويله) وأما الـذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهـدى الى أقـوم سـبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهـم لمن آتـاه الله فى معانيـه الفهم ، وأى داع الى تصـور فاسـد التأويل ، وأى داع الى تصور فاسـد التـأويل ، وأى داع الى تصـور فاسد التأويل مع دعـوى احتماله ولا لبس •

أليس فى نور الحق بجلى المعنى ما فى دفع ذلك أظهر فى الشمس ، أليس الحق أحق بأن يتبع ، أليس الصدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه زاهقـا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بالحق أوله وآخـره ، غير معتد به ولا ملتفت اليه ، فانه غـير شىء فأنى يعول عليه ، أما فى الآى الشريفة وقرائن المبانى وشـواهد المعانى ما يكفى به فى بيان ، على صريح الحـق لمن لا يجحـد العيان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا ضـلال الوهم ، ولـم يكن شـيئا مذكـورا •

العدول اليها عن معالم العدل وهى تلألأ نورا ، هذا ما لا سـبيل اليه ، لأن فى ثبوته ما لا يخفى من بطـلان كل ما احتمـل وجهين من نوع البيـان ، ان كان أحدهما يقضى فى المعنى بفسـاد لمـا به من عناد ، فيشمل المنع معظم أنـواع البـديع كالاستعارات المستغربة ، والمجازات المستغذبة ، ونظايرهما مما جاء به القرآن ومن حقه ولابدا ، يعـدل به لزوما فى الطريقة لصحة تأويله الى المجـاز عن الحقيقة ، وكفى بالقرآن شهيدا على الجواز له والاستحسان ، ولا ينكر شـيئا من هذا من رزق ذوقا من عقـل وايمان •

وهكذا تطرد فى مثله من القول أحكامه المبنية فيما اتضح المعنى المعنى والمحل القرينة لعـدم الفرق بينهما فى الحق ، وإلا فما يصنع

من عارض اجتراء أو جاور مراء بنحو قوله : (شهد الله أنه لا إلـه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فلولا الاكتفـاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجـاز أن يقع فى فساد الفهم ، أنه من مظنة الوهم كما لا يخفى ، لأن العطف انمـا هو فى الحـق على الفـاعل •

ويحتمل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقوف بين المعطوف والمعطوف عليه فى هذا لا تأثير له فى حكم صحيح ، فالوصل فى هذا النسق هو الجـائز والحسن الفصيح ، لأن الابتداء بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصور منه فى فاسـد الوهـم والابتداء به استئنافا ، لا معنى له لاحـلاله بالمعنى ، وكأين من موضع من كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يسـبح لله ما فى السـموات وما فى الأرض الملك القـدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضـع الكريم برفـع الملك القدوس العزيز الحكيم وتأولها الجـاهل بأنها بدل من الفاعل ، لساغ له فى الباطل أن يكون من الكلام العـاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهـر نوره ، ويتم ظهـوره فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليـه الملحدون ، وليس هذا وبابه ما يقـدح فى صوابه ، فيجـوز أن يسمى شيئا فى جـوابه •

كلا بل هو فى كل زمان نوع هذيان ، أو وسوسة شيطان أو حديث نفس ما لها به من سـلطان ، لتقـدم ما عليـه وبرهان ، ان الحـق إلا لله يقص الحـق ، ويقول الصدق ، فلا عبرة فى مراء بتأويل هراء ، مجتث من فـوق الأرض ليس بـذى طـول ولا عرض ، أم يـكون من السداد ، أن يقاس ببيت العنكبوت بإرم ذات العمـاد ، التى لم يخلق مثلهـا فى البلاد ، ولا جـرم فالحـق أعظـم ركنـا وأثبت من إرم ، والباطل يضمحل هبـاء ، ويذهب جفـاء لأنه ليس بشىء جزما ، فأنى يستوجب فى الحـق أن يكون من الثابت حكما •

وفى الاجماع أن الحق يعلو أو لا يعلى ، فلا قرار لتأويل الباطل ، ولا احتمال له فى دين المولى ، فقد بطل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يستدل قطعا ، على أن ذلك الوقت فى موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا ؛ إذ لا موجب له إلا مخالفة تلاعب الأوهام ، بما يوهم فساد المعنى من مفهوم الكلام ، وقد اتضح بما قدمناه أنه لا عبرة بذلك على حال ، فان تطرق الوهم فى حكم الحق محال ، لأنه الذى قال الله فى محكم وصفه : (إنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنزيلا فعرفنا به يقينا أن من عرض له فى وهمه بما يوجب شكا فيه ، أو لبسا فانما هو لسوء فهمه ، لما به من قصوره ، لقلة نوره ، وذلك لا يحمل على غيره لعظيم خيره ، فانه مجرد من الشوائب برىء من المعايب ، وبهذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة وهو جوابنا •

ولقد صرح به بن الجوزى فى قوله : وليس فى القرآن من وقف وجب ، ولا حرام غير ما له سبب •

فان قيل : هذا حكم الوصل أفمثله يكون حكم الوقف والفصل ، أم بينهما فى الحكم فرقا فلا تخبرنى عنه بالحق ؟

فيقال : بل ان الفرق بينهما ظاهر ، عند أهل العلم شاهر ، فى القرآن أنزل مفرغا فى قوالب البيان ، سمطا منتظما نظما محكما ، إلا أنه لعظم العناية ، ومن يد الإلطاف والهداية ، فصلها سورا تتلى ، وآيات تترى ، هو الفواصل تسمى ، وجعل فى فواصله مواضع ، هى للفصل مقاطع ، أيضا فعلم بالاستقراء بحجج أحكامها أن للسور جميعا عند مقاطع أختامها ، حكم صحة الوقوف عليها ، وكونه الأحسن لديها الاستقلال حكمها بذاتها ، لانقطاع متعلقاتها •

وأما الوقوف من بعد على رءوس الفواصل أو ما دونها من الألفاظ ، فهو تبع للمعنى ، فلما عرفنا من قول العلماء والحفاظ ، ولهذا يتفرع فى أحكامه الى خمسة أوجه :

فأولها : الوقوف عليه أفضل من وصله ، وهو المندوب اليه ، وهو الذى سبق القول فيه أنه يوجد فى بعض كلام القوم ، أن الوقف واجب لديه ، وتكلمنا على أثره بما حضرنا من قول المسلمين الصحيح فى منع الوجوب ، وكونه من خبر المندوب ، على أنى لا أراه موضع اجماع يمنع دينا من نزاع ، ولو قيل فيه رأيا بايجابه لم أبعده من أن يكون قريبا من جواز الرأى عليه فى صوابه ، وقد مضى منه فى الفصل الأول ما يغنى عن الاعادة وكفى به •

وثانيها : الوقوف وهو ما استوى فيه الوصل والفصل بعدم ما يرجح أحدهما على الآخر من حيث دلالة المعنى فى المعدل ، ومحله تمام الكلام ، واستقلال المعانى بذاتها بلا متعلق بها فى الأحكام ، كالوقوف عند قوله تعالى : (ملك يوم الدين) أو مع قوله : (اياك نعبد واياك نستعين) ، وكقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الأبتر) ولا ينكر أهل الأحلام والفهوم ، أن يلحق من غير الفواصل ما كان بهذه المثابة كقوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) غير أن الوقف على الفواصل أوجه وأولى ، والوصل من قبل تمامها أوجه وأسوغ وأحلى بمن أمكنه ذلك وإلا فهما من حيث الحكم فى الجواز سواء •

وثالثها : الوقف لتمام ما شرع فيه من الكلام ، إلا أن ما بعده يتعلق به فى الأحكام كالتوابع الأربعة ، النعت والعطف والتوكيد والبدل ، وكالحال وأدوات الخفض وما يضاهيهن فى المثل ، فوصل هذا وبابه أولى ان أمكن صوابه ، والوقوف عليه فى قولهم جائز ،

وليس بأحسن غير أنى أستدرك منه ان استطالت الفواصل ، قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) فليس فى الأولى والثانية محل الفصل ، فالوقف غير حسن فيما صرحوا به لمن أمكنه الوصل ، هو كذا فى قوله تعالى : (انك لمن المرسلين • على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم) مع جر لام تنزيل وقس على هذا ما يشبهه بصحيح التأويل •

فان تسع القول واستطالت الفواصل ، أو كثرت كذلك مما فى استحسانه مجادل ، كقوله تعالى : (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير • الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور • الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) وكقوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الآيات وفى (قد أفلح المؤمنون) وفى سورة المعارج وغيرهن من الحق هذا ما لا ينكره المبصرون •

فان قيل : فأى شىء سوغ هذا مع كثرة الفواصل أو استطالتها ولم نجد من تفرقة بينهما فيما ألقيناه فى الآثار من صحيح مقالتها ؟

فيقال : لأما ما تعذر على القارىء وصله ، فسقوط التكليف عما لا يستطاع هو الدليل على أنه يحسن فصله ، وأما ما دونه فالأصل الصريح ، فى هذا المنهاج الصحيح ، أن فى لسان الخطباء والشعراء من فصحاء العرب ، ما بنى على قوافٍ عديدة ، يتصل بها قوافٍ من التوابع مديدة ، فلا تناكر معهم أن يقفوا عند القوافى ، ويبتدءوا من بعدها ملحقين بها حكما ما اتصل بها معنى من نعت ، أو عطف

أو حـال ، فتكون توابع للأول ، أو قوافى ، أم ينكر شىء من هـذا فيقال بعد استحسانه ، وانه لوضـوح بيـانه ، على المنصفين غـير خـاف •

وللفواصل فى ذلك من الحكم كذلك ، ألا ترى فى النعت مع كمـال اتصـاله جواز قطعـه عن التبعية فى اعـرابه ، ان عـرف المنعـوت بدونـه فى حاله ، ولـكن الحـال فى الأصـل غالبـا صفة قطعت عن موصوفها ، فدلت على الهيئة فغـير بعيد أن يتوسع فيهـا بهـذا إذا أثبتهـا معنى ومحـلا ، ولا سيما مع استطالة الفواصـل كما قلنـاه فيما سبق قبـلا ، فانه فيه ظاهر ، كقـوله تعالى : (فأقم وجهـك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخـلق الله ذلك الـدين القيم ولكن أكثر النـاس لا يعلمون • منيبين اليـه واتقـوه وأقيمـوا الصـلاة ولا تكونـوا من المشركـين) وكقـوله تعـالى : (لئن لم ينته المنافقون ، والذين فى قلوبهـم مرض والمرجفـون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيهـا إلا قليـلا • ملعونين أينما ثقفوا أخـذوا وقتلوا تقتيـلا) وكقـوله تعالى : (ان الذين آمنـوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنـات الفردوس نـزلا • خالدين فيهـا لا يبغـون عنها حولا) •

ولمثل هذا لم نقل فيما سبق بالمنع من الوقوف عند قوله تعالى : (ولم نجعـل له عوجا) فقوله : (عوجـا) رأس الآية ، وموضـع الفاصلة ، وهى مقر الوقوف مع ما بين عوجـا وقيما من التبـاين الداعى الى فصل بينهما عند أهل العرف إلا أنهـا من الفواصـل التى لا تستطال ، وتعلق ما بعد بها يؤذن بالاتصـال ، فلابد لتعارض المعـانى هنـاك من أن يجـوز ثمت هذا وذاك فاعرفه •

ورابعهـا : الوقف قبـل تمـام الكلام من دون افسـاد معنى

ولا تغييره عما له من الأحكام ، كالوقف بين القسم وجوابه ، وبين الشرط والجزاء ، وقس على ذلك ما كان من أضرابه ، كالوقف بين المبتدأ وخبره ، وبين اسم ان وخبرها ، واسم كان وخبرها ، وبين ظن ومعمولاتها ، والفعل وفاعله أو مفعوله ، والموصول وصلته ، والتمييز والمميز منه ، والحال وصاحبها ، فلا تقف عند شيء من هذا وباقه وتوقه إلا من عذر ، فلابد من اجتنابه أنه على الصحيح وقف مكروه قبيح .

فالقسم كقوله تعالى : (يس والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين . على صراط مستقيم) .

والشرط كقوله تعالى : (حتى اذا رأوا ما يوعدون . إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) .

والمبتدأ كقوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

والموصول كقوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب) وقس على ذلك ، فان حصل العذر تفادى فوقف فى هذا الباب ، خرج من حد القبح ، فكان الجواز أولى به فى هذا الجواب ، لكن القارىء فى هذا ومثله الى ذلك الكلام بحسب المعنى فيعيده الى التمام ، كما سيأتى ان شاء الله .

واذا اتسع القول ، أو كثرت الآيات لتعذر فصلها ، حتى عجز التالى والحالة هذه عن استيفاء معناها فى وصلها ، فهو له من صريح العذر ، فى هذا المقام بغير نكر ، وحينئذ فيكون الوقف عندها للضرورة حسنا ، ولا تلزمه إعادته فيما معنا لتأسيس المبانى على ذلك ، وعدم التكليف بما لا يستطاع هنالك ، فيقتدر بها ، وان فصلت لفظا فهى موصولة معنى ، أو ليس من الحق الذى لا نزاع فيه ولا شقاق ،

ولا يجوز أن يطـوق ما لا يطـاق ، وليس فى هذا فى الاجمـاع من القول إلا منـاع مناع ، فمثال هذا المستثنى جوازه فذكره لبيـان المعنى ، قوله تعالى : (إذا الشمس كورت • واذا النجـوم انكدرت • واذا الجبـال سيرت) الى قوله : (علمت نفس ما أحضرت) فتمـام الكلام لم يكن إلا على رأس أربع عشرة آية ، لا تظن أحـدا يقـدر على وصلها جميعا ، وتدون هذا كفاية •

وكذلك فى قوله تعالى : (والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها) فانهـا متصلة الأقسام ثمانى آيات وبالتاسعة والعاشرة تـم الكلام ، فالعذر بين لمن يقـوى على وصلهن من الأنام ، وربمـا اقتـدر بعض التالين على مالا يقـدر عليه الآخـر فى حين ، فلا يجـوز أن يكلف غير القادر ما لا يستطيعه هو فى رأى ولا دين ، وربمـا سبق عليـه ما لو تكلفه لاستطـاع ، فلا يلزمه فى هذا الموضـع تكلف المشقة فى رأى ولا اجمـاع فدين الله يسر ما فيه عسر •

ومثال ما توسـط فى الطول والقصر فيختلف فيه أحكام الناس ، ويقال حينئذ : ان لكل ما يخصـه من حكم ولا بأس قوله تعالى : (فلا أقسـم بالخنس • الجـوار الكنس • والليـل اذا عسس • والصبح اذا تنفس • انه لقول رسول كريم) وقوله تعالى : (اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمـد ربك واستغفره انه كان توّابا) •

وحكم الفريدة فى هذا كالآيات العـديدة ، اذا اسـتوى المعنى ، ومثـاله فيهـا قـوله تعـالى : (ان المسـلمين والمسـلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقانتين والقانتات والصـادقين والصـادقات والصـابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصـدقين والمتصـدقات والصائمين والصـائمات والحافظين فروجهم والحافظـات والذاكرين الله كثـيرا

والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) فانهـا لمـا بها من طول تبيح الوقف فى خلالها ضرورة فى غير محله لمن لا يقوى على وصلها كما سبق فى هذه الفصـول •

وخامسها : الوقف المحجـور على من أراده ، اذ لا رخصـة فيـه ولا هـوادة ، وهـو إذن يقطع الكلام عنـادا أورث المعنى فسـادا ، فلا يجـوز قطعا لحرامه ، إلا لعذر صريح فى مقامه ان صـح لـه فى زمان ، كخطأ أو نسيان ، أو غلبـة من عطـاس أو تثاؤب أو نحـوه ، مما يغص به القارىء لشجوه وإلا فلا يباح لعـذر فى علم ولا جهـل ، وانه لقول فصـل ، وما هو بالهـزل ، وأعظمـه ما كان فى التوحيد ، والثنـاء على الله المجيد ، فانه بالتعمـد لإفكه على وجهه بحكم شركه ، وهذا أشـهر من أن يحتـاج الى تمثيـل ، وان كان ولابـد فكالوقف والايجاب ، فيما به من تهليل ، وكأين من موضع فيه كذلك لا ينكره من له أدنى فهم من الخواص ، كالوقف على (ولم يكن) فى أول آخر آية سورة الإخلاص •

وبعد فالاستثناءات كلها لاحقـة بذلك عنـد كل العارفين ، كمـا ترى فى موضعيهما من سـورتى والعصر والتين ، وفى غيره كذلك يتضح بالمعنى ويبين ، كمـا لا يجـوز الوقف على قوله تعـالى : (فويـل للمصلين) و (قل يا أيهـا الكافرون • لا أعبد) (ولم يكن الذين كفـروا من أهل الكتاب والمشركين) وهذا مما لا نعلم أنه يختلف فيـه برأى ولا بدين ، لأن جوازه يؤدى ولا شك الى افسـاد مبانيه ، والإلحـاد فى معانيه ، (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) •

ومن اضطر الى ما به يعذر الى وقف على شىء مما يكره الوقف عليه أو يحجر ، فيؤمر فى هذا وجوبا ، وفى الأول مندوبا ، مع القدرة

أن يستأنف ما قطعه من الكلام حتى يأتى من أوله على التمام ، بحسب ما له فى صحة المعنى فى الأحكام ، ليخرج من قبح فصله ، الى ما أمر به من وصله ، وكذا من تعمده فى عمده أو جهله ، للوقف فى غير محله ، أو أتى به فى غير عمده ، لعدم قصده ، فكله سواء فى حكم استئنافه لتساويه فى اتصافه ولابد لمن تعهد لما لا جواز له فى حاله من الرجوع بالتوبة النصوح ، لمن لا شريك له فى جلاله هو غفار الذنوب ، وكشاف الكروب ، سبحانه وتعالى •

وفيما أسلفناه فى أحكام هذا الباب كله ما دل بتصريح ، وتارة بلحن القول وفحواه فى تلويح ، على أنه لابد لنا من اعمال النظر بصحيح المعتبر ، وتدقيق الفكر فى مراعاة أحكام المعانى عند الوقف والفصل خوف الوقوع فيما لا جواز له فى الأصل ، فمن الغبن الفاحش أن يبوء بوزره ، من حيث يرجو أعظم أجره ، عافانا الله واياكم بفضله ، من هذا ومثله •

وأما الوصل فهو منه فى أوسع من هذاء طريقا ، لكونه لا يخل بمعنى ولا يفسده تحقيقا ، فلينظر فيما فى هذه النبذة من القول أسلفناه ، من قدر أن ينظر بانصاف فى معناه ، ثم لا يعجل من بعده بقبوله ولا رده ، حتى يتضح له غيه من رشده ، فان فى الحق ما يذود عما سواه ، لمن لا يتابع هواه ، ولا عذر فى قبول الباطل من عالم ولا جاهل ، والله أسأله أن يوفقنى فى هذا الجواب وغيره ، لما هو عنده من محض الحق والصواب ، فان الخير بيديه ، ويرجع الأمر كله اليه ، والحمد لله على ما أنعم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم •

*** مسألة :**

ومنه تفضل علينا ببيان ما صفة هذا العلم ، الذى جاء فيه وعيد الحديث أنه يلهم السعداء ، ويحرم الأشقياء ؟

الجواب :

هو العلم النافع الذى يؤدى به العبد لله فرائضه ، ويتقرب به اليه ، ويعلم ما يجب عليه لله ، أو لعباده من الحقوق الواجبة فى نفسه أو ماله من جميع اعتقاداته ، وأعماله الصالحة والطالحة ، والحق والباطل ، والضلال والهدى ، حتى يتجنب المحرمات ، ويتباعد عن المكروهات ، ويعمل بالفضائل والقربات ، والوسائل بعد أداء المفترضات ، فهو العلم النافع الذى يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، وفى هذا يندرج علم الحقيقة والشريعة جميعا ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : فى القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، فان كان مخلوقا فما صفة خلقه ، وان كان غير مخلوق فما صفته والاعتقاد فيه •

الجواب :

القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، وهذا هو الاعتقاد كاف فيه ان شاء الله ، والله أعلم •

*** مسألة :**

وما معنى تسميتهم العلم بالصلاة والحج والصيام والزكاة ونحوها أديانا ، والنكاح والطلاق والعتاق ونحوها أحكاما ؟

الجـــواب :

ان الأدين فى الأصـــل أحكام ، والأحكام أديان ، لكن غلب الفقهاء والمتكلمون فيما كان من أنواع العبـــادة والفروض الواجبة لله تعالى ، تسميته بالأديان ، وفيما كان من الخصومة فيه للخلق غالبا فيه والتراجع فيه الى أحكام الدعاوى بينهم تسمية بالأحكام اصطلاحا فقهيا ، ووضعا عرفيا ، مناسبا للمحل فى كلا الوجهـــين ، وكما قيـــل : انه لا مشاحة فى المصطلحات جزى الله عنا علماء الأمة ما هم لهم من الخير أهـــل ، والله أعـــلم .

*** مســـألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى مثل هذه المسألة وغيرها من المســـائل اذا كان المسئول بعيدا غير حاضر ، فاذا أراد الســـائل زيادة ســـؤال فيكتب ، قلت له : أتراه جائزا أو واسعا أو الأفضل أن يكتب ، وكذلك أو يكتب أيضـــا تفضل بين لى ذلك ، لأن شيخى كأنه لا يعجبـــه أن أكتب ، قلت له : ومن حسبه أن أكتب أيضـــا وأنا قليل العلم ، كثـــير الوهم ، مارق السهم ، أسأل الله الكريم أن ينـــور قلوبنـــا ويحسن أخلاقنـــا ؟

الجـــواب :

قد يجرى الاختلاف فى مثل هذا بين أهل العلم ، فعلى قول من يرى أن الكتاب كلام وقول فهو جائز ، وعلى قول من لا يرى الكتـــابة كلاما ولا قولا ، فهـــذا لا يجـــوز أن يفسر على الحقيقة ، وأمـــا ان تأولته على سعة المجاز فهو مما يستجاز ، وكتب الآثار مشحونة فى مثل هذا ، وإنه لشىء متداول مبذول عند الفقهاء ، لا يحتشمون ولا يستنكفون عنه كما ترى فى رفائعهم عن الأوائل والأواخر .

وهل يشكر من وجد فى كتاب الاستقامة أو المعتبر شيئا من آثار الشيخ أبى سعيد رحمه الله فى هذا الرأى أو القول ان ضعيف أو جيد أو غيره مما يضاهى ذلك من حقائق الأحكام ، وكذلك فى حق غيره ، لا فرق ، فاذا جاز أن ينسب أثر العالم فيقال : إنه من قوله ، ولو لم يسمع ذلك من لسانه ، فكذلك سؤال السائل من قوله بهذا التفسير ، ولو لم تنطق به لسانه ، وقول شيخك انه ما يعجبه ذلك لعل مراده لعله لا يجب ذلك على تأويل القول الحقيقى كما أسلفناه ، اذ لا معنى له غير ذلك .

فان كتبت وأيضا وكذلك ، أو رأيت أو ما أشبه ذلك ، لم يحتج الى تأويل ، وان توسعت بمجاز القول جاز ذلك ، وقد استعمله جهابذة العلماء ونحارير الفضلاء ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فيمن يكتب خطوطا وفيها اسم من أسماء الله تعالى ، أيجوز له أن يرسلها مع هؤلاء النصارى أو البانيان من بلد الى بلد ، سواء الخطوط مشمعة أو مغلف عليها ؟

قال : لا بأس بذلك ، ولو كتب فيها البسملة أو غيرها ما لم يكن مصحفا أو قرطاسة منه ، ففى الأثر جواز مثله للجنب أن يقرأ من كتب العلم ما سوى القرآن ، وقل ما يخلو كتاب من كتب المسلمين لم يذكر فيه اسم الله أو البسملة أو بعض الآيات ، وما جاز فى هذا جاز فى ذلك فيما عندى ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فى قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد

سلف) أهذا محجور فى الدنيا والآخرة ، أم محجور فى الدنيا خاصة ، وجائز فى الآخرة ، لأن الرجل تكون له زوجة وتتوفى عنه ، وبعده يتزوج بأختها فتتوفى عنه ، أرأيت ان من الله عليهما جميعا بدخول الجنة أيكونان كلتاهما زوجاته أم لا ؟

الجواب :

هذا حكم شريعة الله تعالى فى هذه الدنيا على الأمة المحمدية ، لا فى حكم الآخرة ، فانا لا ندريه ، وقد سقط التكليف وارتفع التعبد ، ووضعت الأقلام ، ونسخت الشرائع والأحكام ، ورجع الأمر فيه الى علام الغيوب ، يهب ما يشاء لمن يشاء ويفعل ما يريده ، وأما فى سائر الأمم ، فقد جمع ما بين الأختين كنبينا إسرائيل عليه السلام فافهم .

*** مسألة :**

ومنه فى الوقوف مع قوله تعالى : (ان الانسان لفى خسر) ، (وعصى آدم ربه فغوى) ، (ولا يحيطون بشىء من علمه) غير جائز مطلقا بالسنة والاجماع أم رأى من أهل العلم أم جائز ، ولكنه مكروه ، وما شابه هذه الوجوه ؟

الجواب :

أما الوقوف على (ان الانسان لفى خسر) وعلى (ولا يحيطون بشىء من علمه) والابتداء بالاستثناء فلا يبين لى جوازه على العمد لفصله مع القدرة على وصله ، واذا لم يخرج له شىء من التأويل على تقدير الاستثناء المنفصل ، حيث يمكن تأويله بالاستدراك فلا أعلم اختلافا فى منعه ، وأرجو أن فى الاجماع ما يقضى بأمر النزاع ،

فى جـواز الفصـل ، حيث تتأدى الى فسـاد المعنى من كتاب اللـه إلا فى موضع العذر لمن نزل بمنزلته •

وليس من هذا الباب الوقوف على : (وعصى آدم ربه فغوى) فالوقوف عليها جائز ، والوصـل حسن ، بل يصح ان قيـل أحسن ، ولا يبين لى وجـه لزومه على حال ، والله أعلم وبه التوفيق •

*** مسـألة :**

وما معنى قوله تعـالى : (فقضاهن سبع سـموات فى يومين) فالليالى داخلة فى اليومين أم لا ، أم النهـار خاصـة بين لنـا ذلك ولك الأجر والثواب ؟

الجـــواب :

اختلف فى اليوم ، هل يطلق على النهار وحـده أم على النهـار والليـل معا ، وأكثر القول فيما عندى أنه اذا ذكر الليـل معه فاليوم يراد به النهـار فقط ، كقوله تعالى : (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) فقد سـمى الثامن ولا ليلة له ، واذا لم يفصـل فهو يشـمل الليـل والنهـار معا ، فالشهر ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما بلياليها ، والأعمـال التى فى الأيام تجوز فى الليالى على هـذا القول إلا لمـانع شرع منه فى الأصل فى الصيام لتحريمه فى الليـل •

*** مسـألة :**

ومنه : ما تقول فى الـذى وجـدته فى هـذه النقـول ، عن ذوى العقول ، يروى أن الشيخ ناصر بن جاعد ، يروى عن أبيه رفع دال وحده فى قول القائل : لا إله إلا الله وحده ، حجته أن ما بعـد المنفى

لا يكون إلا مرفوعا ، ولم يتضح لى هذا الأنى فيما وطئت من كتب النحو ، لم أجد وجه الرفع ، بل وجدت النصف منهم من جعله على الحـال •

ومنهم من جعله على المصدر ، ومنهم من جعله على الظرف ، حتى جاء أحد من علماء أهل الخـلاف حنبلى المذهب ، فجوز الرفـع فى ذلك لما سألته ، ولم أشـق بكلامه ، تفضل أوضح ذلك ، هل وجـه يوجـد بالجواز أعنى الرفع وبأى شىء رفعه بالابتدائية أم بالخبرية مأجورا ان شاء الله ؟

الجـــواب :

لا نعرف وجه رفعهـا ولا ضمها لقصـور علمنـا ، وقلة فهمنا ، ومعتمدنا فيها بالنصب اعرابا على ما ذكر فى قواعد العربية ، أو الفتح بنـاء كما فى الكتب النحـوية ، ولقد كنت فى زمان هذا الشيخ معه ، وهو يقول برفعها ، وقولى بنصبها ويسألنى على ذلك ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى رياضة اسمه تعالى عليم لا وجـدناها مصرحة ، علمنا بشروطها مأجورا ان شاء الله ؟

الجـــواب :

شروطها الخلوة والصيام ، واجتنـاب ذوات الأرواح ، والرفـق والتلاوة ، وحضور القلب فيها ، ومناسبة الوقت وعدم المزيد والنقص ، هذا ما حضرنى ، والله أعلم •

*** مسألة :**

وما تقول شيخنا فى المسألة التى سألتك عنها ، وهى التى قال الله فيها : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض) أسموات وأروض فى الآخرة بعد هذه السموات والأروض التى فى الدنيا أم غيرها ، وكقوله تعالى : (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) تفضل اشرح لنا اياها غير جواب السابق ؟

الجـــواب :

اختلف المفسرون فى مثل ذلك :

فقيل : معناه مادامت سموات الآخرة وأرضها ، وكل ما أقل فهو أرض ، وكل ما أظل فهو سماء •

وقيل : انما هو عبارة عن التأبيد ، وجرى ذلك على عادة العرب وأساليب كلامهم ، وفى مثل ذلك يقولون : لا أفعل كذا مادامت السموات والأرض ، أى لا أفعله أبدا ، وكلا القولين صحيح عندنا ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : وقد تأملت ما أورده الشيخ سعيد بن قاسم الشماخى فى مباحث خلق القرآن من الاحتجاج ، فعلمت أنه على صراط مستقيم ، لا زيغ فيه ولا اعوجاج ، وقد اكتفينا عن الاعادة بما فيه الافادة ، لأنه قد جاء بالحسنى وزيادة •

وبالجملة : فلم نر فيما تعلق فيه المختلفون إلا شبها لفظية

لا تصلح لتقويم البراهين ، فأنى يصح أن نأتيه بها على غـير دليـل واضح مستبين ، وانمـا ارتبك فيهـا بعض الأكابر كالشيخ ابن النظر ، ومن فى طبقته من الأقدمين ، فتداولتها الآثار ، وملئت منهـا الأسفار ، وعدت فى زمانهم مسألة رأى لا دين ، وما ذلك إلا لظهـور النزاع ، وعدم تأتى الاجمـاع منهم فى كل حين ، وعلى كل من عرف الحـق ، وأبصر الصدق ، أن يأخـذ بالأعدل ، تاركا للأهـزل ، فانه من غـير ما لبس به ولا مين ، عين فرض له على الأصح وفرض عين •

وانما عد اختلافا كما ساغ من مثله فى المسـائل الخلافية ، كالقول بطهارة دم الباغى فى الآثار المغربية ، وتحريم شرب قهوة البن فى الآثار المشرقية ، فقد أثبتـا رأيا ، ورسما على ما بهما من وهن فى البرهـان ، ووضـوح الحق فى خلافها للعيـان ، وفى أقوال السلف من الصحابة والخلف ، من نظير هذا فى النوازل الفقهية ، ما لا يحصى عده ، ولا يكاد يحصر حده ، وكفى به عن الاطالة ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وهل يصح عندك سيدى ما يوجـد عن قومنا ، فى أن للـه تعالى آيات أنزلهـا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم نسـخ قراءتها ، وأبقى حكمها كالرجـم ، فقـد زعموا أن آيتهـا قد نسخت قراءتها ، وأبقى الحكم منها أولا ، ولعـل مثل هذا يوجـد أيضـا فى بعض كتب المغربية ، وبقينا شـاكين فى صحته ، لأن حكم الرجم عندنا أن السـنة قد جاءت به تفصـل بايضـاح ما عندك فيه ؟

قال : الله أعلم ، والذى عنـدى فى هـذا أنه ما يحتمل الصحة فلا يبين لى وجـه انكاره بعد ثبوت معناه من كتاب الله تعالى ، قال الله تعـالى : (ما ننسخ من آية أو ننسـها) فقد أثبت الوجهـين

النسخ والانساء ، فالنسخ فيما بقى لفظه ، ونسخ حكمه بحكم آخر ، والانســاء لا يكون إلا فيمــا يفلت من الصــدور ، فلم يبق لفظــه ولا معناه ، وقد ورد الحديث فى مثل هذا يؤكــده ، فيدل عليه ويؤيده ، وهو فى النظر صحيح •

وما روى من آية الرجم وأنها مما أنسى ، وبقى الحكم بها فغــير بعيد ، والقول بأن الحكم به الآن من الســنة هو الأظهر ، لأن المنسى من الآيات لم يثبت التعبد به جــزما ، ولا قامت به أبدا •

وروايــة من يروى أن فيما أنــزل الله آية الرجــم : والشــيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ان الله عــزيز حكيم ، كأنه غــير ملائم للمعنى ، ولا لائق بلفظ القــرآن ، ولا قريب من الصــواب فى شىء لمعــان •

أحدها : أن ما أنســاه الله عباده من هذا النــوع فلا سبيل الى حفظه البتة ، وإلا فليس بمنسى ، واذا كان محفوظا فما له لا يقــر فى موضعه •

وثانيها : أنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز •

وثالثها : تقرير الحــكم بالشــيخ والشيخة فى موضــع المحصن والمحصنة ، وبينهما البون كمــا لا يخفى ، فــدل باللفظ والمعنى على ما تفرسناه فيهــا ان صح ما قلناه ، فلينظر فيه ، والله أعلم •

بســم الله الرحمن الرحــيم

هذه الكلمات استحسنتها ، وهى صفة فى علم الحقيقة لمن أراد ذلك ، عن الشيخ العــلامة سعيد بن حلفان الخليلى ، مخاطب ومؤشرا

فيها للشيخ الزاهـد سيف بن محمد ، وأحببت أن أكتبهـا قوله على نسـق كلام متقدم :

وذكرت أنك تريد شيئا من كلام الحقير مما قرأته عليك من علم الحقيقة ، فالقصيدة واصـلة اليك ، وأما ما ذكرته من علم الحقيقة ، فليت شعرى كيف هو تكون ، وكيف يجمـل بمن لا حقيقة له أن يتكلم فى علم الحقيقة ، فيكون بذلك مدعيا لمـا هو ليس من أهـله ، ودالا على ما استوجب هو أن يسـتدل عليه بغيره ، ولكن ظننت أن المطلوب هو ما تذاكرناه من قبـل فدليتك به من صفة الدخـول فى ذلك إلا لمن أراده ، وسعى له سعيه بالمجاهدة والاخلاص ، وقطع الشواغل الدنياوية بل والآخـروية ، فلا يكون همه أبدا فى شىء إلا فى سلوك طريقه الى أن يـذوق شربة من رحيقه ، متوجهـا الى الله ربـه ، بتطهر قلبـه فى مقعد صـدق عند مليك مقتدر •

واذا شئت ذلك فطهر أولا قلبك بالاخلاص ، والتوكل على الله ، والرضا بقضـاء الله فى كل أمر ، وتوجه الى الذى فطـر السموات والأرض حنيفا ، مستقيما فى طريقك من غير تواهن و تلجلج بقوة عزم وصدق إرادة ، وذلك بعد تطهر النفس من العلائق الرذيلة القاطعة من حب الدنيا ، والميل إلى الشـهوات ، وما أشـبه ذلك من الشبهات ، ولا أظنها تخفى عليك ثم تطهر بعـد ذلك من الأوسـاخ ، وثيابك من الأدناس ، وجميع الأرجاس •

وتعمد الى خلوة طاهرة خالية من حسـوس البشر ، وينبغى أن يكون ذلك فى بيت ضيق مظلم ، وان لـم يتفق ذلك ففى حيث أمكن من الخلوات ، فى بيت أو مسجد أو كهف ، أو جبـل أو شىء من السيوح والأودية ، وتكون صائما نهارك كله فى مدة الخلوة وفطرك على ما ليس

فيه روح ، ولا خرج من روح من الأكل اليسير ، بمقدار ما يقوى به على أداء الفرائض ، وذكرك فى مدة الخلوة كلها اسم الجلالة وحده ، هكذا الله الله الله الى أربعين يوما ، لا تفتر عنه ليلا ولا نهارا إلا فيما لابد منه من الصلوات اللازمات من الفرائض والسنن المؤكدة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ومتى انتبهت تداركت الذكر فى الحال •

وان احتجت الى صاحب يناولك طعامك وشرابك ، فلا يضرك ذلك ، ولكن لا تكثر الحديث له ، ولا يضرك ان حدثته بالقليل فيما لا تجد بداً عن ذلك ، وينبغى أن تحضر فى مجلسك ما تقدر عليه من الطيب ، وتطيب نفسك وثيابك والموضع •

واحذر اذا انكشف لك شىء من الأسرار أن تشتغل به عن وردك ، بل كن كأنك لم تر شيئا من ذلك أصلا ، فما ترتقى من كشف إلا وجدت وراءه ما هو أكبر منه وأجل ، والغزالى لا يشترط فى ذلك مدة معلومة ، ولكن يقول : تبقى على ذكر الاسم الى أن تجد قلبك حاضرا فيه الاسم ، كأنه يتكلم به ، ولو لم تنطق لسانك •

فاذا بلغت ذلك فاثبت عليه ، ودع حركة اللسان ، فليس المطلوب إلا حركة القلب بالحضور الكامل ، فاذا بلغت هنالك ، فاثبت على ذلك ، الى أن أن تجد معنى الاسم حاضرا فى القلب ، ثابتا من غير حركة باللفظ ، فهى المرتبة الكبرى ، فاثبت عليها ولازمها الى أن يتمكن ذلك من قلبك فينسيك كل ما سواه ، فلا تشعر بنفسك ولا دنياك ولا بشىء غير الله قطعا ، فهذه هى المرتبة لا فوق فوقها فى شىء من هذا العلم ، وهى هى التى يسمونها بالفناء الغيبى ، وكيمياء السعادة الأبدية •

وعندها تشاهد بالكشف مواطن الملك والملكوت ، وتشاهد العجائب والغرائب ، وتشرف على مقام كن أكبر الله أكبر الله أكبر ، أمر جليل يحق للعارف أن يسمح بالنفس فى طلبه ، وذلك سهل لمن ييسره الله تعالى له ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لما خلق له » •

وأما نحن فقد التقطنا أحاديث الأقوام ، فقمنا نتكلم على قياس ما ذكروا من ذلك من غير تجرد ولا تجربة ، لكن دلتنا شواهد العقول ، وصحة المنقول ، على أنها من المقبول كما جاء فى الحديث النبوى : « من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه » فهى هى وإلا فالمرء من المؤمنين قد يخلص فى أكثر من تلك المدة ، ولا يكون كذلك ، ولا يتكل الانسان فى ذلك على الأربعين ، فان القلوب قد تختلف أحوالها ، ولا شك فان استحكم فيه الصدى ليحتاج أكثر من المدة لجلائه وتطهيره ، حتى يكون قابلا للطائف الواردة عليه ، بخلاف الطاهر الزكى •

واذا كان نبى الله موسى عليه السلام مدده ربه ثلاثين ليلة فأظنك بمن كان من أمثالنا ممن غلب عليه الصدى ، فافسد قلبه •

اللهم نسألك الاعانة على سلوك هذه الطريق ، والأمن من مواطن أخطارها ، والهداية لقطع أوعارها ، وأن تجعلنا ممن أخلص لك ، وتوكل عليك ، فكفت له أنت وكيلا ، وكنت له دليلا ، وييسرت له اليك سبيلا ، فهديته الى ما هو له أقوم قيلا ، وجنبته عن مواطن الزيغ والردى ، وأشرقت فى قلبه مصابيح الهدى ، فانه لا سبيل الى ذلك إلا بك ، ولا قوة لنا على شىء منه إلا بتوفيقك ، (اياك

نعبد ، واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) •

فهـذه يا والـدى نصيحتى لك ، وذخـرتى لديـك ، واللـه خليفتى عليـك •

* مسـألة :

ومنه : أن الشيخ ناصر بن أبى نبهـان يقول : لا يعلم اليوم أحدا يقرأ القرآن بتجويد ، وان كتب التجويد من قومنا لا يصح الاعتمـاد عليهـا فى ذلك ، وأنه قال : لو سمعت أحدا يدعى تجـويده ، وهو امام لما صليت خلفه ، هذا كلامه فأوضح لنا حقيقته ، والسـلام عليك ؟

الجـــواب :

أما قوله : لا يعلم فذلك اخبـار عن علمه بقراء زمانه ، وغـير مكلف ما لم يطلع عليـه ، ولذلك أنه لم يقـل بالقطع انه لا يوجـد فى دهرك من يعلم تجـويده ، ويحسن ترتيـله وترديده ، لأن هـذا مقتضاه القطع بالغيب ، وتعاطى الغيوب من العيب ، فلذلك نزه الشيخ نفسـه عن ذلك ، ثم انه لم ينكر هذا العلم التجـويدى ، ولا قال ببطـلانه •

وانما أخبرك عدم العلماء فيمن وجـد من أهـل زمانه ، وانى لأقول بحـق ، من حـديث صدق ، انى لا أعلم فى دهرنا من أهـل عصرنا من هو فى مصرنا بالتجـويد خبير ، عالم بصـير ، فان كنـت واجـدا ولو واحـدا فدلنى عليه ، ودعنى من المتكلفين الذين يدعون العلم بجوامعه ، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، لم تجـد منهـم ميمونا على ذلك مأمونا ، فنتخـذه لنا قدوة ، ونرضى به لنا أسـوة ،

والمصنفات المذكـورة ، ولو كانت مشهورة ، فلا يمكن تعاطى ذلك العلم منهـا بالنقل عنها ، إذ لابد فيـه من مشاهدة شيخ يريك رسـومها ، ويكشف مختومها ، بعـد تخلصـه من رياضة نفسـه ، متفرغا لتمرين غيره بادراجه فى سمط المجاهدات ، بمعاهدات تلك الرياضات ، فانه علم الرياضة اللسانية بأحكام المخـارج الحرفية ، بالأنواع الكمالية •

من عجائب صفاتها ، على قوانين اختلافاتها أو ائتلافاتها ، مـع تنوع مواقعهـا ، فى مراتب مواضعها ، بمحـكم درجاتها ودقائقهـا ورقائقهـا ، وما أظنـك عـارفا بكيفية هـذا العلم أصلا ، والا لمـا استنكرته مما سمعته جهلا فانه علم غريب ، وبناء عجيب ، قد وجدناه مأثورا ، فى الكتب مسطورا ، فلم نستطع عبـورا فى بحره ليعد فقـره ولم نستغن لتعريفه ، من الكتب بتوصيفه ، إلا لنتحـدث بما وجـدنا كما استفدنا ، كقواهم فى مخارجهـا الأصلية ، حلقيـة ولهوية وشجرية وأسلية ولثوية وذلوقيـة وشفوية وهوائيـة ، أو صفاتها الضرورية ، كالجهـر والهمس والرخاوة والشـدة والمنفتحة والمنخفضـة والمستعلية والمضمنة ، والمذلقة والصفير والمتفشية والمسـتطيلة واللهتـوية والقلقة أو نعوتها الجمالية الحسنية الكمالية ، كالترقيق والتفخيم ، والامـالة والفتح والتسهيل والتخفيف ، والاخفـاء والقلب أو الادغام أو الروم أو الاشـمام وهـلم جـرًا فى سـائرها الى آخـرها ، بتفـاريع وجوهها ، على اختـلاف أنواعهـا ، بمراعاة الجائز فيها حال وصولها ، أو الوقوف على فصلها •

وقد وجدت منها فى الوقف على الهمزة من الوجـوه المروية لحمزة خمسة وعشرين فى : (هؤلاء) ، وسـبعة وعشرين فى : (قل أئنبئكم) ،

وستين وجها فى قــوله : (ان أولياؤه) فأين رجــال هــذا الميــدان ، وفحــوله وهذا الأفنان ، قد ضمتهم الأرماس ، وغيبت منهم النــاس ، وبقينا من وجود أمثالهم على اليأس ، فكان الأولى بنا الرجــوع الى لســاننا السليقى ، وأنه بحمد الله لعربى *

وكان الشيخ قد ظهر له من حــال المتكلفين ما حاصــله تشــدق بالكلام ، وذلك بعيد عن المرام ، فلذلك شــدد النكير فيــه وقال : فكلامه صحيح لــكن على تخصيص معلومــه ، لا يتنــاول الــكل بعمــومه ، فلو وجــد الخبير به لكان القــول باستحسانه منــه قــولا فصــلا ، ولصار الرجــوع اليه أصــلا ، وغير ملوم أنت ان ذهب بك العجب ، الى كل مذهب ، فالمــرء عدو ما جهــل والســلام •

*** مســألة :**

ومنه : وما تقول فى دخول الكنيف بالأسرار ، ولبس الجنب لهــا أهمــا مما يبطلهــا أم مما يكــره ؟ واذا ثبت أنهمــا مكروهان أتــكون كراهيتهما كراهية تحريم أم تنزيه لهــا تفضــل بالبيان ؟

الجـــواب :

لا أدرى فى الأسرار قولا من أهل العلم مما يكره لحائض ولا جنب ، ولا فى كنيف ولا فى غيره ، ولا ان شــيئا من ذلك مما يبطلهــا ، لأن موضعها القلب ، ولا يلتبس شىء من هــذا لم أرد بقــولى الأسرار ما أخشى فيه من المودعــة فى القلوب ، فانما أردت بها ما انطــوت عليه أســماء الله العظام من الأسرار الخفيات •

فهل ترى فيها ما استفهمتك عنه فى مسألتى التى أجبتنى فيها حسب ما أفهم لفظها ؟

الجـــواب :

لا نـام المجيب على ما فى القلب هو السر العجيب ، وقد أجمل السائل لما احتمل كثيرا من الصور فيما هو قائل ، ففى الحديث أن سر الله فى الأرض القدر ، وبعض أهل العلم قال للسر فى الحجر ، ورآه آخرون فى الشجر ، وأثبته قوم فى الشعر ، وفرعه آخرون الى كثيرة أنواع أخر •

وان رجعنا الى ما كان من الأسرار فى الآيات ، أو فى الأسماء المعظمات ، أو الحروف المطلسمات ، أو الاوفاق المشكلات ، فأمر آخر يقتضى ، ولابد لحملة أحكام لكن نفس الأسماء ، وما تنطوى عليه من الأسرار الخفية يشبه أن يكون على وجوه كثيرة من البسط والتكسير ، والمزج والترتيب ، والاستخراجات والتكعيب ، والتوليدات المتسلسلة المستنتجة من بعضها بعض بالقوانين الحرفية ، والرباطات الفلكية ، وقد يكون فى بعضها لبعده عن الأصل أو قربه منه ، ما تتبدل الأحكام به ، حتى لا يكره لبسه على حال •

ونفس الأسماء لا يمنع منها جنب ولا غيره ، ذكر أولا حملا ولا لبسا ، بخلاف الآى الشريفة كما ثبت عن الله تعالى لقوله لموسى عليه السلام : اذكرنى على كل حال ، فانه خير لك ، وذلك لا يبطل سرها •

اللهم إلا لأن الجنب والحائض ينبغى وضعهما لذلك ، لما ثبت فى الحديث أن الملائكة لا تقربهم بخير ، وهذا مضاد للأسرار المأمولة ، وأخاف أن يكون فيها ما يبطل ذلك من غير نص أحفظه ، فينبغى

أن ينظـر فيـه ، فانـه لا على الاطـلاق أيضـا فيما أرجـوه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وقد وجدنا شيخنا فى الخطبة لا ينسى الله لعباده عمـلا ، ولم نعرف نصب هذا الجـلال وأولـه إلا وكل موفر حظـه كملا ، لا ينسى الله لعباده عمـلا ، وهو بخط ناسخ نحـوى عمر بن مسعود المنذرى ؟

الجـــواب :

نصبه غلط من الناسخ ، والصواب رفعه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وقد ارتابت شيخنا قلوبنا من موت الأطفـال وغصصهم بخـروج الـروح ، وهم لم يجنـوا شيئا فى دنياهم ، أهـذا شيخنا عبرة للناظرين ، أم يكون لهم عذاب فى الدنيا لئلا يخـرج أحـد منها من غير مكابدة ؟

الجـــواب :

أما تألم الأطفال وغيرهم من البهـائم بالأمراض والمـوت ، فليس هو محتاج الى عـلة لا من ذنب ولا غيره ، فليس السقم مقصـورا على حاجـة ، ولكنـه من فعـل ما لا يسـأل عمـا يفعـل وهـم يسألون •

سؤال من خميس بن سابم الأزكوى لشيخنا الخليلى :

أنهى الى البـــدر الـــذى تبلجـــا
فى ذا الزمـــان نـــوره وقـــد دجـــى

ومن هـــو المـــرء اذا ما عرجـــا
عليـــه قـــر ناظـــر وابتهجـــا

والخطب أن يـــدج جـــلاه بالحجـــا
والنجـــم لا يشرق الا فى الدجـــى

ومن غـــدا مقـــداره قـــد عرجـــا
فـــوق السـها والفرقـــدين معرجـــا

ســـليل خلفـــان بن أحمد رجـــا
كل صريخ جـــاء يبغـــى المنهجـــا

حيث يقـــال ان يـــزغ ويرتجـــا
تفســـيرها أى أخبرنى فأنهجـــا

لازال فى العليـــا يعلو درجـــا
عـــزا يـــرى الأنس به والفرجـــا

مســـألة عـــن أرأيـــت انبلجـــا
فيهـــا مـــرامى فاهـــدنى المنهجـــا

اسـم لفعـــل هى أم فعـــل يحجـــا
وماضـــيا كصـــوغه المعلـــوم جـــا

ولفظهـــا فعـــل مضى نهجـــا
فمـا لمعنـــــاه لأمـر عرجـا

والتـاء فيهـــا أضـمير ولجـــا
هنـاك أم حـــرف خطـاب نهجـا

والكاف بعـد التا لأى قـد لجـــا
نحـو أرأيتـك اليحـاميم العجـا

ما لذى التا مطلقـا بهـا يجـــا
مفتـــوحة ان كافهـــا تولجـــا

فاكشـــف لنـا برفـع لبس مدمجـا
عن وجهـــا لنبـدى التبرجـــا

لازلت نبراســـا لنـــا توهجـــا
فى كل ليـــل للخطـــوب قـد سجا

ومن خميس خـذ ســـلاما أبهجـــا
تحيـــة منـــه اليـــك سجسجا

فأجـابه رحمـه اللـه :

هـــاك جـوابا ببنـــات أعوجـــا
ينـوء لو حمـلن منـــه الأرجـــا

والحـق فى الوزن ثقيـــل حيث جـــا
يهـــدى تحيـــات بهـا تموجـا

لطـــالب فى أرأيـــت المنهجـــــا
فعـــلا بصـــيغة المضيى انتســـــجا

والفاعـــل التـــا فى الأصـــح حججـــا
والكاف حـــــرف للخطـــاب أدمجـــا

ومـــا بفعـــل غـــيره تولجـــــا
إذ لاســـم فعـــل أو مضـــاهيه يجـــا

بـــه عـــلى الخصـــوص أنى ولجـــا
كمثـــل ذياك وهـــاك البهجـــــا

وذا الـــذى يســـهل فى التـــا النهجـــا
أكان هـــذا الكاف إذ لـــم يلجـــــا

فعـــلا ولا محـــل اعـــــراب لجـــا
صـــار مـــع التـــاء كشىء نسجـــا

معـــا على فتحتهـــــا ما سمجـــــا
وعبروا عنهـــا بأخبـــرنى رجـــــا

اصـــابة المعنى الـــذى تبلجـــــا
ســـهلا لاســـتفهام ذاك المخرجـــــا

كمثـــل أأســـــلمتم يـــا من نجـــــا
والعـــرض والتخصيص فيـــه خرجـــــا

ذوا والدعـــا فليس يأبـــاه الحجـــــى
فرحـــم اللـــه فتى لـــــه ارتجـــــا

معنـــاه رب ارحمـــه واكفـــــه الرجـــا
ولكنهـــا ممـــا القيـــاس اختلجـــا

عنـــه لتخصيص لهـــا بـــذاك جـــا
والحمـــد للـــه الـــذى قـــد ثبجـــا

من الهـــدى ما قـــد يزيـــل البهرجـــا
بالحـــق حمـــلا بالثنـــاء مبهجـــا

وما قولك فى قولك ؟ :

وفيهـــا مقـــامات لأهـــل ســـلوكها
سموســـا واقفـــــارا تنير وأنجمـــا

لفظة تنير معدى أم لازم أم يجـوز فيها الوجهين وما محلهـا هنـــا ؟

الجـــواب :

لازمهـــا تنـــور ومعداها تنير ، وشـــتان بين نير فى نفســـه غـــير منير لغـــيره ، وبين منور لغـــيره نير فى نفســـه ، لأنـــه كلما أنـــار لغـــيره فلا شـــك أنه نير فى نفســـه ، وإلا لمـــا تعـــدى النـــور منه لغـــيره ، والمقـــامات المذكورة واســـعة الأنوار ، مبثوثة أنوارهـــا فى صدور أهليهـــا ، وبهم لغيرهم أيضـــا بما حصل التعـــدى فيها .

*** مســـألة :**

ومنه : وما تقول فى الوفق والأسماء المتخذات للأوراد لشىء من

المعـانى اذا أجنب حاملهن فى المنـام وأزالهن منه فى الحين مع يقظته ، أتبطـل الخاصية منهن ، ويبدل غيرهن ، أم لا بأس بذلك عرفنى الحال وأنت المأجـور ؟

الجـــواب :

أما ابطال السر فالله أعلم ، لا أحفظ فيـه شيئا ، ويعجبنى أن لا تبطل ، وان خـاف بطلانه فليبدله ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وما تقول فى اخراج أعـداد الأملاك من الأوفاق إذا تقدم فى اللفظ الأقل من العـدد أو الأكثر منـه ، أو الأسـط أكله سـواء أم لا ؟

الجـــواب :

يقدم الأقل إلا مع الألوف ، والله أعلم •

سؤال من جمعة بن خصيف :

هيـا من زكا فعـلا وفرعـا ومحتـدا
ومن برداء النزه والـورع ارتـدا

وأشرقت الأرضـون من نور علمـه
فلم يـدح ليـل الجهل مذ نوره بـدا

وعطـرت الآفـاق ريـا خصـاله
فلـم تـأت إلا وهـى فى أرج النـدا

ومن هـوان وافتـه عوصـاء راضهـا
وجـلا معانيهـا فنـار بهـا الهـدى

سعيد بن خلفـان المحلى الى العـلى
سـما كرمـا فخما ومجـدا وسـؤددا

فتيت فتى فى النائبـات مراغمـا
لـكل صريخ مقتـد بـك مهتـدى

أتيتـك روم الحـق لا متعنتـا
ولا عائبـا فيمـا بـه جئـت فى ددا

أيثبتـت قـول القـائلين بأنـه
الصـلوات ما أجيـب لهـا النـدا

عـلى جبتهـم أثنى على غلـط أتـى
وأثبتـه سـهوا شفيعا لهم غـدا

فان صح ما قالوا فمن أين قـد صفـا
وسـاغ لهم هـذا قبـولا ومـوردا

وقد كان معصوما من السهو فالـذى
أتانا بـه من ديننـا أمثـل الفـدا

وكان عـزيزا ذكـر ربى لـم يـكن
ليأتيـه الشـيطان قد ضل واعتدى

والا فمـا معنى تمنى نبينـا
واخـوانه ان كان فى الذكـر مـوردا

والقاء ابليس اللعين ونسخه
أفدنى جوابا شافيا يكشف الصدا

ببسط وتفصيل رحاقا ختامه
من المسك سلسالا صفا يقطع الصدا

فاجابه رضوان الله عليه :

ألا قل لمن ألقى البحوث وأوردا
الى من باعياء وعى تفددا

وضاق بحل المشكلات ذراعه
وفى واضح التأويل لم يمتدد يدا

ولكن ذيا عن حمى الآى قادنى
لدفع دواعى الطعن ممن به اعتدا

لقد شاع فيما ذاع بين أئمة النقا
سير فى ذاك النزاع ممهدا

فقيل تمنيه لإيمان قومه
مزيدا له حرصا عليه موكدا

وقيل تمنى دفع مسكنه به
فأصبح مشغول الفؤاد مبددا

وفيه عن الله اشتغال بغيره
فأضحى الى الشيطان ذلك مسندا

كمـا قال فى الشـيطان أيوب مسنى
بنصـب وتعـذيب عـلى تعـددا

فسـلاه رب العرش ان كان مصطفى
تمنـى يـلاق ما لقيـت ليحمـدا

ولـكن يزيـل الله بالنسـخ عنهـم
وسـاوس ابليس وما كان شـيدا

ويحـكم آيـات الكتـاب بعصمة
النبيـين إذ كان الإلـه مسـددا

وقيـل تمنـى أى تـلا آى ربـه
تمنـى داود الزبـور المؤيـدا

فخـلط فيـه قـومه ما يغمـه
بنسـبتهم إيـاه للوحـى مسـندا

ومـا كـان إلا إفكهـم دون قـوله
وما نطقـت منـه لسـان لا اعتـدا

فـذلك ما ألقـاه شـيطانهم لهـم
كمـا قال والغـوا فيه من كان ملحـدا

فينسـخ عنـه اللغـو والإفـك ربنـا
ويحـكم آيات بهـا النـور والهـدى

وقيـل بـلا والنجـم فى مجلس بـه
يخاصم فى الأصـنام من كان أفسـدا

فقـــال أهاتيـــك الغـــرانقة العـــلى
وهل يرتجـــى منها الشفاعة والنـــدى

كلامـــا له عن نفســـــــه فى احتجاجه
عليهـــم بـــه مستفهما تلكم العـــدى

كمـــا قـــال ابراهـــيم هـــلْ يسمعونكم
وهل منهـــم ضـــر ونفـــع تولـــدا

وهمـــزة لاســـتفهام تقـــدير حذفهـــا
يصـــح ومن يفعـــلْ فليس مفنـــدا

وان نكـــث الأقـــوام خـــلى ســـبيلهم
وعـــاد الى القـــرآن يتـــلوه منجـــدا

فما رابـــه إلا متى خـــرّ ســـاجدا
مغالطـــة منهـــم يخـــرون سجـــدا

وسموا عنـــادا مدخـــة منه ما بـــدا
على أنفهـــا أمضى الحســـام المجـــردا

فأخـــبره جبريـــل واللـــه منـــزلٌ
من الآى ما تبقـــى على الدهـــر سرمدا

فهـــذا الذى الشـــيطان ألقـــاه هاهنـــا
وبنســـخه الرحمـــن نســـخا مؤبـــدا

وما صـــار كيـــد المشركـــين وإفكهـــم
ولـــن يطفئـــوا من نـــوره ما توقـــدا

ومن قـال ان المصـطفى زل أو سهـا
وفى الوحى بالوسواس قـال وزيـدا

فقـــول مخـل بالوثـــوق بعصـمة
النبيين والقـرآن والوحـى ان بـدا

وجـوز بعض كـونه من قبيـل مـا
به يبتـلى الرحمـن من قـد تعبـدا

ليعـلم من فى ايمـانه راســخ ومن
يزلزلـه شـك ويزعجـه الـردى

ومن أعجب الأشـياء شىء سـمعته
رسول أتى بالوحى من ربـه الهـدى

يقول ولـم ينطـق هـوى ثم أكـدت
بان هـو إلا الوحـى من رب أحمـدا

ويتبعـه بالسـهو فى إثر قـوله
وإلقـاء شـيطان عليـه تمـردا

أمـا فى متـون الآى مارد نطقـه
بهـا زللا آمنت بالآى فاشـهدا

وما جعـل الرحمـن فى الآى مدخـلا
لإلقـاء شـيطان وتلبيسـه اعتـدى

وظاهـر ذى الآيـات لـم يأت كـله
تأولـه والحـق يجـلى به الصدى

أصـاب وجـوه الحـق فيـه عصـابة
جـلوا منـه للسارين بـدرا مخـلدا

فهـذا جـواب من ضعيف فـان يـكن
هـدى فاشـكر الله الذى عبده هـدى

سؤال من جمعة بن خصيف :

سؤال لشـيخى الفقيـه الرشـيد
سـعيد بن خلفـان غـوث الطـريد

لمـن ذا تـكون الشـفاعة مـن
أهلهـا يـوم تبـدو أفعـال العبيـد

فمـا ان تجـوز لأهـل المعـاصى
الجـديرين بالنـار ذات الوقـود

وأفلـح أهـل الفعـال الجميـل
بـدون شـفيع بفضـل المجيـد

وفيـم تـكون من الإثـم يـاذا
البراعـة يا ذا المقـال الشـديد

فهـات الجـواب هـديت الصـواب
جـزيت الثـواب لـذا المستفيد

فأجـابه رضوان الله عليه :

ألا بلغـــن روات القصـــيد
مقـال سـراه نحـارير صـيدا (١)

لقـد خالفـوا البطـل إذ وافقـوا
على الحـــق آى الكتـــاب المجيـد

فما لظـــلوم شـــفيع يطـــاع
نفـت كونهـــا لغـــوى مريـــدا

ولا يشـــفعون لمـــن لا ارتضى
بهـــا تثبتـت لـــولى سـعيد

فلا تثبـــتن من الاســـم جـــزما
شـــفاعته مـــن كبـــير سـديد

ولكنـــه شـــافع للـــورى
بيـوم القيـــامة يـــوم الوعيـد

إذا اشـــتد كـــرب بطول الوقـوف
وغصـت بـذلك نفـــوس العبيـد

فيأتـــــون آدم يستشـــفعون
بـه وخليـــل العـــزيز المجيـد

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك والاسد ، والنحارير : جمع نحرير وهو العالم البليغ ، كأنه ينحر العلوم نحرا ، وسراة : جمع سرى وهو الشريف . ا . هـ .

ومـوسى وعيسـى فـلا يشـفعون
لتفـريج شـدة كـرب مزيـد

فينهض خاتمهـم شـافعا
ويلهـم كل الثنـاء الحميـد

فيأتـى ويشـفع فيهـم ويعطى
لـوى الحمـد فى يـده والسـعود

فهـذا ومحتمـل غـيره
لأهـل التقـى فى جنـان الخلـود

كرفـع محـل وتقـريبه
وتعظـيم منزلـة للسـعيد

وأمـا مقالهـم أنهـا
لأهـل الكبـائر غـير الجحـود

فهـذا جـواب لمـن جـاء عن
إلـه السـموات رب ودود

فخـذ ما أتـاك ودع غـيره
وربـك فاشـكر تفـز بالمـزيد

وله رضـوان الله عليـه :

تـوق اذا سـافرت ان كنت تتقـى
جهـات بأيـام أتـت عـن منمـق

ففى الأحـد احـذر مغـربا كعـروبة

وفى السبت والاثنين دع كل مشـرق

ومثـل الثـلاثا الأربعـا فى شـمالها

وجانب جنـوبا بالخميس توفـق

وله أيضـا رحمه الله :

فى الشـهر يومـان رتبت كلمـا

خـذها محـاذية عـد الشـهور معك

ألفاظهـا من حروف الجمـل ائتلفـت

للفصـل فى وسـطهن الواو يظهر لك

دوهـى أوج يـوك أوه بوهـى أود

ايوبى حـرد ووط ووح ونـوه و د ك

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر

رجب شعبان رمضـان شـوال القعـدة الحجـة

ومن كلامه رضوان الله عليه :

فى كل شهر رأوا يومـا بـه نحسـا

خـذها مرتبـة والواو فيصـلها

بأحـرف ضمن سـمط مفـرد جمعـت

ينبيـك عن عـدها المشـهور جملها

بـــى وى ودوح ودك و ب و ب ى
وجك ودك و ح و ح ك و ح تـــم مجملها

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر
رجب شعبان رمضـــان شـــوال القعـــدة الحجـــة

ومن كلامه أيضـا رحمه الله :

ان التى منجيـــات ســـميت ســـور
خـــذ نظم أســـمائها كالدر فى الســـلك

كهـــف وجـــرز ويس وفصـــلت
الدخـــان واقعـــة بالحشر والمـــلك

ومهلكات المعـــدى ســـبع أتاك بهـــا
بيت بتـــورية من أحســـن الســـبك

مزمـــل فى بـــروج طـــارق بضحى
لشرح قـــدر قريش فى شـــذا المســـك

والمنقـــذات لنا ســـبع بكوثرهـــا
وافت وســـت تليهـــا بعـــد كالحبك

بســـم الله الرحمن الرحـــيم

وبه نســـتعين •

الحمـــد لله الذى هدى عباده لمعرفة الحساب ، فضـــبطوا السنى وقائعهم وأيام نوادرهـــم بالتاريخ لئـــلا يقـــع فيهـــا الارتياب •

وصلاته وسلامه على رسوله القرشي ، وعلى آله وصحبه في الضحى والعشي .

أما بعد :

فهذه أبيات منقولة في ضبط التاريخ سيل عظيم وقع بمكة شرفها الله تعالى ، حتى قيل : ان الماء وصل الى القناديل ، ودخل الحرم الشريف وهي هذه الأبيات قوله شعرا :

أتى السيل مجتاحا لمكة طالبا
فطهرها واجتاح منها الأباطيلا

وما قصد الضر الشنيع وانما
أراد من الركن المعظم تقبيلا

يقولون أرخ كونه قلت فاكتبوا
سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

لما مر على هذه الأبيات شيخنا العلامة الفقيه الأستاذ سعيد ابن خلفان الخليلي راقته طرتها ، وأعجبته بردتها ، فاستطرف منها صيغة التاريخ غاية الاستطراف ، إلا أنه استدرك على ناظمها معنى معنى البيت الأول منها ، لكونه أثبت لمكة وحرمها أباطيلا ، كأنها قارة فيها فاجتاحها هذا الآتي المزيد ، وكان الأولى حسم ذكرها رأسا ، واستعمال ما يدلي بالمدح الجميل لها ، والثناء الحسن عليها ، والتقديس لمحلها عن اقترانها بالأباطيل ، كما تقرر رعاية لها ، لما خصت به من الشرف الباذخ الغريق ألا هو حرمة البيت العتيق .

وحين كشف لى هذا الشيخ عن هذا المعنى الحسن البسن ، وأطلعنى على ذلك النسج الدقيق بل له نسج اليمن ، تشوقت الى سكه فى قالب الحسن واللطافة ، وتاقت نفسى الى ابراز صورته النورانية كما استجلى أوصافه ، فلم أر من بذلك الغرض نسيج وحده فى عصره ، سوى ذلك الشيخ الذى تشرف القلم آنفا بذكره ، فحاولت حينئذ من جنانه حديا قصدى ، فقاض به ثمدى وأورى به زندى •

فقال : وقد ضمن ذلك التاريخ السيل الذى وقع بمكة ، ودخل حرم الكعبة فى سنة ١٣٧٩ •

فقال :

لقد حج بيت الله سيل عرمرم
وطاف كما طاف الحجيج وسلموا

تشوق للبيت العتيق ومكة
فجاء كما يأتى المشوق المتيم

وقبل منه الركن والحجر الذى
تساما فحياه الحطيم وزمزم

فلا تعجبوا ان عاد ذكرا فانه
تعاظم قدرا مثل ما يتعظم

وما كان مجتاحا ولا مفسدا لها
ولكن به من رحمة الله أنعم

يطهر أوساخ البقاع مقدسا
لما مسه منها عصى ومحرم

كمـا بفنـاء البيت والحجـر اغتـدت

تطهـر أوسـاخ الذنـوب وتحسـم

فنلـه من أرضـ مقدسـة بـه

وتاريخـه حيـا غمـام مسـلم

فتأمل فيهـا أيها المتوسم ، فهى لعمرى خريدة لا يظفر بمثلهـ الخطاب ، تكاد أن تعشـق بمجرد الصفات من وراء الحجاب ، ثـم ان شـيخنا البحـر الزاخـر الفرات ، بعـد ما طرز حواشى هـذه الأبيـات ، سـنح له فى تأمل ذلك التـاريخ ابرازه فى صـورة غير الأولى ، على أرفـع من الربيح ، فقال شـعرا :

قـد سـمعنا ما لم يـكن مذكـورا

آيـة تمـلأ المسـامع نـورا

ذرفـت أعـين السـحائب من خشـية

رب السـماء دمعـا غـزيرا

سـكبته مـاء ولـو انهـا اسـطا

عت لأجـرت من الدمـاء بحـورا

فأتـى سـيلها وفى القـلب منـه

خفقـان تظنـه مذعـورا

عجبـا هى عطفـه وهو الزحـا

ف والجفـن منـه أضحى سـهيرا

أقلقتـــه مخـــافة اللـــه حـــتى
حـــل بطحـــاء مكـــة مســـتجيرا

أدركتـــه عنـــاية أوردتـــه
حـــرم اللـــه بيتـــه المعمـــورا

يطلـب العفـــو والأمـــان من اللـــه
وكـــان المـــولى سميعا بصـــيرا

عقـــد النـذر والطـــواف فقـــل
تاريخـــه فاجـــى السيل وافى النـــذورا

فنزه أيها الناظر ناظريك فى رياض نظم هذا الشيخ المولوى إجتـــلاء محاسن غـــيره ، واجتناء أطايب ثمره الطرى ، فانك تظفر هنالك بمـــا يربوا فى القيمـــة على العين ، بل لعمرى بمنية النفس وقرة العين ، وقد نظمت أيضـــا على هذا النمط ، وان كان ما نظمته عن مشاعر ذلك الشيخ وســـحط .

فقلت وهذه ستة أبيات مع النثر لخميس بن سليم الأزكوى :

رووا أن ســـيلا حج فى عسكر مجـــر
وقـــد فـــاز لمـــا طاف بالبيت والحجـــر

وأحـــرم كـــى يقضى مناســـك حجـــه
الى البيـــت من شـــفع هنـــاك ومن وتر

دعـــاه الى ذلك الخضـــوع لربـــه
فلبـــاه كالســـاعى على رجـــل الخضر

ولا غـــرو اذ لا شيء إلا بحمـــده
يســـبح أو حجبت اذن أدمـــع القطـــر

ومـــا كان جيحـــون وســـيحون مثـــله
ولا الدجلة الزوراء ولا النيـــل فى مصر

ولكن فى تاريخـــه وصف قـــــدره
فتاريخـــه أضحى وقـــد فاح كالبحـــر

نقلت من خط العـــلامة الخليلى ولعـــل البيتين من كلام القافيتين الهائية والرائية له رحمة الله عليه •

ومن كلام جمعة بن ضيف :

ما لنـــا لا نســـــتعمل التشـــميرا
أنرجـــى فى هـــــذه التعمـــــيرا

متوانـــين فى المســـير الى اللـــه
وما حـــظ مبطـــىء موفـــــورا

وســـوانا بالبـــاب فى كل حـــين
واقـــف يطلـــب الرضـــــا مســـتجيرا

ان فى ذا الآيـــــة ودليـــــلا
لفتى كـــان بالأمـــــور بصـــيرا

ومن الآى ان تطـــــوع ســـيل
حـــين حج البيـــت العتيـــق منـــيرا

جـــاءه واســـــلا بـــه مســـــتجيرا
ومن اللـــــه خائفـــــــا مذعـــورا

قبـــل الحجـــر منه والحجـــر الأســـود
ان فى ذلك الســـــواد لنـــــورا

أغبطتـــه الســـــيول اذ حاز فضـــلا
من ملاقـــاته الحطـــــيم كثـــــيرا

وتعـــالى قـــد قـــدر العليـــا ما حـــج
لـــذا كـــم قـــد صـــار بحـــرا غـــزيرا

أرخـــوه قـــد بايـــن البيـــت حـــزنا
بعـــد أن حـــج حجـــــه مـــبرورا

وقال بعضهم شـــعرا :

من خـــاف من ثـــاب الزمـــــان وعضه
فليزرع القـــت النضـــير بأرضـــه

فى كـــل شـــهر منـــه تأتـــى غـــــلة
تغنيـــــه عن دين النجيـــل وقرضـــه

فقال مجاوبا له رحمه الله :

من خـــاف من نـــاب الزمـــان وعضه
فليـــدع رب العـــرش خـــالق أرضـــه

فى كل يـــوم منـــــه تأتـــى رحمـــــة
تغنيـــــك عن دين البخيـــل وقرضـــه

وللمتنبى فى هذا الشأن :

اذا لم تجـــد ما يبتر العمر قاعـــدا
فقم واطلب الأمـــر الذى يبتر العمـــرا

همـــا خلتـــان ثـــروة أو منيـــة
لعـــلك ان تبقـــى بواحـــدة ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه الشيخ الخليلى :

اذا أنت لمن تبـــلغ فى العـــلم رتبـــة
فقـــم واعبد المولى وأخلص لـــه الشكرا

همـــا رتبتـــان لكـــرام عبـــاده
وعـــلم بهـــن اللـــه يحيى لـــه ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه :

أيا ســـائلى صرعـــا صحيحا مجـــريا
اليـــك مقـــالى بينـــا ليس يكتـــم

هو الواو ثم الشـــين واللام بعـــده
ضـــع الغين والخا أول الاســـم تعـــلم

وزاى تليهـــا الراء والطـــاء بعـــدها
ولام وهـــذا الاســـم بالهـــاء يختـــم

وضـــع ألفـــا من قبـــل وتاليـــا
للام وبين الـــكاف والغـــين يرســـم

فـذلك خوشـلغ برز طـلة اقتفـى
ويتلـوه اخـلاكاع والله أعـلم

ثلاثـة أسـماء تظـاهر فضـلها
على أنهـا فى كف ذى الطهـر ترقم

فضـع كل اسـم مرتـين على الـولا
ومن بعـدها اكتب احضروا وتكلمـوا

ويسن تتلـوها الى حيـث قـوله
وكـل لدينـا محضرون لتعلمـوا

وما كل انسـان صـحيح موافقـا
لصرع ولـكن يصرع البعض منهمـوا

فدونـكه صرعـا صحيحا رويتـه
عن ابن أبى نبهـان ذاك القليـذم

هو العـالم الحبر المسمى بناصـر
فلازال باللطـف الالهـى ينعـم

روى عن أبيـه السـيد القطب جاعـد
هـو العالم البحـر العظيم الفطمطـم

عليـه سـلام مثـل ما هـو أهـله
وذلك شىء حصـره ليس يعـلم

ومما هو مضـاف الى الكتاب عن شـيخنا البطاشى اسم الـزوج يطـلق على الواحـد أم على الاثنـين ويـكون مثـل الشـفع فى التسمية أم لا ؟

الجـــواب :

لا يحسن عندى أن يكون الزوج كالشـــفع ، لأن الشفع اســـم للاثنين ، والزوج اسم لـكل واحـــد معه آخـــر فيقال فيهما : زوجـــان لاشفعان ، والله أعلم •

*** مســـألة :**

وعنه وما ذكـــرته من السؤال فى الرجـــوع بتاء الفاعل الى ما عليه أصل البناء من السكون ؟

فالجـــواب عنه :

أن ذلك لا يمكن أن يكون لوجهين :

أحدهما : أن كون المبنى على حرف واحد مانع من السكون •

والثانى : أن تاء الفاعل يسكن لأجلهـــا ما قبلهـــا ، فاذا سكنت هى التقى ساكنان على غير حـــده ، وذلك ممتنع لا فى حـــالة الوقف ، والله أعـــلم •

وما ذكرته من السؤال عما قيل ان ألف الإلحـــاق تتميز عن ألف التأنيث اذا وقعت فى آخر اسم يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، وان وقعـــت فى آخـــر اســـم لا يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، فهى ألف تأنيث ؟

الجـــواب عنه :

أن ذلك ظاهـــر فى الاســـمين المذكـــورين فى كتـــابك ، وهمـــا أجـــلا بفتح حروفه الثلاثة اسم لمكان وبردا يفتح حروفه الثلاثة اسم

لنهر دمشـــق ، فان ألفهمـــا تأنيث ، إذ ليس فى الأســـماء فعال بفتح الفاء والعين واللام الأولى تكون هذان الاســـمان ملحقين به ، فتعينت ألفهما للتأنيث •

واما سؤالك عن الجمع بالألف والتاء فشرطهما أن تكونا مزيدتين ، وشرط زيادة التـــاء احتراز عن نحو تاء أبيات ، وشرط زيادة الألـــف احتراز عن ألف نحو قضـــاة ، ولأنهمـــا أصليتان •

وأما تعليل اختيار هذين الحرفين للجمـــع المؤنث فان كل واحـــد منهما له دخل فى الجمعية على انفراده ، كرجال فى الألف ، وقضاة فى التـــاء ، وقد يجتمعان فى نحـــو : صياقلة وصيارفة فلذلك أوثـــرا على غيرهما فى الجمع المؤنث السالم ، والله أعلم •

أما السؤال عن تسكين تاء الفاعل فيؤتى ، وأما السؤالان الأخيران فلا ، وأما خطك فى ذلك التعريف فكله يؤبى لتداخـــل بعض حـــروفه فى بعض •

❊ مســـألة :

وعنه : قال أبو نبهـــان شعرا :

وقد كان من أوصـــافها فى صفاتهـــــا
على العكس كون العكس شرعا دعى لبـــا

وصف الشىء نعته فى الواصف له ، والصفات جمع صفة هى كالعلم للموصوف بما كان من خَلْق أو خُلُق ، وذهب قوم الى أن الصفة هى الوصف وليس بصحيح •

وقال فى موضع آخر :

تجـلى ظهـورا بالصـفات لذاتـه
الى طوره فاندك من نـورها شـهبا

تجلى بمعنى ظهر ، ونصب ظهورا على المصدر ، والظهـور نفس التبيين يقال : ظهر الشىء اذا بان ، والصفات جمع صفة وهى ما بان به الشىء من غيره على ما به هو فى نفسه •

وذهب قوم الى أنها هى الوصف ، وقد مضى القـول فيما مضى أنه ليس بصحيح انتهى كلامه نقـلا بحروفه رحمة الله عليه ورضوانه لديـه •

فانظر فيه قال : فقد صح من فحـوى كلامه رحمـه الله تعالى أن الوصـف كلام الواصف للموصـوف حيث يصـفه بصفته فافهـم رحمك الله •

وقد ذاكرتنى سابقا فى قول القائل : أنا أفقـر الخلق الى اللـه ، وأحوجهم اليه ، فأجبتك بما أجبتك ، ثم ظهر لى جـواب ثان وهو : كل انسان يرى بالنظـر الى نفســه انه كذلك ، وان كان غـيره مثله ، وهذه طريقة مستمرة فى الكلام •

ومنه قوله تعالى : (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) أى ان كل واحـدة من تلك الآيات ، ترى بالنظر الى نفسها أكبر من أخـواتها •

ومنه قول الأنمـارية وقـد سئلت عن بنيهـا أيهم أفضـل فقالت :

فلان ، ثم قالت : بل فلان ، ثم قالت : ثكنتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

ومنه قول القائل :

من تلـق منهـم تقـل لاقيت سـيدهم
مثل النجـوم التى يسرى بهـا السارى

ومن جـواب عنـه :

ان الله تبارك وتعالى يقول : (وربك على كل شىء حفيظ) هكذا أظن الآية أو ما يشبهها ان لم تكن كـذلك بحروفهـا ، والمعنى فى ذلك فيما أرجوه ان كل شىء من مثقال الذرة وما دونهـا وما فوقها محفوظ عنـده ، لا يغرب عن علمه منه شىء .

وأما الحفظ لمعنى الكلاءة من الآفات هو مختص بمن يريد سبحانه أن يكلأه منهـا ، فظهر بذلك أن الحفظ الأول عام ، والثانى خاص ؛ والله أعـلم .

ومن جواب عنه أيضـا :

أن اللـه ولـى جميع خلقـه ومولاهـم فى الدنيـا والآخـرة ، والمعنى أنـه مالكهـم وقاهرهم ، وأما وليهـم ومواليهـم ومولاهـم بمعنى ناصرهم فلا يكون إلا للمؤمنين ، ومن ذلك قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنـوا وأن الكافرين لا مولى لهم) فظهر بـذلك أن الولاية الأولى عامة والثانيـة خاصة فافهم ، والله أعلم .

ومن جواب عنه آخر :

ان الصراط رويت فى السبع فيه : القراءات الثلاث : الصاد الخالصة ، والسين الخالصة ، وهى الأصل والصاد مبدلة منها فى اللغة العالية ، والثالثة إشمام الصاد صوت الزاى إلا أنى لا أعرب كيفية اللفظ به ، واما الزاى الخالصة فقد عرفنا فيه أنه خطأ ، والله أعلم .

وعنه أيضا :

ما الوجه فى كتابة الصلوة والزكاة والحيوة والربوا بالواو عرفنى بذلك ؟

الجواب :

أما كتابة الصلوة والزكوة والربوا فقد قيل انها على لغة من يفخيها ، والله أعلم . فانظر فى جميع ذلك ثم لا تأخذ منه إلا الحق .

❋ مسألة :

وعنه أيضا : ان عظم الشمس مقدار كبر الدنيا كلها ، برها وبحرها مائة مرة وستين مرة ، وأن سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وأن علم الخلائق لا يجاوزها أحد من الأنبياء ولا من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا مبلغ علمهم اليها .

وعنه : السبرات هى الليالى الباردة اللاتى يكون فيها البرد الشديد .

❋ مسألة :

وعنه : وهل شىء من سور القرآن اذا بدأ بقراءتها لا يجوز تركها إلا بعد تمامها ؟

الجـــواب :

لا أعلم فى ذلك إلا ما قد قيل من الكراهية فى ســورة الأنعــام ، والله أعلم •

رجع الى كتاب التمهيد •

*** مســألة :**

وما تفسير قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) الى تمام الآية بين ســيدى لى ذلك ولكل الأجــر ؟

الجـــواب :

قيل : أنزلت فى كفار مكة ، منعوا النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ، والسعى فى خرابه ، هو منع ذكر الله فيه •

*** مســألة :**

ومنه : وما تفسير قوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) الى تمام الآيــة بين لنا ذلك ولك الأجــر ان شــاء الله ؟

الجـــواب :

أنا غير عالم بتفســير مشكلات القرآن ، فاســأل عنــه العلماء ان شئت ، وهــذه من الآى المشــكلات فيــه التى لا يحــل عقــدها إلا العلمــاء •

ميل : سأل النبى صلى الله عليه وسلم • فقال : قــوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته •

قلت : فهذا هو كما ترى عن سـيد الورى صلى الله عليــه وسلم وعلى مقامه لديه ، كذلك لكن يحتــاج الى تفســير لائق ، وشرح طويل ، وتفصيل عجيب ، وللعبد غنية عن التكلف ، فالتسليم واجب ، والايمان به حتم ، ولم يجــد فيه صريح تفسير لائق مطــابق واف بالمقصــود حتى أرفعه لديك ، ولكن أقول : انه ثبت القــول : (فريق فى الجنــة وفريق فى السعير) وموت العبد إما على طاعــة وإما على معصية ، فكيف هذا الوقوف والحبس ؟

ثم ان الأعراف ما هو ؟ هو فيما قيــل : اسم سور بين الجنــة والنار ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب • باطنه فيه الرحمــة وظاهره من قبله العذاب) •

ونفى الكلام على من عليه كيف حالهم ، فذلك هو الذى تحير فيه جم العارفين ، والذى ظهر فى الحال احتمال الحبس للمؤمنين المقصرين فيوقفون على مواضع من الأعراف ، ينظرون الفريقين يمرون عليهــم هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار ، وهم هنالك الى أن يقضى اللــه عليهم ما يشاء ، ألا ترى أن الله قد قسم أهــل الجنــة الى السابقين والى أهل اليمين ، فلا شك أن أهل السبق هم يدخلون الجنــة والناس فى عرصــات القيــامة وقوف ، وعلى قدر مســارعة العبد وبداره الى مرضات ربه يكون السبق غدا ، فمنهم من يدخل الجنــة بغير حساب ، ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والمناقشة ، ومنهم من يدخلها بعد الحبس واللوم والتعيير ، وما يدريك لعلهم كانــوا ممن خلــط عمــلا صالحا وآخر سيئا من غير الكبائر التى هى المهالك ، كذلك قال صلى الله عليه وسلم فى عبد الله بن رواحــة الأنصــارى حين تأخر بالراية ثم

تقدم بها ، فقتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حبس عن الجنة بقدر ما تأخر عن القتال » فى كلام هذا معناه ان لم يكن بعينه •

وليس الحبس ثم حبس عقوبة ونكال ، إنما هو وضع مرتبة وتأخير عن سبق السابقين الى الجنة حتى يكون فى الآخرين من الداخلين •

وان قيل : فى الرواية يحبسون خمسين عاما أو نحو ذلك فيما قيل فما هو ببعيد ولا بمستنكر فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة •

كذلك يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها أجنحة خضر تطير بهم فى عرصات القيامة حتى يأتوا على حيطان الجنة ، فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض : من هؤلاء ؟ فيقولون : لا ندرى لعلهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتيهم بعض الملائكة فيقول : من أنتم ومن أى الأمم أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول الملائكة : هل وزنتم ، هل حوسبتم ، هل قرأتم كتبكم ؟ فيقولون : لا ، فتقول الملائكة : ارجعوا فكل ذلك وراءكم ، فيقولون : أعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه ما ملكنا شيئا ، ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنا ، فينادى مناد : صدق عبادى ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » •

وهذا شأن السابقين ، فما ظنك بالمقصرين ألا يتأخرون فى أهوال يوم القيامة على قدر المرتب والسلوك الى الله ، وغير بعيد أن يجعل من يشاء منهم على الأعراف ، حتى ينظر ويخاف ، ويرجو الى أن يفيض الله عليه برحمته ، أو لا تسمع ما قيل فى عبد الرحمن بن عوف ، أنه يدخل الجنة حبوا ، كل ذلك عبارة عن تشديد الأمر فى يوم القيامة على قدر الأدب الحاصل من العبد بين يدى الله تعالى ، ثم اذا أدخله جنانه ورحمته ، فياسعد من فاز بها ، وان كان فى المرتبة لا كالسابقين ولا كالأعلى من أهل اليمين •

وهذا الباب يتسع القول فيه ، وقد قيل بغير ذلك ، ولكن هذا هو الأصح الآن لموافقة الأحاديث النبوية ، والشواهد العقلية فهذه هذه ، وان لم نجد مشروحا كذلك فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق .

*** مسألة :**

وما تقول شيخنا فى معنى قوله تعالى : (كأنهن بيض مكنون) فقد وجدنا فى بعض التفاسير أن المراد هنا بيض النعام ، فكيف تصح أن تكون الحور العين مثل بيض النعام ، وهو من متاع هذه الحياة الدنيا الدانية ، ألم للآية الكريمة معنى عند أصحابنا غير هذا ، تفضل أزح عنا الحيرة ، وأرح قلوبنا من الشك أراحك الله مما نحن فيه من ليل الجهل ، ونور قلبك بنور العلم ؟

الجواب :

قد شبههن الله تعالى فى كتابه العزيز بما يعرفه الناس ويستحسنونه ، ولا يلزم ان كان المشبه به أفضل من المشبه ، فقد يكون بالعكس ، وقد شبههن بالياقوت والمرجان أيضا ، وهذا كما تشبه الشمس المنيرة بسبيكة الذهب المستديرة .

وليس المراد به من متاع الحياة الدنيا إلا لمعنى الحسن فقط دون سائر الصفات ، كما يشبه الشجاع بالأسد فى معنى الشجاعة والقوة خاصة ، لا فى الصورة الكريهة والمنظر القبيح وغير ذلك من الصفات ، وهذا كله مشهور مع أهل البيان .

※ مسألة :

ومنه : وجدنا فى بعض الكتب أن أشياء من الجنة موجودة من مأكولات ومشروبات فى هذه الدنيا ، أيصح ذلك عندك ، لأنه قد تقرر فى العقل أن نعيم الجنة ولذاتها لا تقايس لذات الدنيا وان كل ما يتنعم به فى هذه الدنيا من هذا المذكور وهو من نعيم الدنيا ، وهل يصح أن تكون هذه الأشياء أنزلت من الجنة ، وبعد انزالها غيرت لذاتها عن حالها ، أم هذا لا يصح أبدا ، ونعيم الجنة لا وجود لشىء منه إلا فيها ؟ أم يصح ذلك على بعض المعانى وما تفسيره ، تفصل بينه لنا ؟

الجواب :

نعم هذا صحيح ، وليس المعنى أنها موجودة بعينها ، ولكن معناه أن هذه الأشياء التى فى الدنيا مستحسنة نموذج لما فى الجنة من أمثالها ، على أن ما فى الجنة ولا شك أشرف وأكمل ، ولكن هذه دلائل واشارات الى مبادىء ما فى الجنة من حسن وكمال لا يتناهى ولا يحصر ، ولولا وجود هذه لما عرف شىء ما يذكر من أمثاله فى الجنة ، وان تفاوت فاعرف ذلك •

※ مسألة :

ومنه : وما معنى صديق مخسر عدو مبين ، بين لى بيانا كافيا ؟

الجواب :

هذا كلام عامى لم يأت به كتاب ولا سنة ولا اجماع صحيح ، ولا أثر صريح ، فلا يعتنى بمثله •

* مسألة :

ومنه : وما معنى قوله تعالى : (وبئر معطلة وقصر مشيد) ما هذه البئر وما هذا القصر الذى جاء نصا فى كتاب الله بين لى ؟

الجواب :

أهل البئر والقصر قوم أهلكهم الله والسلام .

* مسألة :

وما تقول فى قوله تعالى : (ويخلد فيه مهانا) أم ويخلد أم يجوز الضم والفتح على الياء واللام عرفنا ؟

وقوله تعالى : (ياليتنى مت قبل هذا) ؟ وقوله : (ويقول الانسان اذا ما مت) يجوز ضم الميمين وكسرهما أم لا عرفنى ذلك ؟ وقوله : (ولقد علمتم النشأة الأولى ، فلولا تذكرون) يجوز تشديد التاء والذال وتخفيفهما جميعا أم لا تفضل بين لنا ذلك ؟

الجواب :

يخلد بفتح الياء وضم اللام ، ومت يجوز بضم الميم وكسرها حيث وقعت ، ولا يجوز تشديد التاء فى تذكرون ، ويجوز تخفيف الذال وتثقيلها ، والله أعلم .

* مسألة :

ومنه : وبعد شيخنا تفضل علينا بالجواب فى هذا الجسيم أخذناه على ما قلت نحن ومن اتبعنا فيه ، لكن منهم من أخذه على

سبيل الشك ، ومنهم من أخذه على سبيل التقليد مخافة أن يتركوا ما لا يسعهم تركه من رد الحجة ، ودخول الشبهة ، وأخذوه على هذا السبيل ، فوقع الاختلاف فى الباطن ، وصح الاعتقاد فى الظاهر كما قال المنافقون : نشهد انك لرسول الله فى الظاهر والله يشهدا إن المنافقين هم الكاذبون فى الباطن ؟

وذكرت فى هذا الجيم كمن ترك القاف وأخذ بالكاف ، فهذين معنيين قائمين ، وحروف معرفة اذا تركت أحدهما صرت فى الثانى ، فصارا بين حجتها عند الجاهل لأنه لا يمكن اجتماعهما ؟

وهذا الحرفان اذا تركت أحدهما صار الآخر شاذا ولم نعرف حجة نعتقدها فيه ، فمن ذلك احتجنا الى بيان الحجة الواضحة من طريق اللغة والتأويل ، فبين لنا رحمك الله بيانا لا بعده إلا الإضرار والادبار عن حجة الله وحجة علمائه التى لا يسع جهلها بعد قيامها على من سمعها من الجاهلين بها ؟

الجواب :

انا لم نختلف نحن وإياكم فى حرف الجيم ، اذا نطق به بحرف الجيم المعروف فى أصل اللغة الأصلية ، وأما اذا نطق به على حسب اللغات المختلفة عن الأصل كمن يجعل الجيم قافا والقاف جيما أو الجيم حرفا ثالثا متركبا من حرفين كما هو فى لغتكم ، فليس هو شىء ، وانما هو بدل من الجيم الحقيقى بحرف منكر مجهول عند العرب إلا من اختص به ، وكثير من الحروف ما تتشابه فى ذلك كالياء المتركبة من بين الياء والفاء فى لغة كثيرين ، وما يشاكل هذا كله ، فلا تجوز القراءة به .

ومن لم يحسن النطق به فعليه أن يتعلمه مع القدرة ، كما يتعلم الفرق بين الضاد والظاء ، واذا جاز هذا جاز أن ينطق بالجيم

فى موضع القاف فيقول فى القدوس القدير الجدوس الجدير ، ولا وجه لجـوازه ، وان استعمله جهلة البادية من الشـام واليمن وغيرهم فى هذا الزمن ، فلا التفـات اليـه لمخالفتهم لغة الأصـول ، وهـذا كله أصل واحد ان جاز بعضه جاز كله ، وان فسـد بعضه فسـد كله ، والله أعلم •

مسـألة :

ومنه ولِمَ حذفت تاء لست لغير اجتماعها مع الساكن الصحيح أم لا ، وما العلة فى نقـل ضمة يقوم الى القاف للثقل أم لغيره ؟

الجـواب :

حذفت تاء لسـت لاجتمـاعها ساكنـة مع السـاكن الصحيح ، فحذف الساكنين من المعتل لحقته ، ولاستثقال اجتمـاع الضمة مع الواو نقلت الى الساكن الصحيح قبلها وأسكنت •

مسـألة :

ومنه : وألف معاوية إذ صغر هل يكون ••••• (١) لأنـه من باب فاعـل ، تفضـل أخبرنى عن جميع تصريفه ، ولك من اللـه عظـيم الأجـر ؟

الجـواب :

يحذف ألفها فتكون معنوية ، فيدغم الـواو فى اليـاء فتكون معية على الأشهر ، والله أعلم •

---

(١) بياض بالأصل •

*** مسـألة :**

ومنه : فى تأويل قوله تعالى فى بدو هذه السـورة ، مثل حمعسق وكهيعص ؟

الجـــواب :

قد اختلف المفسرون فى ذلك ، فقيل : هى أسماء للسور ، وقيـل : هى من أسماء الله تعالى ، فالحـاء من حكيم ، والميم من مجيد ، وهكذا الى آخـرها .

وقيل : انها حروف أقسم الله بها ، وقيل : اسم الله بالأسماء الدالة عليها كالكاف من كافى ، والهاء من هادى ، وقيل : انه ذكر هذه الحروف على سبيل التعديد تحـديا لمعجزة للمعارض مع كون النبى الآتى بهـا أمثالا يحسن شـيئا من ذلك . فأتاهم من حـروف المعجـم نصـفها الأشرف ، فذكر من المهموسـة نصفها ، ومن المجهـورة نصفها ، ومن الشـديدة نصفها ، ومن الرخـوة نصفها ، ومن المطبقـة نصفها ، ومن المنفتحة نصفها ، ومن القلقة نصفها الأقل لقلقلتها ، ومن اللينتين نصفها ، ومن المستعلية نصفها الأقل لثقلها ، ومن المنخفضة نصفها ، ومما يدغم فى مثله ، ولا يدغم فى المتارب نصفها الأقل ، ومما يدغـم منها نصفها الأكثر ، ومن الذلقيـة ثلثيهـا ، وكـذا من الحليقة لكثرة دورهـا فى الكلام .

وبالجملة مما لم يذكر مكتوب عليه فذلك بما ذكـر فكأنه تحداهم بالحروف كلها ، وكأنمـا خاطب أهل الأسرار الحرفية من الكتب القديمة ، مما ذكره من الحروف النورانية المعروفة عندهم ، واضرب عن الحروف الظلمانية كلهـا ، فسبحان من دقت فى كل شىء حكمته ، وبيـان ذلك مما يعجز الفقير عنه فلا يبلغ اليه .

*** مسـألة :**

وعن رجل يسبح الله تعالى بلام وألف يجـوز لـه أم لا ، واذا

سمع رجل من يسبح بلام وألف أينكره عليه أم يتركه أم لا يلزمه شى ؟

الجـــواب :

أنا لا أعرف كيف يقول من يسبح الله باللام والألف ، والظاهر أنها كلمة لا ، ولا أدرى كيف التسبيح بها ، والله أعلم •

بيـــان :

فاذا كان هاء ضمير مذكر يفرد قلبه ساكن ، فلا يحتاج بعده الى اشباع ، وانما ينطق بحسب ما يقتضيه من الحركة من ضم أو كسر ، فالكسر مختص بما يكون قبله ياء تجويفية ، واليه وعليه ، ويجوز ضمها قليلا فيقال اليه عليه ، وبه قرىء : (وما أنسانيه) والضم فيما سوى ذلك ، فاذا كان ما قبل هذا الضمير متحركا وجب اشباعه بمدة تجانس حركته •

ومن الضمير أن يكون ما قبله مكسورا فالكسر ، وكذا ان كان ما قبله ساكنا غير الياء فالضم له لازم نحو : لم يضربه ، لكن يحذف الاشباع اذا كان قبله ساكن مطلقا ، وحيث وجب اشباعه فترك الاشباع جائز فيه مطلقا فى بعض اللغات ، ولكن لا نحفظ أن أحدا قرأ بها فى القرآن ، وأما فى الشعر واللغة فهو كثير ، ومن كانت لغته فقرأ بها فلا نخطئه اذا وافق بعض اللغات العربية ، وان كنا لا نستحسن ذلك ، ولا نأمر به ، والله أعلم •

*** مسألة :**

معرفة ما يشبع وما لا يشبع من الضمير ، وما فى موقعه وذلك اذا كان ما يلى الضمير ساكنا نحو : أل وجب خلوه من الاشباع نحو : له الملك وله الحمد وما أشبهه ، وان كان ما يليه متحركا ، والمتحرك

غير همزة ، فالاشباع نحو ما لهم به من علم ، ولم يكن لله كفـوا أحد وما أشبهه ، وان كان ما يليـه همـزة فالمد نحـو قولك : ان زيـدا له أموالا وما أشبه ذلك •

وقولنا : وما فى موقعه وهو كل اشباع وقع فى هذا الموضع ، فهو مثله نحو : حتى وعسى والى وكل ما كان فى وزنه فهـذا حكمه فقسه فانه سهل واضح •

وعن غير أصحابنا قال الشـيخ : وما أخبر به النبى صلى اللـه عليه وسلم فى اشتراط السـاعة من خروج الدجـال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام من السـماء ، وطلوع الشمس من مغربهـا ، فهو حـق ، والمجتهد فى العقليـات والشرعيات الأصلية والفرعية قد يخطىء ويصيب ، ورسل البشر أفضل من رسـل الملائكة ، ورسل الملائكة أفضل من رسل عامة البشر ، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة •

من الشرح قوله : فهو حق لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصـادق •

قال حذيفة بن الغفارى : طلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذكرون ؟ » قلنا : نذكر الساعة ، قال : « انهـا لن تقوم حتى تروا قبلهـا عشر آيات » فذكـر الدخـان والدجـال والدابة وطلوع الشمس من مغربهـا ، ومن نـزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ، والأحاديث الصحاح فى هذه الأشراط كثيرة جدا •

وقوله : والمجتهـد فى العقليات الى آخره ذهب بعض الأشـاعرة والمعتزلة الى أن كل مجتهـد فى المسائل الشرعية الفرعية التى لا قطـع فيهـا مصيب ، وهذا الاختـلاف مبنى على اختلافهم فى أن لله فى كل

حادثة حكما معينا ، أو حكمة فى المسائل الاجتهـادية ، ما أدى اليـه رأى المجتهدين وتحقيق هذه الأبحاث أن المسـائل الاجتهادية ما أدى اليـه رأى المجتهدين ، وتحقيق هذه الأبحـاث ، إما أن لا يكون لله فيهـا حكم معين قبل اجتهـاد المجتهـدين أو يكون ، وحينئذ إما أن لا يكون من الله تعالى دليـل أو لا يكون ، وذلك الدليـل إما قطعى وإما ظنى ، فذهب الى كل احتمال جمـاعة ، والمختـار أن الحـكم معين ، وعليـه دليل ظنى ان وجـده المجتهد فقـد أصاب ، وان فقـده أخطأ ، والمجتهد غير مكلف باصابته لغموضه وخفائه فلذلك كان المخطىء معذورا بل مأجـورا •

والدليل على أن المجتهد قد يخطىء فيه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) والضمير للحكومة والفتيا ، ولو كان كل من الاجتهـادين صوابا لمـا كان لتخصيص سليمان بالذكر حرية ، لأن كلا منهما قد أصاب •

والثانى : قوله عليه الصـلاة والسـلام : « ان أصبت فلك عشر حسنات وان أخطأت فلك حسنة » •

الثالث : أن القياس مظهر لا مثبت ، فالثابت بالقياس ثابت بالنص معنى ، وقد أجمعوا على أن الحـق فيما ثبت بالنص واحـد لا غـير الرافع أنه لا يعرفه فى العمومات الواردة فى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بين الأشخاص ، فلو كان كل مجتهـد مصيب لـزم اتصاف الفعـل الواحـد بالمتنافيـين من الخطـر والاباحـة والصحة والفساد ، واللوجود وعدمه •

وتحقيق هذه الأدلة والأجوبة عن تمسكات المخالفين بطلب من كتاب التلويح فى شرح التنقيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أما ما ذكره فى أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال وغير ذلك ما خلا ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، فى فتح يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، فلم يأت به تنزيل ، ولا قامت الحجة بصحته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا ينعقد فيه اجماع يلزم قبوله إلا بصحة الرواية ، أو صحة تأويل التنزيل ، ولم يصح اجماع بذلك ، وأما باجماع اجتماع العلماء على صحة ذلك بغير دليل إلهى ، ولا صحة رواية نبوية فلا ينعقد اجماع دينى ، لأنه لا مخرج له عن الظن الى اليقين .

وأما خروج يأجوج ومأجوج والدابة فقد نطق بهما القرآن ، ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو على ظاهر اللفظ ، ولكن معنى ظاهر اللفظ يخالفه قوله تعالى : (لا تأتيهم إلا بغتة) والقرآن لا يخالف معناه بعضه بعضا ، فعلى هذا يحتمل أن يكون على تقدير لو ، أى لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج ، فهم من كل حرب ينسلون ، فيكون بقاء السد عليهم نعمة من الله لعباده ، ذكر بها عباده المتقين ، ذكرهم ليشكروه .

وكذلك خروج الدابة يحتمل أن يكون المعنى مقدرا بلو أخرجنا لهم دابة تذكرهم اذا حق عليهم القول بحكم الكفر عليهم ، وبهلاكهم لم ينفعهم ذلك أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون ، اخبار من الله عنهم لا اخبارا عن كلام الدابة على هذا الوجه من التأويل ان صح ، والله أعلم بتأويل كتابه ، وبالله التوفيق انتهى .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا به غير بصير ، لكن ما ذكره الشيخ من تقدير لو فى فتح يأجوج ومأجوج ، وفى خروج الدابة من الأرض

لا معتمد له ، ولا أصل لعدم الدليل عليه ، والعدول عن الظاهر لا يصح فى التأويل إلا السبب يوجبه ، ولا دلالة على ذلك هاهنا من لفظ ، ولا معنى فليس هو بشىء •

وأما قوله فى سائر العلامات أن الاجماع من الأمة لم ينعقد فيها على شىء ، فهو من قوله صحيح ، وحينئذ فنتبقى مبهمة الحكم لغيرها من المحتملات إلا ما قام دليل على فساده وبطله ، فينبغى النظر فى ذلك كله ، والله أعلم •

ومن شرح القومنا فيما أحسب قوله : والكتاب حق أى المثبت فيه طاعات العباد ومعاصيهم يؤتى للمؤمنين بأيمانهم ، والكفار بشمائلهم ووراء ظهورهم حق ، لقوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وقوله تعالى : (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) •

والمصنف سكت عن ذكر الحساب اكتفاء بالكتاب ، أن مستلزم الحساب أنكره المعتزلة زعما منهم أنه عبث ، والجواب ما مر قوله ، والسؤال حق لقوله عم أى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يدنى العبد المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ويقول أتعرف ذنب كذا وذنب كذا يقول : نعم ، أى رب حتى قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه قد يهلك فيقول تعالى : سترتها لك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته » •

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الكاذبين •

قوله : والحوض حق لقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر) ولقوله صلى الله عليه وسلم : « حوضى مسير شهر زواياه سوى مائة أبيض

من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدا » والأحاديث كثيره •

قوله : والصراط حق وهو جسر محدود على متن جهنم ، أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، يعبره أهل الجنة ، وتزل به أقدام أهل النار ، وأنكره أكثر المعتزلة ، لأنه لا يمكن العبور عليه ، وان أمكن فهو تعذيب للمؤمنين ؟

الجـــواب :

أن الله تعالى قادر أن يمكن من العبور عليه ويسهله على المؤمنين حتى ان منهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح الهابة ، ومنهم كالجواد الى غير ذلك كما ورد الحديث •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان فى هذه الأربعة التى ذكرها الكتاب والسؤال والحوض والصراط : فأما الكتاب فلا شك أنه حق ، ولكن معناه يمكن أنه ليس المراد فى صحيفة جسمية مكتوب فيها بشىء من الحروف على ما أنكر المعتزليون أن يكون كذلك ويمكن كونه كذلك ، والقول فى تحقيق معناه محال ، لأنه من الممكن كونه مكتوبا على المعنى المفهوم حقيقة ، ويمكن ان حفظ الملائكة له هو المعنى المقصود من أنه مثبوتا كتابا ، واذا احتمل المعنيان لم يتحقق أحدهما ، ولا يجوز الشك على أن جميع أعماله مكتوبة فى كتاب ، وأن المتقى يعطى اياه بيمينه ، والكافر يعطى اياه بشماله ، كما أخبر الله تعالى بذلك ، ولكن يجوز الشك فى معنى الكتاب أهو على المفهوم الظاهر أو على المجاز •

وأما أن الله تعالى يدنى المؤمن الى آخر كلامه ، فان كان المراد أنه يدنيه بقرب مسافة ، فلا شك أن ذلك مما لا يجوز فى صفته

تعالى ، وكذلك المعنى ان كان يحاسبه ويكلمه بنفسه يسمع كلامه ، فهو من الباطل المستحيل فى صفة الله تعالى .

وقوله : يغفر له ذنوبه ، فلا يغفر الكبائر لقوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وان كان المراد أن الحساب يكون على يد الملائكة والسؤال منهم للعباد ، فذلك مما لا شك أنه حق .

وأما الحوض فليس مما يلزم اعتقاده أنه حق ، وهو من الممكن كونه أنه حق ، ومن الممكن عدمه ، إذ لا فائدة فيه ، إذ لو كانت فائدته شرب المؤمنين منه اذا عطشوا فى موقف الحساب ، فكذلك يحتاجون للأكل وان كان يؤتى لأولياء الله من الجنة ما يأكلونه ، فالذى يأتى لهم بالمأكول يمكنه أن يأتى لهم من الماء اذا كان المراد من الآية قوله تعالى : (وإذ نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) فانه يتلو الماء قوله تعالى : (ومما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين) اذا كان المراد بهذا النداء فى موقف الحساب لا فى فى الجنة وهو الأصح فيما أراه ، لأن أهل الجنة بعد أن يدخلوا الجنة فلا يسوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهل النار ، إذ الجنة عريضة ، فلو فرضنا أن النار قريبة منها لم يلزم قرب كل موضع منها ، فان كان الخطاب لأهل القرب منها فلا فائدة لأهل الجنة أن تكون النار قريبة منهم فيسمعون شهيقها ويرون قبح منظرها ، فالعقل يبعد ذلك وتقرب أن هذا الخطاب واقع فى الموقف .

ومن قال بوجود الحوض على ما يراه فى عقله أنه حق ، وان قال لا شىء على ما يراه أنه أصح فهو جائز له ، ولا يجوز له أن يدين بأحد القولين فى ذلك ، ولا يجوز أن يلزم نفسه ، ولا يلزم غيره

لعتقـاد كونه لاحقا ، ولا أنه غـير شيء ، لأنه لم يرد فى التنزيل ، ولا قامت الحجة بصحة السنة فى ذلك ، وليس فى ذلك اجمـاع •

وأما صراط الجسر على أنه أحـد من السيف وأدق من الشـعر على متن جهنم ، يعبرونه الخلائق الى الجنة ، فهذا من أنواع اللعـب واللهـو الذى يوصف بـه فى الدنيـا الصبيان أهـل اللعـب والبأس مما ينبغى أن ينزه البارىء سبحانه عن فعل العبث ، وان كان لا يقبح فى فعل الله شيء ولكن جعل الله العقول حجة فى معرفة صفاته اللائقـة فى وصفه بهـا ، والتى لا تليق فقال تعـالى : (وما خلقناهما عبثا) وقال : (وما كنـا لاعبين) فنزه نفسـه عن أفعـال اللعب والعبث ، وهذا ما لا شك فيه فى كل ذى عقـل سليم ، أنـه من فعـل اللعـب والعبث ، وهـذا ما لا شك فيـه فى كل عقـل سليم أنـه من فعـل اللعب والعبث فى العقول •

وقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « ما رآه المسلمون حقـا فهو حق وما رأوه باطلا فهـو باطل » أى ما ثبت فى العقـول السليمة المنيرة بنـور المعرفة على التحقيق فهو حق وما رأته أنه باطـل فهو ولا دليل له فى الذكر الحكيم •

والصراط المستقيم الذى ذكره فى كتابه هو طريق عبادته ، سماها صراطا وسراطا وزراطا وسـبيلا ونجـدا ، فقال تعالى : (وهديناه النجـدين) أى طريق الطاعة وطريق العصيان ، وقال تعالى : (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سـبيلا وان يروا سبيل الغى يتخـذوه سـبيلا) وقال تعالى : (هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تفـرق بكم السبيل) وهذا الجسر على هذه الصفة ، وليس هو صراط مستقيم ، فهو على خلاف وصف الذكر الحكيم لصفة الصراط ، وما خالف القرآن

العظيم من اختلاف الأمة فهو الباطل على كل حال ، والأصح أن لا فائدة فى بقاء القرآن فينا •

وما الفائدة فى تكليف أهل التقوى المرور على ذلك ، لأن الجنة لا يدخلها كافر ، ولو فتحت جميع أبوابها بين أيديهم وسهلت طرقها ، وما الفائدة فى الذى لا يستطيع أن يمر فيه إلا بمشقة ، فان الله تعالى اذا عفا عنه ذنوبه المعفو عنها فحاشا أن يعذبه بعد ذلك بذلك ولا بغيره ، واذا كان ليمكنهم حتى يسهل العبور بطلت فائدته ، ولم يكن فعل ذلك من صفات الحكيم ، وكان الأولى بفعله أن تكون طريق الجنة لأوليائه على المستحسن فى المتعارف •

وما فائدة تكليف أهل الكفر المرور عليه ، ومن المعلوم أنه من المستحيل فى ظاهر الأمر أن يعبره ، وفى الذكر على أن الزبانية تسوقهم الى النار وبئس القرار ، فان كان المراد بهذا الصراط هو الأعراف بقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) أو المراد هو السور الذى ذكره تعالى بقوله تعالى : (وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فليس فى ذلك دلالة على أن العبور يكون عليه أهل الجنة وأهل النار ، وأنه كذلك صفته لقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال) فلابد لأنه أدق من الشعرة وأن العبور يكون عليه •

وما لم تقم الحجة بالصحة على الشىء يشبه العبث واللعب أن ينزه البارى عن فعله ، وأن يحمل على أنه غير صحيح ، وما قامت الحجة بصحة الشىء وكان فى ظاهر الأمر أنه كأنه يشبه اللعب والعبث وسلم الأمر فيه الى الله ، واعتقد أنه غير عبث ولا لعب ، وانما غيب علمه •

وأما فما لم تقم به الحجة بالصحة فاما أن ينزه البارى تعالى فعله ، واما أن يقال ان أمكن فعله من الله تعالى فلا لعب ولا عبث ، والروايات ليست بحجة مع تحالف أهل المذاهب فيها ، ومع مخالفة أحكام التنزيل ، وأحكام العقول غالبا وبالله التوفيق •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى أنى ضعيف عن الخوض فى مثل هذا ، ولست من أهل النظر فيه ، والذى أقوله : ان الكتاب المثبت فيه أعمال العباد هو حق بنص القرآن ، والتعبير به عن حفظ الملائكة الكرام خلاف للظاهر بغير دليل ، ويأباه قوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) فلو كان معنويا كما ذهب اليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى اخراجه منشورا ، وما وجه قراءته لكتابه ، وما معنى اعطاءه إياه بيمين قوم وبشمال آخرين ، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه كذلك كتابا مرقوما يخرج منشورا يقرءونه سطورا وأى مانع من جواز ذلك عقلا أو نقلا حتى يعدل به عن مفهوم القرآن ، وظواهر الآيات الى التأويل البعيد بغير دليل ، ولا حجة فلينظر فيه •

وكذا لا مانع فى عقل ولا نقل من ثبوت الحوض للنبى صلى الله عليه وسلم فانه مما أكرمه الله به ، وليس هو المراد بالافاضة فى آية الأعراف إذ ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة •

وقوله فى أهل الجنة لا يسوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهل النار ، اذا الجنة عريضة قول فى سخافته وركاكة معناه يشبه الهذيان ، فأى مانع منه وقد ثبت فى الدنيا مثله قال الله تعالى :

(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) فاذا جاز فى حق ابراهيم وهو فى هذه الأرض أن يرى ملكوت السموات فكيف لا يسوغ فى حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار ، وقد ثبت ذلك فى نص القرآن قال الله تعالى : (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) وقد ثبت مخاطباتهم لبعضهم بعض فى قول الله تعالى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) الى آخر الآيات ، فمنع كون النداء منهم إذ هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار ، لأجل بعد المسافة باطل ، فالقدرة واسعة والفيض عظيم •

وتلك الدار الآخرة محل خرق العوائد ، وظهور الكرامات ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، فلا يستبعد أن يكون فيها ما ليس بمألوف مثله فى هذه الدار ، فان أكثر ما هنالك كذلك ، والله أعلم •

والصراط الحق ، هو الطريق الموصل الى الله تعالى على سبيل الاستقامة فى الدين ، وما يخالفه فهو الباطل ، ولا قائل بأن الصراط هو الأعراف ، ولا السور المضروب بين الجنة والنار ، وما قالوه من ذلك لم يقم به دليل قاطع ، والله أعلم •

هذا وان تحقيق القول فى الكتاب والحساب والصراط والميزان والشفاعة والعلامات التى قبل الساعة من عذاب القبر وغيره ، علم عظيم ، يصعب الخوض فيه ، وكشف وجوهه يستدعى الى بحوث جليلة ومعان بعيدة ، تحتاج الى مصنفات وحدها ، فالتعرض لها فى هذه الكراسة لا جدوى له ، وانما يبين ان شاء الله من قول شيخنا المشار اليه ما لم يظهر لنا وجه لموافقته ، لئلا يغتر به الواقف عليه ، والسائل عنه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وفى كتب الله روى أن أبا ذر الغفارى قال : يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « مائة كتـاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثـين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشر صحائف ، وعلى مـوسى عليـه السـلام قبل التـوراة عشر صحائف ، والتـوراة والانجيـل والزبور والقرآن العظيم » والحق الامساك عن عددها فى عدد معين ، لـما مر فى عدد الرسل .

قال الشيخ ابن أبى نبهان : حسن ما قاله لفظـا ومعنى ، ومن قال بالعدد معينا له فى الرسل والكتب ، وكان فى علم الله أكثر أو أقل لم يضره تعيين العدد ، لأنه مؤمن فى الأصل بجميع الانبيـاء ، وبجميع الكتب ، فان كان أكثر فى الجملة اذ لم يتعين أفراده ، وان كان أكثـر خرج من الجملة لأن ايمانه بالأنبياء لا بمن ليس منهـم ، فلا يوهن ذلك زهاده ، ولا شبهة عليه اذ قال بما قيل انه قيل كـذا وكـذا ، ومعلوم أنه من علم الغيب ، والله أعلم . انتهى .

وعن قومنا : ولا يجوز على الأنبياء خلف فى القول فى وجـه من الوجـوه .

وقال : وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت على رأس أربعين عاما ، والأغلب فى ارسال الرسل بلوغهم الأشد وهو أربعون سنة ، ومن شروط الرسالة أيضا أن يكون النبى أعلم من جميع من يبعث اليهم بأحكام الشريعة التى بعث بها أصلية وفرعية ، ولم يتعـلم موسى من الخضر عليهما السلام حكما شرعيا .

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا للصرفة فلا يضرهم عدم اتقان عـلى

طريق ما يتقنه أهلها ، ولا يجوز أن يقال انهم لا يعلمون شيئا من أمور الدنيا ، لأنه بما يوهم البله والغفلة ، وهم منزهون عن ذلك كما مر بيانه ، وقال : وهم معصومون من الكفر قبل النبوة .

وقال : وأما الكبائر غير الكفر أراد غير الشرك ، ومنها اللسانية والجنانية قد أجمع الناس أيضا على امتناع صدورها عنهم ، واختلفوا فى دليل امتناعهما ، فقيل : السمع ، وقيل : العقل .

وأما الصغائر عمدا أى قبل للبعث ، فقد جوزها عليهم جماعة من السلف وغيرهم كامام الحرمين منا وكأبى هاشم من المعتزلة واليه ذهب أبو جعفر الطبرى ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين ، وبه جزم فى النظم فهم معصومون من الصغائر عمدا ، كما أنهم معصومون عن الكبائر .

وقال : قال بعض : هذا بعد البعثة ، وأما قبل أن يبعثوا فقال الجمهور من أصحابنا وجمع من المعتزلة : لا يمتنع أن يصدر منهم غير الكفر أراد غير الشرك ، وقال أكثر المعتزلة : يمتنع الكبيرة ، وان تاب منها لأنها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم ، ومنهم من منع كل ما ينفر الطباع من متابعتهم .

وقالت الروافض : لا تجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، واختلف فى عصمتهم عن المعاصى قبل النبوة ، فمنعها قوم وجوزوها آخرون ، والأحسن تنزيههم عن كل عيب ، وعصمتهم وكل ما يوجب الريب ، وقوله : وجائز فى حقهم كالأكل وكالجماع ، فيجوز عليهم وطء النساء بالملك مطلقا مسلمات أو كتابيات لا مجوسيات ، خلافا لابن العربى فى تحريمه عليه صلى الله عليه وسلم وطء الأمة الكتابية بالملك .

قلت : وهو قضية تعليلهم منع نكاح الحرة الكتابية له ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف من أن يضع ماءه فى رحم كافرة ، أو لأن تكون صاحبته ، وأشار الناظم الى الاباحة له ، وان ترك ذلك تنزيها .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : يحتمل أن الله تعالى حرم على الخصوص نكاح الكتابية التى على غير دينه ، ويحتمل أنه أباح ذلك له ، لأن الآية على العمومة واباحة ذلك ليس مما ينقص فى فضله ، ولو كان نقصان درجات من حيث صحبته مسلم لشركة لما أباحه الله تعالى أو أباحه على وجه خوف العنت ، كما أباح نكاح الأمة بالتزويج ، ومن خاف العنت ، والله يفعل ما يشاء ، وما يفعلن إلا وهو الأحمد من الأمور ، لأن له الحمد فى كل شىء . انتهى .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : هذا أحسن ، وأحسن منذ تنزيه مقامه صلى الله عليه وسلم عن صحبة المشركات مطلقا ، فانه لما استصفى لنفسه بعض الإماء من السبايا ، فامتنعت عن الاسلام لم يقر بها حتى أسلمت ، وقال : ما ينبغى له أن يأخذ مشركة فلا ندرى ذلك من المحرم عليه ، أم مما تركه نزاهة واختيارا وكله محتمل .

وبالجملة فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج كتابية فضلا عن المشركات ، وقد كان له فى الصالحات مقنع وكفاية ، والله أعلم .

ومما قاله قومنا قالوا : فلما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لأمه من ربى ؟ قالت : أنا . قال : فمن ربك ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبى ؟ قالت : نمرود . قال : فمن ربه ؟ قالت له :

اسكت ، فسكت ، ثم رجعت الى زوجهـا فقالت : أرأيت الغـلام الذى كنـا نحدث أنه بغير دين أهل الأرض انه ابنك ، ثم أخبرته بما قال ، فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم : يا أبتـاه من ربى ؟ قال : أمك • قال : فمن رب أمى ؟ قال : أنا • قال : فمن ربك ؟ قال : نمرود • قـال : فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمة وقال له : اسكت •

فلما جن عليـه الليـل ، دنا من باب السرب فنظـر من خـلال الصخرة ، فأبصر كوكبـا قال : هذا ربى ، ويقـال انه قال لأبويه : أخرجانى فأخرجاه من السرب ، فانطلقا به حين غابت الشمس ، فنظر ابراهيم الى الإبل والخيل والغنم فسـأل أباه ما هـذه ؟ فقال : إبل وخيل وغنم ، فقال : ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق ، ثـم نظر فاذا المشترى قد طلع ، ويقال : الزهـرة ، فكان فى تلك الليـلة فى آخر الشـهر ، فتأخـر طلوع القمر فيهـا ، فرأى الكوكب قبـل القمر ، فذلك قوله عز وجل : (ولـما جن عليه الليل) أى دخـل الليل ، يقال جن الليل وأجن الليل وأجنه الليل ، وأجنه عليه الليل يجن جنونا وجنـانا اذا أظلم وغطى كل شىء ، وجنـون الليـل سواده •

(رأى كوكبـا) قرأ أبو عمرو بفتح الراء وكسر الألف ، وبكسرهما ابن عامر وحمـزة والكسـائى وأبو بكر ، فان اتصـل بكاف أو هـاء فتحهما ابن عامر ، وان كفيهـا ساكن كسر الراء وفتح الهمزة وأبو بكر وفتحهما الآخرون •

(قال هـذا ربى) واختلفوا فى قوله ذلك ، فأجـراه بعضهم على الظاهر ، وقالوا : لو كان ابراهيم عليه السلام مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقـه الله تعـالى ، وآتـاه رشـدا فلم يضره ذلك فى حـال الاستدلال ، وأيضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه ، فلم يكن كفرا ، وأنكر الآخرون هذا القول ، وقالوا : لا يجـوز أن يـكون

لله رسول يأتى عليه وقت من الأوقات إلا وهو موحد ، وبه عـارف ، ومن كل معبود سواه برىء ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه اللـه وطهره وآتاه رشـده من قبل ، وأخبره عنـه وقال : (إذ جـاء ربـه بقلب سـليم) .

وقال : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) أفتراه أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربى ، معتقـدا ، فقال : هذا لا يكون أبدا . ثم قالوا فيه أربعة أوجـه من التأويل :

الوجه الأول : أن ابراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القـول ، ويعرفهم خطأهم وجهلهم ، فى تعظيم ما عظموه ، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ، ويرون أن الأمور كلهـا إليها ، فأراهم أنه معظم ما عظموه وملتمس الهـدى من حيث ما التمسـوه ، فلما أفـل أراهـم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطـأ ما يدعـون ، مثل هذا مثل الحوارى الذى ورد على قوم يعبدون الصنم ، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا فى كثير من الأمور على رأيه الى أن دهمهم عدوّ ، وشاوروه فى أمـره فقال : الرأى أن ندعـوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنـا ، فاجتمعوا حوله يتضرعون ، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يرفع دعاهم الى أن يدعـو الله فدعـوه ، فصـرف عنهـم ما كانـوا يحـذرون فأسلموا .

والوجه الثانى من التأويل : أنه قال على وجه الاستفهام : تقديره أهذا ربى كقوله تعالى : (أفإن مت فهم الخالدون) وذكره على وجـه التوبيخ منكرا لفعلهم ، يعنى ومثل هذا يكون ربا ، ليس هذا ربى .

والوجـه الثالث : أنه ذكره على وجـه الاحتجاج عليهم ، يقول : هذا ربى مزعمكم ، فلمـا غاب قال : لو كان إلها لمـا غاب كما قال : (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى عند نفسك وزعمـك ، وكمـا أخبر

عن موسى أنه قال : (وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفـا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا) •

والوجه الرابع : فيه اضمار وتقديره يقولون : هـذا ربى قـوله تعالى : (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنـا تقبـل منـا) (فلما أفل قال : لا أحب الآفلين) ربا لا يدوم •

(فلما رأى القمر بازغا) طالعا قال : (هـذا ربى فلما أفـل قال لئن لم يهدنى ربى) قيل لئن لم يثبتنى ربى على الهدى ليس أنه لـم يكن مهتديا ، والأنبيـاء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الإيمان ، وكان ابراهيم عليه السلام يقول : (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) (لأكونن من القوم الضالين) أى عن الهدى •

(فلما رأى الشمس بازغة) طالعة قال : (هذا ربى هذا أكبر) أى أكبر من الكواكب والقمر ، ولم يقـل هذه مع أن الشمس مؤنثة ، لأنه أراد هذا الطالع أورده الى المعنى ، وهو الضياء والنـور ، لأنـه رآه أضوأ من النجـوم والقمر ، (فلما أفلت) غربت (قال يا قـوم انى برىء مما تشركون • انى وجهـت وجهى للـذى فطر السـموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : قد مضى من القول فى هذا ما يستدل به وكفى ، ومن العجب أن يكون الله تعالى قد حكى فى كتابه العزيز من قصص الصبيان وحكاياتهم فى حـال الطفولية ، ثم أعجب منه أن لا يبين ذلك ان كان من ابراهيم ، إذ كان طفلا فى سربه قبل معرفته بربه ، ثم يثنى عليه بذلك ويقول : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أليس فى هذا ما دل على أن مقولة القائلين بهذا فى محل البعد العظيم عن إصابة مفصل الصواب ، بل الحـق الواضح الذى لا شك فيـه أن ذلك كان من ابراهيم عليـه

السلام فى مقام الجدال لقومه بايضاح الحق لهم ، واظهار ما عليه من الباطل فى اعتقادهم النفع والضرر من النجوم والتأله لها بالعبادة من دون الله تعالى ، فجرى معهم فى ذلك على أبلغ أسلوب ، وأحكم طريقة وأوضح مثال .

وانما ألهمه الله تعالى ذلك ليكون حجة عليهم ، ولهذا قال : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ثم وصفه برفع درجته عنده ، وعلو مقامه معه ، فقال : (نرفع درجات من نشاء إن ربك عليم حكيم) ، وإذ كانت هذه هى حجة الله بلسان ابراهيم ، فتمحل الوجوه لها طلبا للمخرج لقائلها لئلا يلزمه الشرك بما قاله ، والاعتداد له بالوجوه البعيدة عناء محض ، وهذيان بحت . فان نفس الإذن به من الله تعالى كاف عن طلب المعاذير له ، كيف والحق أنه كلام محكم جائز صحيح ، ولو لم يثبت النص به ، فان ايراده على تلك الطريقة فى غاية الحسن ، ونهاية الأحكام والإتقان ، ومن أمثال هذا الباب ، قصة الجوارى المذكورة هنا ، وهى فى غاية الحسن ، وبهذا القدر من القول كفاية فى هذا المحل ، والله أعلم .

وعن قومنا : قال الشيخ النسفى : ولله تعالى كتب أنزلت على الأنبياء ، وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده من الشرح ، وكلها كلام الله تعالى .

قال الشيخ : والمعراج للرسول عليه الصلاة والسلام فى اليقظة لشخصه الى السماء ، ثم الى ما شاء الله من العلى حق من الشرح ، أى ثابت بالخبر المشهور ، حتى أن منكره يكون مبتدعا وانكاره وادعاء استحالته انما يبتنى على أصول الفلاسفة ، وإلا فالخرق والالتئام على السموات جائز ، والأجسام متماثلة يصح على ما يصلح للآخر . والله تعالى قادر على الممكنات كلها .

وقوله : فى اليقظة اشارة الى الرد على من زعـم أن المعراج كان فى المنام على ما روى عن معاوية أنه سأل عن المعراج ، فقال : كانت رؤيا صالحة ، وورى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما فقـد جسد نبينـا محمد ليلة المعراج •

وقد قال الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) وأجيب بأن المـراد من الرؤية رؤية العين ، والمعنى ما فقـد جسده عن الروح ، بل كان مع روحه ، وكان المعراج للجسد والروح معـا •

وقوله : لشخصه اشارة الى الرد على من زعم أنـه كان للروح ، ولا يخفى أن المعراج فى المنام أو الروح ليس مما ينكر كل الانكار ، والكفرة أنكروا أمر المعراج غاية الانكار ، بل كثير من المسلمين قـد ارتدوا بسبب ذلك •

قوله : الى السماء اشارة الى الرد الى من زعـم أن المعراج فى اليقظة لم يكن إلا البيت المقدس ، كما نطق به الكتاب •

قوله : الى ما شاء الله من العلى اشـارة الى اختـلاف أقـوال السـلف ، فقيل : الى الجنـة ، وقيل : الى العرش ، وقيل : فـوق العرش ، وقيل : الى طرف العـالم فالاسراء من المسجد الحـرام الى بيت المقدس قطعى ثبت بالكاتب ، والمعـراج من الأرض الى السـماء مشهود ، ومن السماء الى الجنة أو العرش أو غـير ذلك آحـاد ، ثم اتضح أنه عليه الصلاة والسلام انما رآى ربه بفؤاده لا بعينه ، وقال اللقانى فى شرحه لأرجوزته ، وجـزم أنـه من أنكر المعـراج حـكم بتبديعه وتفسيقه ، وهو صواب فى خصوص المعـراج •

قال الشيخ ناصر بن نبهان : ان خبر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس ، قد نطق به التنزيل ، فلا يجوز الشك فيه بعد الحجة بصحبته على من قامت عليه الحجة بمعرفته ، وهو من قسم ما لا تقوم به الحجة إلا بالسماع ، كما سيأتى بيان هذا القسم فى محله من بيان الأحكام الشرعية ان شاء الله تعالى .

وأما خبر وقوع معراج النبى صلى الله عليه وسلم برؤية عقله فى اليقظة فممكن ، والأصح وقوعه لقوله تعالى : (ولقد رآه) أى جبرائيل عليه السلام (نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى) (أفتمارونه على ما يرى) .

وقد جاء ان من تلا ليلا ونهارا لا ينام إلا عن غلبة ، ولا يأكل إلا قليلا ، ولا يفتر عن الذكر ، ولا يذكر ذكرا غيره إلا ما لابد منه ، ولا يلتفت قلبه بذكر غيره ، ويكون بعيدا عن الناس ، ولا يأكل من ذى روح ، ولا ما خرج من ذى روح ، ولا يقارب النساء ولا الصبيان كذلك بقلبه إن استطاع لا بلسانه ، وإن استطاع بحضور العقل لا غير ، كان أبلغ وباللسان وجه يصح إلا أنه أضعف من الوجهين اسم الذات الذى لا يتوجه مطلوبه ، أى الاسم الى الذات أربعين يوما .

ففى السبع الأولى يرى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم بين اليقظة والمنام عجائب الأرض .

وفى السبع الثانية عجائب السموات ، وفى كل سبع يرى أعلى من التى قبلها ، ثم يتم الأربعين يوما أعطاه التصريف بالاسم الأعظم .

ولكن الحجاب الأكبر عن بلوغه كثرة الالتفات القلبى الى ذكـر غيره ، فان رأى نفسـه لا تستطيع قطع ذلك ، فهو يدل على أنـه ليس من أهل اليسر ، وان وجـد نفسه فيهـا جمع همه لمراده قليـل الالتفات القلبى الى ذكـر غيره فعسى أن يكون من اهله بالاجتهـاد فى ذلك ، وقد دل والدى أبو نبهـان رجـلا فاستعمل ذلك •

ففى السبع الأولى كلما أخـذته سنة أو أخـذه نوم كان مضطجعا أو قاعدا رأى كأنه يدور فى أقطـار الأرض •

وفى السبع الثانية رأى كأنه يطير فى الهوى •

وفى السبع الأخرى كأنه يدور فى السموات ، ويرى الملائكة فى نومه فى السموات •

وفى الأربعين جـاوز السـموات ورأى مكانا ليس فيـه إلا ملك قاعد على كرسى فقال له : من علمك هذا ؟ فأخبره بالذى علمه إيـاه ، فقال له : أنا صاحب هذا الاسـم الموكل بأسراره ، ولكنك قصرت فى سـلوكك •

ومن رام سره والتصريف به ، فلابد من السلوك اليـه بشروطه ، فارجع الى معلمك فى ذلك ، فرجـع الى والدى رحمه الله ، فوجـده لم يعمل بشروطه التى ذكرناها ، وأظن أنه علمه شروطه مـات قبـل شروعه الى استئناف العمل ، وبهـذا الاسم يكشفون ما يريدون كشفه المتصوفون •

وقيل : ان قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من أخلص للـه أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة على قلبه » أراد بذلك الى هـذا

المعنى الذى ذكرنا به عن الصوفيين ، ومن أراد بـــه ذلك فلا يحتـــاج الى قطع أكل كل ذى روح ، وما خرج من ذى روح ، ولا ترك النكاح ، وانما عليـــه ما بقى من الشروط •

واذا كان هكذا فى حق غـــير نبى فكيف بالأنبيـــاء ، وكيف بالنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبه لا يغفل عن ذكر الله ليـــلا ولا نهـــارا فى يقظـــة ولا منـــام طرفة عين ، لقـــوله صلى الله عليـــه وســـلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » •

وأما معراج النبى صلى الله عليه وسلم الى السموات بجســـده وبروحه التى بها حيـــاة ، وبعقله مفارقـــا للجســـد فلا يصح ، لأنـــه بمفارقة الروح الجســـد يصير الجسد ميتا ، وبمفارقة العقـــل الجسد يصير مغميا عليـــه كالميت •

وأما معراجه بجسده وروحه معا الى السماء أو الى ما هـــو أعلى فلم يأت صريح التنزيل بذلك ، ولا قامت الحجـــة بصحيح الســـنة ، ولا يصح فيه الاجمـــاع الذى لا يجوز خلافه إلا ما بصحة تنزيـــل لعله تأويل أو بصحة سنة ، والصحيح لا يحتمل الوجهين : الوقوع وعدم الوقوع ، وهـــو من الممكن كونه وعـــدمه ، والله تعـــالى قـــدير على ما فعل كل ممكن ، فعلى هذا فلا يلزم اعتقاد كون وقوعـــه أنه واقع ، ولا أنه غير واقع •

ومن صور له عقله أنه واقع فقال : انه صحيح فجائز لـــه ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحدا بخلافه ، ومن دان بـــذلك أو فســـق من قال بخلافه فلا شـــك أنه هالك آثم ظالم فاسق •

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال : انه يراه فى نفســـه

غير صحيح فجائز له ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحدا بخلافه ، ومن دان بذلك أو فسق من قال بخلافه فلا شك أنه هالك آثم ظالم فاسق .

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال انه يراه فى نفسه غير صحيح ، جائز له ما لم يدن بذلك أو يخطىء من قال بخلافه فى دينه .

ومما يستحسن أن لا يقطع أنه غير صحيح ، فان قطع كذلك لفظا وفى نفسه يريد أنه يرى كذلك ، وان لم تحضره نباهة لم يكن اثما اذا كان فى أصل عقيدته أن القطع بعلم الغيب على التحقيق لا يجوز ، وان لم ينته الى هذا كله فلا بأس عليه .

وفيما يدل عليه كلام عائشة رضى الله عنها على أنه لم يعرج بجسده ، وان حاول هذا الشارح له تفسيرا غير هذا فالاصح ان تفسيره غير ما فسره هو وانما استجلب له معانى ليكون على وفق مذهبه ، ولو كان مذهبه غير التقليد لرأى أن الحق فى تفسيره ، كما ذكرناه فنفسى تميل الى أنه لم يسر بجسده ، وان جميع ما ذكروه فيه من رؤية فى السموات الأنبياء .

وذكر تخفيف الصلوات وتردده على الله غير صحيح ، والله تعالى أسرى بجسده وروحه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وأنزل فى كرامته له هذه تنزيلا فى ذكرها لتؤمن بها فيه ، فكيف لا يذكر البارى تعريجه فى الأرض الى السموات ، أو الى أعلى من السموات فى تنزيله ، ولو كان صحيحا لأنزل ذكر ذلك البارى فى تنزيله ، وجهل علم وقوع المعراج مما يسع ، فليس هو من العقائد الدينية ، والله أعلم . انتهى .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول ؟

قال : ان قول شيخنا الفقيه فى هذه المسألة العظيمة هو الحق الذى لا يأباه منصف ، ولا يتجاوزه إلا متعسف ، فهو القول الصحيح ، والحق الصريح ، والله أعلم .

ومما عن قومنا : وأول الأنبياء آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فأما نبوة آدم عليه السلام فبالكتاب الدال على أنه أمر ونهى مع القطع بأنه لم يكن فى زمنه نبى آخر ، فهو بالوحى لا غير ، وكذا السنة والاجماع ، فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : اختلف العلماء فى آدم أنه نبى أو انه ولى ، والشك مع الاختلاف لا يكون كفرا اذ لم يصح ثبوته نصا فى القرآن ، ولاقامت الحجة بالصحة أنه نبى من السنة ، ولا صح فيه اجماع وأبلغ منجزة ، وأبقى معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وهو القرآن العظيم ، إذ معجزة كل نبى لم يبق وجودها بعد موته ، ولا معجزة القرآن ومعجزة كل نبى يوجدها شبه فى العلم ، أو السحر ، وان كانت الآية التى هى المعجزة أبلغ من الشبه ولكن يمكن المنكرون أن يقولوا هذا سحر عظيم وأما تركيب نظم القرآن بحيث صار معجزا ، فلا يمكن المنكرون أن يقولوا إن السحر يمكن أن يكون منه ، هكذا وبالحق أن جميع معجزات الأنبياء لا يشبهها شىء فى العلم ولا فى السحر ، بل هى خارقة لعادة ما يظهر فى العلم أو السحر من خوارق العادات ، فالمعجزة خارقة العادات الخارقة للعادات ، فافهم ذلك . رجع .

فان قيل ورد فى الحديث نزول عيسى عليه السلام بعده •

قلنا له : نعم ، ولكن يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن شريعته قد نسخت ولا يكون اليه وحى ، ونصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله عليهما الصلاة والسلام ، ثم انه لا يصح أنه يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهتدى لأنه أفضل فامامته أولى •

قال الشيخ ناصر بن جاعد : والحق فى ذلك معى أن نزول عيسى عليه السلام ، وخروج المهدى المنتظر كل هذا غير صحيح ، وليس له فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى دليل العقل من دليل صريح ، ولا من دليل تأويلى ، وما الفائدة فى بعث عيسى عليه السلام والمهدى ، وما الفائدة فى بعثهما معا ، فان شريعة النبى صلى الله عليه وسلم قائم ضياؤها ، واضح برهانها •

فان كان لأجل التفرقة بين الحق والباطل من افتراق الأمة ، فان كل الحق لا يمكن معرفته إلا بهما ، فكيف يترك أمة النبى صلى الله عليه وسلم على ضلالهم عند افتراق الصحابة الى خروج عيسى والمهدى ، وكثير من عباد الله يريد أن يعبدالله تعالى بدينه الحق ، فيتركه الله بضلاله ، وصار لا فائدة لبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلا لنفسه ولأصحابه الذين ماتوا قبل وقوع الأحداث الواقعة بينهم ، وان كان الحق معروفا بدون عيسى والمهدى ، فما فائدة بعثهما فأينما توجهت فى البحث تجد هذا غير صحيح ، والله أعلم • رجع الى قولهم •

وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث ، والأولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية ، وقد قال الله تعالى : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولا نؤمن فى ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم ، وكلمهم كاف مخبرين مبلغين عن الله عز وجل •

وأفضل الأنبيـاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والملائكة عباد الله العاملون بأمره ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة من الشرح •

فان قيـل : أليس قـد كفر ابليس وكان من الملائكة بدليـل صحة استثنائه منهم ؟

قلنا : لا بل كان من الجن ففسـق عن أمر ربه ، لكنـه لمـا كان صفة الملائكة فى باب العبادة والرفعة ، صح استثناؤه منهم تغليبا •

وأما هاروت وماروت هلا صح أنهما ملكان لم يصـدر عنهما كفـر ولا كبيرة ، وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الله الأنبياء عليهم السـلام على الزلة والسهو ، وكانـا يعظـان النـاس ويعلمان السحر ويقولان : انما نحن فتنـة فلا تكفر ، ولا كفر فى تعليم السحر ، بل فى اعتقاده والعمل به ؟

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان : وردت القراءتان جميعا قـوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت) بكسر اللام على أنهمـا من ملوك الانس ، وبفتح اللام على أنهمـا من الملائكة ، ولا يصـح الحق أن يكونا إما من الملائكة ، أو من ملوك الانس ، فلا سبيل الى تحقيق الصـدق على هذا ، أو على هذه الصفة أن لو صح أنه كذلك لـم تجز الصـلاة بهـذه الآية على هذه الصفة ، خـوفا أن تـكون على خلاف الحق ، وهذا لابد منه على كل حال اذا كان على هذا التأويـل ، ولا شك أن هذا باطـل لقـوله تعالى : (لوجـدوا فيـه اختـلافا كثيرا) •

ولا نعلم أن أحدا حرم الصلاة بآية لثبوت شك فيهـا ، فلما بطل هذا التأويل صح أنهما ملكان فى النسب بكسر اللام همـا ملوك بابل ،

وأنهما ملكان بفتح اللام باتصافهما بصفات الملائكة فى أفعالهما بالأسرار الروحانية كأفعال الملائكة ، أو يفعلون بالأسرار بتسخير الله الروحانيـة لهم ، ولحسن أخلاقهم وأفعالهم الخـارقة كفى بتسميتهم من الملائكة إخبـارا من الله عنهم فى صـلاح أحوالهم ، وتسخير الروحانية لهم ، ويعلمون بالناس العلم والسحر فتنة من الله لقومهما ليطيعوا الله تعالى أو ليعصوه •

وبهذا التأويل لا يمكن الغلط بأى القراءتين قرأهما القـارىء كان مصيبا ، والدليـل أنهما من البشر قوله تعالى : (ما أنزل على الملكين) فلو كانا من الملائكة لقـال وما أنـزل به الملكان ، وقـال تعـالى : (ولو جعلنـاه ملكا لجعلنـاه رجـلا وللبسنا عليهـم ما يلبسـون) وقال تعالى : (ولو كان فى الأرض ملائكة يمشـون مطمئنين لنزلنـا عليهم من السماء ملكا رسـولا) فكلمة لو تـدل على أنـه لم يكن فى الأرض ذلك ، إذ لو قـد كان لم يكن هنـالك حرف لو ، فصح أن الحـق ما قلنـا •

وحرام وفسق ومعصية من وصفهما أنهما عصيا الله تعالى ، وقد أثنى الله عليهما فى كتابه ، ومدحهمـا على أفعالهما ، فان كان من قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحـد حتى يقولا انمـا نحـن فتنـة فلا تكفر) فصـح أنهمـا ينهيـان عن الكفر ، وانمـا أنزل عليهمـا السحر والعلم الحق ، ويعلمون الناس السـحر باذن الله ، ويعلمانهم الحق فيتبعون السحر وهو الباطل الذى حـرماه عليهـم ، ولا يريدون العلم الحق ، وما فعلا ذلك إلا باذن الله وأمره تعالى عليهما لازما فتنة للنـاس ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه •

كما ابتلى أصحاب السبت بتحريم الصيد عليهم يوم السبت فتنة ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه ، وهكذا جميع التعبد انما هو فتنة من جميع أحكام دين الله ، من واجب ومحرم ومندوب ، ووسيلة ومكون ومباح ، من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج الى جميع الأحكام الشرعية ، انما هى فتنة للعباد •

والمعنى المراد بالفتنة الاستخبار ليعلم الله من يطيعه فى ذلك ومن يعصيه ، والله تعالى عليم بهم من غير أن يفتنهم ، أى يستخبرهم بذلك ، ولكن أراد فى كل امرىء أن يعلم نفسه بنفسه فيجازيه على عمله بفعله ، فلم يكن تعليم السحر الناس من هاروت وماروت هو الفتنة لا غير ، وليس المعنى هنا من الفتنة مثل معنى قوله تعالى : (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة العالم الذى ليضل بمذهبه الباطل أمة الى يوم الحشر •

بل المعنى هنا بالفتنة الافتتان قال تعالى : (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وقال تعالى : (انما أموالكم وأولادكم فتنة) •

والقول أنهما ملكان معذبان على زلة فعلاها باطل لا يجوز بصريح التنزيل على الثناء عليهما ، وبما ذكرناه من قوله تعالى : (ولو جعلناه ملكا) وقوله : (ولو جعلنا فى الأرض ملائكة) فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : فالذى عندى أن هذا كله حسن جائز من قول شيخنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم ، إلا أنه ينبغى النظر فى قوله : إنه اذا ثبت

القول بالوجهين فلابد من دخول الشك فى معنى الآية الشريفة ، وحينئذ لا تجـوز الصلاة بها ، وهذا لا يلـزم ، ولو قدرنا أنهمـا ملكان من الملائكة كانا ملكين فى بابـل من الملـوك أو أنهمـا ملكان بالكسر من الانس كانا ملكـين بالفتح لمـا يعمل ان عمل الملائكة مدحـة لهمـا ، وثنـاء عليهما ، وتخصيصها لهما بما يعملان بذلك العلم من الأحـوال الخارقة والأعمال التى لا تتأتى للبشر لكان الوجهـان صحيحين ، ولـم يكن فى ذلك اختـلاف معنى ولا لبس ولا اعتراء شك يوجب القـدح فى معنى الآية والشـك فيهـا ، حتى لا تجـوز الصـلاة بها ، فهـذا ما لا وجـه له البتة فيما عندى •

وأما توجيه الشيخ فى تأويل هذه الآية الشريفة ، فهـو من قوله : حسن فيما عندى ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضـا فى تأويل قوله تعالى : (ما ننسـخ من آيـة أو ننسـها) وذلك أن المشركين قالـوا : ان محمـدا يأمـر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهـم بخـلاف ما يقوله إلا من تلقـاء نفسـه ، يقول اليوم قولا ويرجـع عنه غدا كما أخبر الله : (واذا بدلنا آيـة مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وأنزل : (ما ننسـخ من آية أو ننسها) فبين وجـه الحكمة فى النسخ بهذه اللغة •

والنسخ فى اللغة شيئان : أحدهما بمعنى النقل والتحول ، ومنـه نسخ الكتاب ، وهو أن يحـول من كتاب الى كتاب ، فعلى هذا الوجـه كل القرآن منسـوخا ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ ، والثـانى يكون بمعنى الرفع ، يقال نسخت الشمس الظل ذهبت به وأبطلته ، فعـلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية ، وهذا على وجوه أحدها أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقـارب وآية عـدة الوفاة بالحـول ، وآيـة التخفيف فى القتـال ، وآية الممتحنة وغيرها •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (ما ننسخ من آية) ما نثبت خطها ونبدل حكمها ، ومنها أن نرفع تلاوتها ، ويبقى حكمها مثل آية الرجم ، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف ، وعن القلوب كما روى عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة ، فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها » .

وقيل كانت سورة الأحزاب ، مثل سورة البقرة ، فرفع أكثرها تلاوة وحكما ، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة ، والوصية للأقارب نسخت بالميراث ، وعدة الوفاة نسخت بالحول الى أربعة أشهر ومصابرة الواحد العشرة فى القتال نسخت بمصابرة الاثنين .

ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء ، والنسخ انما يعترض على الأوامر والنواهى دون الأخبار ، أما معنى الآية قوله : (وما ننسخ من آية) قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أى نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساخ ، وله وجهان أحدهما نجعله فى المنسوخ ، والثانى نجعله فى المنسوخ نسخة لك ، يقال نسخت الكتاب أى كتبته وأنسخته غيرى اذا جعلته نسخة له ، أو ننسخها عن قلبك .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : نتركها لانسخها أراد ننسها ، قال الله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) أى تركوه فتركهم ، وقيل ننسها أى نأمر بتركها ، يقال نسيت الشىء اذا أمرت بتركه ، فكون النسخ الأول من رفع الحكم ، واقامة غيره مقامه ، والانساء يكون نسخا من اقامة غيره مقامه ، وقرأ ابن كثير وابن عمرو : ننسأها

بفتح النون الأول والسين مهموزا أى نؤخـرها فلا نبدلها ، يقـال : نسأ الله فى أجـله ، وأنسأ الله أجله ، ففى معنـاه قولان :

القول الأول : نرفع تلاوتهـا أو نؤخـر حكمها كمـا فعل فى آية الرجم ، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم •

والقول الثانى : قاله سعيد بن المسيب وعطاء أما (ما ننسخ من آية) فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة (أو ننسـاها) ، أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ ، فلا نترك (نأت بخير منهـا) أى بما أنفع لكم وأسهل عليكم ، وأكثر لأجلكم لأن الآية خير من آية ، لأن كلام الله واحـد ، وكله خيرا ، أو مثلهـا فى المنفعة والثواب •

فكل ما نسخ الى الأيسر فهو أسهل فى العمـل ، وما نسـخ الى الأشق فهو فى الثـواب أكثر ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير من النسـخ والتبديل ، لفظـه استفهام ، ومعناه تقـرير ، أى انك تعلم • انتهى •

قلت لشيخى الخيلى : ما تقـول فى هذا ؟

قال : أقول انه كلام حسن ، ولم يبن لى فى شىء منـه ما يخـرج به عن الصـواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضـا فى تأويل قوله تعالى : (يمحوا الله ما يشـاء) من الفرائض (ويثبت) قرأ ابن كثير وعمرو وعاصم ويعقوب ، ويثبت بالتخفيف وقرأ آخرون بالتشديد ، واختلفوا فى معنى الآية :

فقال سعيد بن جبير ، وقتاده : يمحوا الله ما يشـاء من الشرائع

والفـرائض فينسـخه ويبـدله ، ويثبت ما يشـاء منهـا فلا ينسخه ولا يبدله •

وقال ابن عباس : يمحو الله ما يشـاء ويثبت إلا الرزق والأجـل والسعادة والشـقاوة ، ورويناه عن حذيفـة بن أسـيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يدخل الملكان على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين يوما فيقولان : يارب أشقى أم سعيد فيكتبان . فيقولان : أى رب أذكر أم أنثى ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف . فلا يزاد فيهـا ولا ينقص •

وعن عمـرو وابن مسـعود أنهمـا : يمحـوا الله السـعادة والشقاوة ، ويمحوا الله الرزق والأجل ، ويثبت ما يشـاء •

روى عن عمرو أنه كان يطـوف البيت وهو يبكى ويقول : اللهـم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيهـا ، وان كنت كتبتنى على الشقوة فامحنى وأثبتنى فى أهـل السعادة والمغفـرة ، فانك تمحـوا ما تشـاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ومثله عن ابن مسعود •

وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سـنة ، فيقطع رحمه فيرد الى ثلاثة أيام ، ويكون الرجـل قـد بقى من عمـره ثلاثـة أيـام فيصـل رحمـه فـيرد الى ثلاثـين سـنة ، أخبرنـا عبد الواحـد المليحـى ، ثنـا أبو منصـور السمعانى ، ثنـا أبو جعفر الربانى ، ثنـا حميد بن زنجويه ، ثنـا عبد الله بن صـالح ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى زياد بن محمد الأنصـارى ، عن محمد بن كعب المقرضى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله عز وجل فى آخـر ثلاث سـاعات يبقين من الليل فينظر فى السـاعة الأولى منهن فى أم الكتـاب الـذى لا ينظر فيه أحـد غيره ، فيمحو ما يشـاء ويثبت » •

وقال : معنى الآيـة أن الحفظـة يكتبون جميع أعمـال بنى آدم وأقواله ، فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيـه ثواب ولا عقاب ، مثل قوله : أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صـادق فيه ، ويثبت ما فيه ثواب وعقـاب هـذا قول الضحاك والكلبى . وقال الكلبى : يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طـرح منه كل شىء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس : هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهـو الذى يمحـو ، والذى يثبت : الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعـة الله عز وجـل ، فهو الذى يثبت .

وقال الحسن : يمحو ما يشـاء أى من جـاء أجله يذهب بـه ، ويثبت من لم يجىء أجله الى أجله ، وهو سعيد بن جبير قال : يمحو الله ما يشـاء من ذنوب العبـاد فيغفرها ، وقال عكرمة : يمحو الله ما يشـاء من الذنوب بالتوبة ، ويثبت بدل الذنوب حسنات ، كما قال الله عز وجل : (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال السـدى : يمحـو الله ما يشـاء يعنى القمـر ، ويثبت ما يشـاء يعنى الشمس بيانه قوله تعالى : (فمحونا آية الليـل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

وقال الربيع : هذا فى أرواح يقبضها الله عند النـوم ، فمن أراد موته محاه فأمسكه ، ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه ، بيـانه قوله عز وجـل : (الله يتوفى الأنفس حين موتهـا) الآية .

(وعنده أم الكتاب) أى أصـل الكتاب ، وهـو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يؤخـر ولا يغير .

قال عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : هما كتابان كتـاب

سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب الذى لا يغير منه شيء . وعن عطاء بن عباس قال : ان الله تعالى لوحا محفوظا مسيره خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت ، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب .

وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب قال : علم الله ، ما هو خالق وما خلقه عاملون . انتهى .

وعن قومنا أيضا فى تأويل قوله تعالى : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض) أى يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر من السماء الى الأرض ، وقيل ينزل الوحى مع جبريل من السماء الى الأرض (ثم يعرج اليه) يصعد اليه جبريل بالأمر فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، أى فى يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده ، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام يقول : لو سار أحد من بنى آدم لم يقطعه إلا فى ألف سنة ، والملائكة يقطعونه فى يوم واحد ، هذا وصف عروج الملك من الأرض الى السماء .

وأما قوله : (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أراد مقدار المسافة من الأرض الى سدرة المنتهى التى هى مقام جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا ، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك ، وقوله : (اليه) الى الله ، وقيل هذا التأويل الى مكان الملك الذى أمره الله عز وجل أن يعرج اليه .

وقال بعضهم : ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها فى القيامة يكون على بعضهم أطول ، وعلى بعضهم أقصر ، معنا يدبر الأمر من السماء

الى الأرض مدة أيام الدنيا يعرج أى يرجع الأمر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا ، وانقطاع الأمر وحكم الحكام فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة •

وأما قوله : (خمسين ألف سنة) فانه أراد الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة ، وعلى المؤمنين دون ذلك • حتى جاء فى الحديث : « أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا » قال ابراهيم التميمى : لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ، ويجوز أن يكون اخبار من شدته وهو له ومشقته •

وقال ابن أبى مليكة : دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان ابن عفان على ابن عباس ، فسأله ابن فيروز عن هذه الآية ، وهى من قوله خمسين ألف سنة ، فقال له ابن عباس : أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى ، وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم • انتهى •

قال شيخنا الخليلى رحمة الله عليه : الله أعلم ، وأقول فى هذه وما قبلها بما قاله ابن عباس هنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم •

وعن بعض قومنا : وأخباره تعالى لا تتعلق بالزمان ، والمتعلق به المخبر عنه ، والتغير عليه لا على الأخبار كما فى الأخبار وفى السنة الى الأزل ، لا يتصرف بشىء من الأزمنة ، إذ لا ماضى ولا مستقبل ولا حال بالسنة الى الله تعالى لتنزيهه عن الزمان ، كما أن علمه أزلى لا يتغير بتغير الأزمان ، ولما صح بأزلية الكلام ، حاول التنبيه على أن القرآن أيضا قد يطلق على هذا الكلام النفسى القديم ، كما يطلق على النظم المتولى ، فقال : والقرآن كلام غير مخلوق •

وعقب القرآن بكلام الله مما ذكر المشايخ من أنه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق الى الفهم أن القرآن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ، كما ذهب اليه الحنابلة جهلا أو عنادا ، وأقام غير المخلوق مقام غير الحادث تنبيها على اتحادهما ، وقصد الى جرى الكلام على وقف الحديث حيث قال عمر : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، وتنصيصا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفريقين ، وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وهذا يترجم لهدى المسألة بمسألة خلق القرآن أى يقال لهذه المسألة مسألة خلق القرآن ، فلا يستلزم من قال بهذا القول أنه أوجب خلقه ، بل كذلك جرت تسميتها مع من يقول انه غير مخلوق ، ومع من يقول انه مخلوق ، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع الى ثبات الكلام النفسى ونفيه ، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف ، وهم لا يقولون بحدوث كلام نفسى ، ودليلنا ما مر أنه ثبت بالاجماع وتواتر النقل من الأنبياء من أن الله تعالى متكلم ، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام ، ويمتنع كلام اللفظى الحادث بذاته تعالى فتعين النفسى القديم •

وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق ، وسمات الحدوث من التأليف ، والتنظيم والانزال والتنزيل ، وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك ، فانما تقوم الحجة بذلك على الحنابلة لا علينا ، لأنا قائلون بحدوث النظم ، وانما الكلام فى المعنى القديم ، والمعتزلة لما لم يمكنهم انكار كونه تعالى متكلما ذهبوا الى أنه متكلم بمعنى ايجاد الأصوات والحروف فى

محالها ، أو ايجـاد أشكال الكتابة فى اللوح المحفوظ ، وأن يقرأ على اختلاف بينهم ، وأنت خبير بأن المتحرك من قامـت به الحـركة لا من أوجدها ، ولا يصح اتصـاف البارى بالأعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا •

قال المؤلف : لا يوجب ذلك فى صفات الله تعالى أن يكون متكلما بغيره أن لو قدر أن كلام القرآن مخلوق ، لأن البارى سبحانه وتعالى قادر أن يخلق فى اللـوح كلاما عربيا منظوما آيات عظيمة بالغـة فى الفصاحة معجزة لفصحاء من خلقه فيه توحيـد ، ووعد ووعيد وأخبار وأمثال ، ونهى وأمر ويأمر جبريل عليه السـلام أن ينزل به الى رسول من رسـله تعالى ، ويكون فيه كلام خلقـه الله فى اللـوح المحفوظ وأمر جبريل أن ينزل به على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ذلك الرسـول •

فلو فعـل الله ذلك فلمن ينسب ذلك الكلام الذاكـن للرسـول أم لجبريل أم ينسب الى الله تعالى وهو يجـوز لا ينسـب الى الله تعالى ، فيقال : هذا كلام الله تعالى ، وقد شرطنا أنه خلقه ، فكان فى اللوح المحفوظ كما شـاء أن يخلقه ، لأن إضافة الكلام الى اللـه على وجهين : كلامه تعالى الذى هو موصوف به ذاته أنـه لم يزل متكلما ، فـذلك كلامه هو غـير مخلوق ، ومن قال : انـه مخلوق فقـد كفـر بالله تعالى •

والوجه أنه ينسب اليه كل شىء خلقه بغير واسـطة مخلوق كما يقال : سماء الله تعالى ، وأرض الله تعالى ، وكما يقال : عيسى عليـه السـلام روح الله ، وجبريل روح الله ، كـذلك الكلام الذى قدرنا أنه لو خلقه فى اللوح المحفوظ فينسب الى الله تعالى أنه كلام ، وكتـاب الله ، وآيات الله ، وأمر الله ، ونهى الله ، وأخبـار الله ، ووعد الله ،

ووعيد الله ، والمعنى أنه لم يكن أنه كلام أحـد من المخلوقين ، بل خلقه الله تعالى هـو كذلك ، فأضيف الى الله اضـافة ابداع له ، وإقرار أنه عن اللـه .

فصح أن من قال : ان كلام القرآن هـو مخلوق لا يوجب أنـه وصف الله تعالى بأنه متكلم بصفة هى من صفات ذاته قائمـة بذات غيره من مخلوقاته ، غيره من أهـل مذهبه كما بينـاه سابقا ، ولا يوجب بذلك أن يكون متصفا بالأعراض المخلوقة ، وجميع ما آتاه من قواعـده النفى خلق القرآن أراها متلاشية على هذا المثـال ، وأما اثباتـه أن كلام الله كلام نفسـه هو غير مخلوق ، فذلك حق ، ولكن هذه القاعدة لا تستلزم حـكم كلام القـرآن ، لأن كلام ذات الله الذى هـو من صفاته .

قال غيره : تفضل سيدى بالنظر فى جميع هذا وايضـاح ما عندك فيـه ، فاننا لذلك محتاجون ، وفى معرفته راغبون .

قال غيره : نظرت والذى معى أن قول الشيخ فى هذه المسألة على سبيل الاجمـال غير خارج من الصواب ، وهذا كاف فى هذا الموضـع عن الاطالة بالبحـوث ، والله أعلم .

ومن بعض شروحهم أيضا : قوله : والجنـة حق ، والنـار حق ، لأن الآيات والأحاديث فى شأنهما أشـهر من أن تخفى ، وأكثر من أن تحصى .

وتمسك المنكرين بأن الجنة موصـوفة بأن عرضها كعـرض السماء والأرض ، وهو فى عالم العناصر محال ، لأن عالم العناصر أصغر من عرض السماء ، وهـو ما بين السـماء والأرض ، وفى عالم الأفلاك ،

أو عالم آخر خارج عنه مستلزم لجواز الخرق والالتئام عند الدخول فيهما ، وهو باطل •

قلنا : هذا مبنى على أصلكم الفاسد ، وقد تكلمنا عليه فى موضعه •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : يمكن أن يكون فى عالم غير هذا العالم ، لأن الله على كل شىء قدير ، وهذا مذهب غير هذا الشارح ، وصاحب العقيدة فيما يدل عليه معانى لفظهما ، ويمكن أن الله تعالى يزيل الأرض والسموات ، ويكونان لا شىء ، ويخلق فى مكانهما الجنة والنار ، وهذا باطل مع هذا الشارح ، وصاحب العقيدة ، لأن الجنة والنار عندهما وعند صاحب الأرجوزة مخلوقتان ، ولا دليل على بطلانه لقوله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (واذا الشمس كورت • وإذا النجوم انكدرت) الى (أحضرت) • رجع الى شرحه •

قوله : وهما مخلوقتان الآن ، موجودتان ، تكرير وتأكيد ، وزعم أكثر المعتزلة أنهما انما يخلقان يوم الجزاء ولنا الحجة عليهم قصة آدم وحواء عليهما السلام ، واسكانهما الجنة ، والآيات الظاهرة فى اعدادهما ، مثل (أعدت للكافرين) و (أعدت للمتقين) إذ لا صورة فى العدول عن الظاهر ، فان عورض بمثل قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) •

قلنا : يحتمل الحال والاستمرار ، ولو سلم فقصة آدم تبقى سالمة من المعارضة ؟

قالوا : لو كانتا موجودتين لما جاز هلاك أكل الجنة لقوله

تعالى : (أكلهما دائم) لكن اللازم باطل لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهـه) •

قلنا : انه لا خفاء في أنه لا يمكن دوام أكل الجنـة بعينه ، وانمـا المراد أنه اذا أفنى منه شيء جيء ببدله ، وهـذا لا ينافي الهـلاك لحظة ، على أن الهلاك لا يستلزم الفناء بل يكتفى الخـروج عن الانتفاء به ، ولو سلم فيجـوز أن يكون المراد أن كل ممكن فهو هالك في حـد ذاتـه ، بمعنى أن الوجـود الامكاني بالنظر الى الوجـوب الواجبي بمنزلة العـدم •

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهـان : لا دليـل قطعيا من التنزيل ، ولا من السنة القائمة الحجة بصحتها ، ولا من حجة العقـل أن الجنـة والنـار الآن مخلوقتان ، ولا أنهمـا لم يخلقا ، واذا كان كذلك فهمـا من الممكن وجودهما الآن ، ومن الممكن عدمهمـا الآن ، ولا شـك في علم الله أنهمـا مخلوقتان في الوقت الـذي يريده تعالى ، ولا علينـا الاعتقـاد أنهما مخلوقتان لا محالة ، وأما لزوم الاعتقـاد في أنهمـا مخلوقتان فباطـل ، وبالدينونة يهلك المـرء في مذهبنـا كمـا في كيفية الكتاب ، وفي الحـوض والجسر المسمى بالصراط ، فكل هذه لا تجـوز الدينونة في وجودهما ، ولا في عدم وجودهما •

ومن قال في ذلك برأيه ولم يخطىء من خالفه فلا بأس ، وما ذكره من اعـداد النـار للكافرين ، والجنـة للمتقين ، لا يـدل على خلقهما الآن ، وانما يدل على أنهما كائنتان لا محالة ، كذلك لا محالة ، كانتا الآن مخلوقتين أو لم يخلقـا ، وما سـبق في علم الله كـونه فهو كائن كان قد مضى كونه أو سيكونه في وقته الذي أراده •

وقوله : (نجعلها) لا يدل على أنهما لم يكونا الآن غير مخلوقتين ،

إذ معنى نجعلهما أى نجازى بهما فى وقت الجزاء ، واذا احتمل الكلام معانى مختلفة وكلها من الممكن كونه ، ولا يخالف شيء منهـا السـنة القائمة الحجة بصحتها ، لم نجز أن تحمـل على معنى واحـد ، وابطال ما سـواه ، وقصـة آدم ليس فيهـا دليـل قطعى تحقيقى ، لأن جنة آدم بنفسها قـد اختلف العلماء فيهـا ، هل هى الجنـة الأخـرى وآية ، أم جنة خلقهـا الله له واختصها له من جميع خلقـه ولزوجته حـواء ؟

وأكثر قول العلماء أنهـا غير جنة الخلد ، ولا دليـل فى الذكـر الحكم على أنهـا جنـة ، إذ جنـة الخلد ليس فيهـا شيء حـرام ، ومن دخلها كان آمنا من الخـروج ، لأنهـا دار الخلد ، فلم تكن خلدا لكل من دخلهـا ، فقد خرج منهـا آدم ، ولـكل فريق حجج كثيرة لا فائدة فى ذكرها ، لأنها لا تفيد علما ، ولا سبيل الى القول فيهـا حتى يكون علما لأنه من الغيب ، كما لا سبيل الى معرفة الجنـة والنـار أنهما الآن مخلوقتان أو غير مخلوقتين إلا ظنـا وتخمينا ، واذا كان على هذا فكل من رأى فى نفسـه بدليـل أو بغير دليـل إلا ما رآه أنـه أصح فقال به جاز له ما لم يدن بـه ، ولم يخطىء من قال بخـلافه فى دينه ، ولو كان علما بما تراه النفس أصـح لقلت : ان الأصح معى فيما تراه نفسى كأنها تميل الى أنهـا غير مخلوقتين الآن لقـوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكـرام) ولا فائـدة فى خلقهـا وانهلاكها ، ثـم خلقهـا ثانيـة ، وما لا فائدة فيه فالأصح أنه غير مفعول ، وان فعله الله تعالى سلمنا له الأمر أنه فيه فائدة لا نعلمها نحن وهو يعلمها ، ولكن نظرى للأصح فى ليس بعلم لى ولا لغيرى ، وبالله التوفيق • رجع الى شرحه •

قوله : باقيتـان ، لا يفنيـان ، ولا يفنى أهلهـا خالدين فيهـا أبـدا ؟

الشرح : أى دائمتان لا يطرأ عليهما عـدم مستمر لقوله تعالى فى حـق الفريقين : (خالدين فيهـا أبدا) وأما ما قيـل انهمـا يهلكان ولوحظة تحقيقا لقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهـه) فلا ينافى فى البقـاء بهذا المعنى ، على أنك قد عرفت أنـه لا دلالة فى الآيـة على الفنـاء .

وذهب الجهمية على أنهما يفنيـان ويبقـى أهلهمـا ، وهو قـول باطل مخـالف للكتاب والسـنة والاجماع ، ليس عليه شبهة فضـلا عن حجة .

قال الشـيخ ناصر بن أبى نبهـان : قوله وأما ما قيـل إنهمـا يهلكان ولو لحظة ، لم أدر أنه أراد قبـل دخـول الجنة فى الجنـة ، وأهل النار فى النـار ، أو بعد ذلك ، فان كان قبـل ذلك فما معنـاه حيث جعـل فرقا بين الهلاك والفنـاء ، إلا أن الهـلاك مثلا إذهـاب حيـاة الجسم مع بقاء الجسم على صورته ، أو يصـير ترابا ، والفناء العـدم أصـلا ، فان كان على هذا المعنى هو هلاك أهلهـا المخلوقين فيهـا أو الجنـة بنفسها .

فان كان المراد من الجنة مكانها فذلك وجـه ، ولـو أفنـاهم ثم أحيـاهم لم يكن فرقا لأنهم ، وان كان كذلك يصير غـير الأولين فى الحكم ، فالجزاء بالأولين وبالآخرين سواء ، فان جـزاء المسلمين فى الجنة مع لحم الطير غير طيور الدنيـا .

وان كان المـراد بأرض الجنـة غـير أشجارها ، إذ القـول فى الأشجار والطيور وما أشـد ذلك كالقـول فى حورها وخدمها ، وأمـا الأرض فما هلاكهـا ثم احياؤها فلا معنى له .

وان كان أراد كلاهما بعد دخول أهل كل دار منهمـا فهـذا باطـل ،

واذا ثبت هذا معه فقد قال بقول مذهب الجهمية الذى لم يجزه للاجماع الذى ذكره •

وفى كتاب انسان الكامل : أن النار لا تبقى ولا يبقى من فيها ، ومتى خرج الى الجنة جميع من فيها يضع الرحمن قدمه عليها فيقول : قط قط ، وينبت فيها شجر الجرجر وهو بلغة أهل عمان المحرقة تقارب شجرة الفجل ، وفيها حراقة قليلة ، فلفلية ، ثم ان الجنة أيضا لا تدوم إذ معه لا يجوز أن يكون شيئا باقيا بلا نهاية إلا ذات الله تعالى ، ولا أدرى هو من أى المذاهب ، وقد ذكرها أيضا ، والذى عنه فى مسألة الخلودين فافهم • انتهى •

قلت للشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا لم يبن لى من قول الشيخ فى هذا الموضع ما يخرجه عن الصواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضا : وما هو الأصلح للعبد ، فليس بواجب على الله تعالى ؟

الشرح : وإلا لما خلق الكافر المعذب فى الدنيا والآخرة •

ومن حاشية فى الكتاب : لأن الأصلح للكافر المعذب فى الدنيا والآخرة أن لا يخلق ، ولا يجب أن لا يخلق •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : قد أورد هذا الشارح فى مقدمة أول هذا الكتاب من شرحه ، حكاية أبى الحسن الأشعرى ، وكان معتزليا

تلميذا الأستاذه الجبائى — بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة — نسبا الى قرية البصرة ، وقيل بتخفيفها نسبا الى قرية بسستر ، وقيل بكازرون ، وهو من أئمـة المعتزلة ، وهـذا نص كلام الشارح :

قال الشيخ أبو الحسن الأشـعرى : الأستاذ الجبائى ما تقـول فى ثلاثة اخوة مات أحدهم مطيعا ، والآخر عاصيا ، والثالث صغيرا ؟

فقال : ان الأول يثاب بالجنة ، والثانى يعاقب بالنـار ، والثالث لا يعاقب ولا يثاب •

وفى الحاشية : وفى اعتقادهم أن أولاد المشركين خدم أهل الجنـة بلا ثواب ، وعلى هذا يحمل قوله • رجع الى كلام الشارح •

فقال الأشـعرى : فان قال الثالث : يـارب لـم أمتنى صـغيرا وما أبقيتنى الى أن أكبر فأومن بك وأطيعك ، فأعطى ثواب الجنـة ، فما يقول الـرب ؟

قال : فيقـول الرب : انى كنت أعلم منـك أنك لو كبرت لعصيت فأدخلت النار ، فكان الأصح لك أن تموت صغيرا •

فقال أبو الحسن الأشـعرى : فان قال الثـانى : لِمَ لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى مثل أخى ، فلا أدخل النار ، فماذا يقول الرب ؟

فبهت الجبائى من غير كلام هذا الشارح ، فقال له : أبك جنـة ؟ فقال أبو الحسن : لا ، ولكن أرى حمـار الشيخ وقف به فى العقبـه • رجع الى كلام الشـارح •

وترك الأشعرى مذهبه ، واشتغل هو ومن تابعـه بابطـال رأى

المعتزلة ، واثبات ما وردت به السنة ، ومضى عليه الجماعة ، وسمى أنفسهم أهل السنة والجماعة •

ومن الحاشية فى الكتاب : وقد صنف الأشعرى قبل ذلك كتبا كثيرة فى تصحيح مذهب المعتزلة • رجع الى كلام الشارح •

ثم لما نقلت الى العربية خاض فيها الاسلاميون فحاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة ، فخلطوا بالكلام من الفلسفة يتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطال باطلها ، وهلم جرا الى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات ، وخاضوا فى الالهيات ، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات •

ومن حاشية فى الكتاب : الفلسفة أى الحكمة ، وهى فى لغة اليونانى التشبه بحضرة الواجب الوجود فى العلم والعمل ، ثم سميت بها الحكمة ، والمدون الأول من اليونان من الفلاسفة أرسطو أى أرسطاطاليس ، ولذا سمى بالمعلم الأول ، والناقل لها الى اللغة العربية أبو نصر الفارابى ، ولذا سمى بالمعلم الثانى •

قال الشيخ ناصر بن أبى نصار : ان اسم الفلسفة يطلق على احكام معرفة الشىء على ح
وعملا فهو المصطلح عليه مع
الفلسفة ، وهى على أربعة
وعلم الطبيعيات ، وعلم رياضات العقل بما ينوره من العلوم ، وعلم الالهيات •

فأما خطأهم فى الثلاثة الأولى فلا يضرهم فى دينهم لأنها ليست من علوم الدين ، وانما يخطىء من ضل منهم فى علم الالهيات ، وهو علم التوحيد ، وليست الفلسفة تطلق على ضلالهم ، فالفلسفة هى تحقيق

الحق فى كل أقسامها ، وكما أن الشريعة هى الحق ، ومن ضل فى الشريعة فليس ذلك من الشريعة المطهرة ، ولا يصح اطلاق على أرسطاطاليس ، ولا على من هو مثله أن ينسب اليه ضلالا ما قيل فى الفلسفة ، لأن أرسطو كان فيما قيل وزير ذى القرنين ، ولهما سير لبعضهما بعض ، ومخاطبات ، فكيف يضل مع ذى القرنين الذى أثنى الله تعالى عليه فى الذكر الحكيم ان أولى ما به أن ينزه عن تأثير كل باطل ، وان روى عنه من روى •

فقد روى عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنه صلوات الله عليه وسلامه ما يخالف شريعته المطهرة كذبا عليه ، ولولا ذلك ما افترقت أمته على ثلاث وسبعين فرقة ، كل فرقة تروى عنه صلى الله عليه وسلم فى كثير خلاف ما يروى عنه عليه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن يسند ذلك •

واذا كان بهذه الأمة هكذا ، فما الفرق فى أصحاب الفلسفة ؟ والأصح أن الخطأ لا يجوز أن ينسب اليهم ، وانما ينسب الى الراوين عنهم ، ويحاشون بهم من ذلك •

وأما ما ذكره أراد من الله تعالى لا يجب عليه فعل ما هو الأصح لعباده فحق ، لأن الله تعالى لا يلزمه شىء على الاطلاق لخلقه ، وما لخلقه شىء ، وما جاء فى القرآن من لفظ ، وعلى الله وعلينا مما أنه فى موضع لو كان ذلك اللفظ على مكلف يجب عليه ذلك ، فليس معنى ذلك فى حق الله على الوجوب ، لقوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ولا يكون الواجب واجبا على أحد إلا أن يكون اذا لم يؤده وجب عليه العقاب ، واذا وجب أراد أداءه وجب له الثواب ، والبارى منزه عن ذلك •

وأما أنه لا يفعل إلا الأصلح لعباده منة وفضلا من غير وجوب عليه ، فان كان المراد لغير أهل الشرك أو لغير فساق المسلمين فممكن ، وقال تعالى : (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولكن كما قال الله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فان الاحاطة بعلم الأصلح للعبد فى كل أمر محال ، وانما يحيط بذلك البارى سبحانه وتعالى ، فيمكن أنه لايدرى بما هو أصلح له ، فيحكم أنه يفعل الأصح وغير الأصلح •

وبالجملة فان الله لا يفعل شيئا ويعرفه المؤمن الشاكر إلا ويكون ذلك الفعل من الصلاح للمؤمن ، لأنه يزداد به شكرا فيزداد به ثوابا ، ولا يعرفه فاسق إلا ويكون ذلك ليس له من الصلاح له لأنه يزداد به فسقا بقلة الشكر ، فيزداد به عقابا ان كان مما يستحق العقاب ، فهو ميزان فيهما لا يختلف • فافهم ذلك •

وأما ما ذكره من ثلاثة الاخوة ، فالطائع فى علمه أنه سيطيعه ، وفى حكمته تدبيره التى لا مجال للنظر فى معرفتها تركه حتى يكبر ويطيعه ويثيبه ، وذلك هو الأصح له •

وأما العاصى فليس له كرامة ولا منة بفعل الأصح له ، لأنه اختار لنفسه الأضر ، فكان له ما اختاره لنفسه •

وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأنى لو تركتك حتى تبلغ لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وانما هى تكون فى الممكن فى علمنا ، وأما فى الواجب مما فى علمه ، وفى المستحيل خلافه لا يصح فى صفاته تعالى لو ، وانما أماته صغيرا لما كان فى حكمته وتدبيره فى خلقه كذلك منة له من الله تعالى ، ولا شك انما فعل الله من موته صغيرا هو الأصلح له ،

ولا نعتبر بالأصلح أنه لا يكون إلا ببلوغ الدرجة الأعلى وبدونها هو الأصلح ، لأن الأصلح يطلق الى الأنفع ، والأنفع يطلق الى ما يقابله من الأضر كانا قليلين أو كثيرين •

ومعى أن هذه المسيلة يسع جهلها ، ويجوز فيها الاختلاف على أن البارى سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويجوز أن يوصف سبحانه وتعالى لا يفعل فى تدبيره إلا ما هو الأصلح من غير أن يجعل ذلك لازما عليه ، تبارك وتعالى ، وانما المستحيل هنا هو الايجاب عليه ، واللزوم فانه لا يجب عليه شىء فاعرف ذلك •

والكريم الحليم يكافىء من كان حليما معه ، والعمل له ما أراده منه ، ويجازى أهل الفساد ، ويتفضل على بعض من لم يصح منهم فعل طاعة ، ولا فعل معصية ، فهى من الصفات الحسنة ، فى الملوك ، كذلك يفضل الله تعالى فى الآخرة على من لم يبلغ الحلم ، ثم انه لا يليق بالملوك أنهم لا يحسنون إلا من فعل فيهم احسانا ممن لم يعمل شيئا من المعاصى لهم ، فهى صفة مذمومة فيهم ، والله فضله واسع ، ولكن لا تلحقه صفات الذم لو لم يحسن إلا على حسن صفاته ، لأن صفاته لا يلحقها النقصان بذلك • انتهى •

قلت لشيخى وحبيبى وسيدى : ما تقول فى كل هذا ، وفى قول الشيخ ناصر : وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأنى لو تركتك حتى تكبر لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وإنما هى تكون فى الممكن فى علمنا ، تفضل بين لنا معناه ، فإنا قد عرفنا من كتب التوحيد وبعقولنا أيضا أن الله تعالى عالم بما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، وكذلك قد أشكل علينا وأنت أهل سيدى لحل المشكلات ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى فى هذا من جـوابه أنه مما لا وجه لصـوابه ، وما كنا بتاركى قـول شيخنا ، ولا رادين على أحـد من علمـاء مذهبنا إلا حيث لا يجـوز الاتباع لخرقة الاجمـاع ، فان فى المجتمع عليه ، ومما لا يجـوز دخول الرأى عليه ، ولا وجـود النزاع فيه ، ولا القـول بخلافه أبدا فى رأى ولادين •

*** مسـألة :**

العلوم التى أجمع الفقهـاء فيهـا على أنه سبحانه عالم بما كان وما سيكون وما لم يكن ، لو كان كيف يكون فعلمه تعالى متسـع لكل شىء ، لا يخفـى عليـه شىء من الممكنات ولا من المستحيلات ولا من المفروضـات أن لو كانـت كيف تكون مـع علمـه بأنها لا تـكون ، وإلا لكان جاهلا بشىء من أنـواع العلم ، وهـو عالم الغيب والشهادة على الاطـلاق ، وما هذا إلا قسـم من علم غيبه الذى استأثر به على خلقه ، فهو العالم به قطعا ، لأنه بكل شىء عليم •

وهذا شىء من الأشياء ، وعلم من المعلومات ، فالقول بأنه لا يعلمه جهـل محض لنفيه العلم عن الله تعالى فى بعض الصـور ، وفى ذلك تجهيل له ، وتنقيص ، وحط عن رتبـة الكمال المطلق فى العلم بلا شك ، وهو مناقض لوصف الألوهية والجـلال ، وهى مسألة عظيمة فى بـاب ما لا يسـع جهله ، على من قامت بها حجة العقـل عليه بحضـورها فى باله ، فهى مما لا وسع فى جهـله من بعد ذلك أبدا فيما عنـدى •

والعجب من هذا الشيخ البصير ، والجهبذة الكبير ، كيف تلتبس عليه مثل هذه مع شـدة نورها ، وكمـال ظهورها ، ثم اذا أشـكل مثلها عليـه ، فكتاب الله بين يديه ، وقـد صرح بهـا فى غـير موضع ، وهو الحجة له وعليـه ، فكيف يصح القول بأنه ليس فى علمـه تعالى لـو ، وكتاب الله مشحون به •

قال الله تعالى : (ولو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) والله خبير بأنه لم يكتب عليهم ذلك أصلا ، ولا ليكتبه أبدا ، وقد خبر بما سيكون منهم أن لو كان ذلك ، وكذلك قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهو يعلم أنهم لا يردون من النار ، ولا يخرجون منها أصلا ، وانما قال على سبيل العرض والتقدير ، وهو يعلم ذلك منهم حقيقة أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه .

وقال : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وقال تعالى : (ولو أنزلنا عليهم كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) وقال سبحانه : (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) وقال عز وجل : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وقال تعالى : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقال تعالى : (ولو أننا أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) وقال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .

وهذا باب كبير ، وأصل عظيم من أصول كتاب الله تعالى ، فكيف يجوز خلافه فى مال ، أو يتصور نقضه لذى بال ، أو يجوز الشك فيه لاشكال يعتريه بعد ثبوته بالنص فى كتاب الله تعالى ، ولو قد كنت فى زمن الصغر مع هذا الشيخ وهو يتكلم فى هذه المسألة فعارضته بقول أهل العلم : ان الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان فقال : ما أنت ممن يتعاطى مثل هذه المسألة ، لأنها تفضى الى مسائل بعيدة ،

لأنا لو قلنـــا : ان الله تعالى قد يرى الأشـــياء جميعهـــا على حقائقها من قبـــل أن يخلق الأنبيـــاء معه صورا قديمة فى الأزل ، وليس هـــذا إلا من المدركات بخزانة الخيال ، والله منزه عنه فتركت الخوض معـــه فى ذلك •

وفى نفسى من ذلك ما لا أحب أن أبدأه ، مثل هذا الكلام يوجب القول بعدم علمه بما سيكون مطلقا ، فلا أدرى لأى معنى أتى بـــه فى هذا الموضع ، اللهم إلا أن يكون فى نفســـه قد خاطب من لا يفهـــم بما لا حقيقة له ، ولم يرده أصـــلا ، فقـــد يحتمـــل وهو أحسن ما يحمل فى الحـــق عليه ، وإلا فهو من الباطل المجتمـــع عليه فلا يعتنى برده ، لأنه أوضح من أن يشكل على من له أدنى مسكة من عقـــل أو مطالعـــة الأثر ، أو مجالسة لذى فقـــه وعلم ، فضـــلا من غـــيرهم ، فان علمـــه تعالى صفة من صـــفات ذاته القديمـــة الأزليـــة ، وهو محيط بمـــا كان وما سيكون ، وما لم يكن أن لو كان مطلقا ، ولو كان علمه بالأشـــياء لا يكون إلا مع وجودها أو بعـــده لكان علمه حادثا مكتسبا ، وكل مكتسب فهو حادث ، وكل حادث فله محـــدث ، وليس هو بقديم ، وكل محل للحوادث فهو حادث أيضا •

وليس بإله ، وتدخل فى هذا الأصل أيضـــا مسألة البدوات المجتمع أصحابنا على انكارها ، وهى القول بأنـــه سبحانه اذاأراد خلـــق شىء أو فعله بدت لـــه ارادة ذلك الشىء فى حاله ذلك ، فكان كمـــا أراده ، ولا شك أن البدء حادث ، والله غنى عن الحوادث ، فلا يجـــوز عليـــه ذلك اجمـــاعا ، لأنه قيـــل قبـــل بدء ذلك كان جاهـــلا به ، والجاهل ليس بآله ، ولأنه يكون محلا للحـــوادث ، وكل محـــل للحوادث فهو حادث ، والحادث ليس بإله ، ولأنه ادعـــاء الى ما يحـــدث اليـــه ومن كان كذلك فليس بإله •

هذا وأعجب منه مفتقر كون المعلومات له سبحانه وتعالى صورا قديمة قائمة بعلمه ، أو متخيلات له كذلك ، ونفس التخيل على الله تعالى محال ، كما قاله ، وأجاد فيه ، لكن نادى العلم اليه بطريقة الاكتساب من المعلومات أيضا محال ، لأن المتلق بالمحال محال مثله .

واذا كان علمه تعالى عبارة عن نفى صفة الجهل عنه عند المحققين ، فأين موضع القول بتعلقه بالمعلومات حتى تكون فى حقه صورا قديمة قائمة معه ، فيلزم عدمه بفقدها ، ووجدانه بوجودها ، فيكون متوقفا عليها ، وهى حادثة فهو حادث أيضا مثلها ، وليس بعلم الله المعبر به عن عدم اتصافه بالجهل بالأشياء مطلقا ، وهذه هى غاية الجهل ممن يقول به ، واذا كان هذا لا يلزم فى صفة العلم المخلوق للعباد ، سواء كان ضروريا أو مكتسبا ، فكيف به فى العلم الإلهى القديم الذى هو من صفات الذات ، فانك خبير بأن المعلومات لنا أجلها قدرا ، وأعظمها شرفا ، وأعلاها محلا ما لا يمكن تصوره أصلا ، فلا صورة له ولا خيال قطعا .

ومن ذلك العلم بالله تعالى وبصفاته وبأسمائه كلها ، وهو البحر الذى لا ساحل له ولا قعر ، وهذا الأصل من العلم يسمى معرفة وعرفانا وعالمه يسمى عارفا بالله ولا يقال : عالم بالله تأدبا بلا حجرا ، فقد قالوا : العلوم ثلاثة : علم بالله ، وعلم بأمر الله ، وعلم بأيام الله ، وليس فى شىء من هذا كله مما يمكن فيه التصور ولا ادعاء الصور القائمة ، إذ لا يجوز نسبة ذلك الى الله تعالى اجماعا ، فقد ثبت حصول العلم بغير صور قائمة معه ، واذا فكر العبد فى نفسه يجد ما لا يحصى عده من المعلومات التى لا يمكن تصورها .

فالعقل صفة موجودة ولا يمكن تصورها ، وهى معلومة لنا ، فكذلك العلم ، والعلم بالعلم ، والعلم بالجهل ، والجهل بالجهل ، والحلم والغضب ،

والشهوة والارادة وأمثالها مما يطـول ذكره ، فالعلم بـه كله حاصـل بغير تصـور منا ، فكيف يلزم ذلك فى حقه تعالى •

فكذلك نعلم أن لكل حيـوان روحا فى جسـده ، وبها قوام أمره ، وهى عمـدة حياته من غير التزام تصور لها منا ، فكيف يلزم ذلك فى علمه تعالى ، وبهـذا تعرف صحة ما أصلناه أن نفس العـلم بالشىء غير مقصور على تصوره البتة ، ولا متعلق به ، ولو تصفحت العالم كله لوجدت أكثر المعلومات مما لا يمكن التصور فيه أصـلا ، فكتاب اللـه تعالى كله بجميع آياته ومعانيه من هـذا الباب •

ونفس الارشـاد الى الحق ، والدعاء اليه ، والهدى به ، بل الحق نفسه أمر إلهى لا يمكن تصـوره بل العلم مطلقا من شريعة أو حقيقة أو غيرها ، ونتـائج الأفكار والعقول كلهـا معلومات لا صور لهـا قائمة فى العين ، والعلم بهـا حاصل من غير تأدية الى صور قائمة بهـا ، فمن أين جاز ذلك أو لزم فى علم الله تعالى وهو باطل •

ثم ان ما له صـور قائمة لا يتوقف العلم به على وجدان تصوره ، فان علمنا مثلا بوجـود سد ذى القرنين ، علم كاف فى معرفة وجوده غير موقوف على وجـدان صورة له معنـا ، كعلمنـا بذى القرنين ، وبآدم ونوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكعلمنا بجبريل وميكائيل واسرافيل ، وعلمنا بهؤلاء كعلمنا بالعرش العظيم وبالسموات السبع ، وبالكرام الكاتبين ، وبغيرهم من المعلومات التى لها فى الأصل صور قائمة ، لكن العلم بها فى حقنا غير متوقف على وجـدان الصور ، وقـد ثبت لنا نفس العـلم بهـا بمـا لا يجـوز الاختـلاف فيـه أبـدا •

واذا ثبت العلم بها غير متوقف على استحضار صورها ، فقد ثبت أن اسم العلم حاصل مع وجدان الصور وفقدانها سواء ، وهو مرادنا ، فالله تعالى غير جاهل بهذه الأشياء ولا بغيرها فى حالتى وجودها وفقدها سواء ، واذا كان غير جاهل بها فقد وصفناه بالعلم بها فى كلا حالتيها ، فهو عالم بها قبل وجدانها وبعده ، ومعه لم يتغير علمه بها فى كل حالة أبدا ، وانما تتغير المعلومات عدما ووجودا واضمحلالا ان كانت هى من جنس الحوادث المبدعة من نوعى الخلق ، أو الأمر جميعا فعلمه سبحانه وتعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم مثلا من قبل خلق آدم عليه السلام ، بل من قبل خلق السموات والأرض ، هو علمه به لما أحدثه وأرسله الى خلقه ، وعلمه به فى حال بعثته ومن بعد موته سواء بسواء ، لا يجوز الاختلاف عليه أبدا .

وقد دل السماع على ذلك كله من الكتاب دلالة صريحة ، على أنه تعالى عالم بكل شىء من قبل أن يوجد ومن بعد أن يفقد سواه وشاهده فيما مضى قوله تعالى : (قال فما بال القرون الأولى) يسألونك عن القرون الأولى (قل علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) وشاهده فيما سيكون اخباره عن المغيبات الآتية ، كخروج الدابة ، وقيام الساعة ، والاخبار عن أهل الجنة والنار ، وأهل الأعراف وغيرهم بنص أقوالهم ، كما صرح به فى غير موضع من كتاب الله تعالى كقوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها ربى لا يجليها لوقتها إلا هو) وكقوله تعالى : (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) وكقوله تعالى : (قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول أئنك لمن المصدقين) وقوله تعالى : (قالوا يا مالك

ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون • وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون) وغير هذا مما لا حاجة الى الإطالة بـه ، إذ ليس فى الاسلام من ينكره أصلا •

وبالجملة فهو عالم الغيب والشهادة ، وهو بكل شىء عليم ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ، أليس فى هذا كله دلالة واضحة على أن علمه بها قبل كونها لا يستلزم وجدان صورتها قديمة معه ، قائمة بعلمه ، لأنه لو جاز ذلك لكانت الأشياء كلها قديمة معه ، لازمة لعلمه القديم ، وهذا باطل اجماعا فانما ما سوى الله كله حادث بعد كونه عدما محضا ، وقد قام بذلك البرهان فلا منكر له من أهل الاسلام ، ولا حاجة هنا الى ذكره ، وبهذا تعرف صحة ما قلناه فى هذه المسألة ان شاء الله تعالى ، فهذا كاف فى هذا الموضع لبيان المقصود ان شاء الله تعالى •

وأما ما أطنب فيه الشيخ من ذكر أرسطو الحكيم ، فنحن لم نقم معنا فيه حجة تقطع أحكامه ، ولا تصحح اسلامه ، ولا تثبت عذره ، ولا تثبت كفره إلا ما ينسب اليه فى الآثار الاسلامية من مذاهب الضلال الفلسفية ، فمن صح معه ذلك عده هنالك كما قال ابن أبى الحديد المعتزلى :

والله لا موسى ولا	عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو	الى محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غير أنك	وإحدى الذات سرمد
من أنت يا رسطو وأفلا	طون قبلك يا مباد
ما أنتم إلا الفراش	رأى السراج وقد توقد
فدنا ليحرق نفسه	ما ضره أن لو تبعد

وقولنا انه بحكم الأصل غير مقطوع بهداه ولا كفره ، فهو فى حكم الوقوف كغيره ، لأن أحكام الله تعالى فى خلقه سواء ، فمن صحت معه هدايته وتقواه ، وجبت عليه ولايته فى دين مولاه ، ومن صح معه ضلاله فالبراءة هى التى يقتضيها حاله ، وإلا فهو على ما قلناه من حكم الوقوف ، والخلق فى أبواب الديانات على مذاهب شتى وصنوف ، وأن أرسطو وأفلاطون ورسطاليس وغيرهم كلا منهم على منزلته على حاله رهين أعماله ، وليس فى مدحة ذى القرنين ، ولا فى ولايته ما ينقل أحدا منهم فى الحكم عن حالته •

وليس ذو القرنين بأعظم منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحابته ، ولم يثبت لهم حكم ولاية بماثبت من سعادته إلا على الخصوص فيمن كان له سابقة فضل فى حكم الظاهر ، أو شرفه بها الرسول صلوات الله عليه بنص من شهادته ، فكيف يصح ذلك القول فى رسطو أو من كان من أهل فلسفته انى لا أعرفه ، ولهذا نبهت عليه لينظر فيه من كان من أهل النظر ، ثم لا يؤخذ من قولى هذا ولا غيره إلا ما وافق الحق والهدى ، والله أعلم •

هذه أبيات فيما يؤنث من جسد الانسان ولا يجوز تذكيره :

يا أيها السائلى عن كل جارحة
فى المرء تأنيثها فى النحو يعتمد

العين والسن والأذن التى ذكرت
والعضد نيطت بها أصبع ويد

ثم الشمال ويمناها إذا بسطت
بكفها والقنا يوم الوغى قصد

من بعدها الأضلع العوجا على كرش
عدت على قدم لها تجد

والعقب والرجل ساق الى فخذ
والقلب والسورك والخد لا والكبد

والاست والرحم والقتب الذى عهدت
والكتف من بعرد فيها يكمل العدد

وفيما يجوز تذكيره وتأنيثه :

وهاك من الأعضاء ما قد عهدته
يؤنث أحيانا وحينا يذكر

لسان الفتى والعنق والابط والقفا
وعاتقه والمتن والضرس يذكر

وعد الذراع والكراع مع المعى
وعجز الفتى ثم القريض المحبر

كذا كل نحوى حكى فى كتابه
سوى سيبويه وهو فيه مكثر

يرى أن تأنيث الذراع هو الذى
أتى وهو للتذكير فى ذاك منكر

وفيما يذكر ولا يجوز تأنيثه :

يا سائلى عما يذكر بالفتى
لا غيره عن حاذق لك مخبر

رأسى الفتى وجبينه وقذاله
والثغر منه وأنفه والمنخر

والبطـن والفـم ثم ظهـر بعـده
نـاب وخـد بالجبـاء يصـفر

والشبر والشـدى اليـدين وناجـذ
والبـاع والذقـن الـذى لا ينكـر

هـذى الجـوارح لا تؤنثهـا
فمـا فيهـا اختـلاف كلهـن مذكر

*** مسـألة :**

ومنه سؤال من محمد بن سالم بن سيف الحجرى : تفضل شيخنا اشرح لنا هذا البيت ، وهو من ألفية ابن مالك :

جمع الـذى الأولى الذين مطلقـا
وبعضهم بالـواو رفعـا نطقـا

كيف جمع الأولى ؟ وما مراد الناظم فى هذه اللفظة ؟ وكـذلك استشهاد الشـارح فى الشرح : ويتلى الأولى الـذين يستليمون على الأولى ؟ تفضـل اشرح لنا ذلك شرحا بينا لقلة فهمنا ، وقلة من يساعدنا فى هذه الدار ، وأنت مأجـور إن شـاء الله .

الجـواب :

قد قيل فى الموصولات انه للعاقل المفرد المذكـر ، فاذا كان فى جمع العقلاء المذكورين قالوا : الذين فى الجـر والنصـب والرفـع ، وبعضهم يقول : اللذون فى الرفع خاصة ، وهـو معنى قوله وبعضهم بالواو رفعـا نطقا .

واستعملت لفظة الأولى بضم الهمزة بعدها اللام مقصورة ويرسم بينهما الواو خطا لا لفظا ، فتكون فى موضع الذين استعملت الذين له ؛ أى هى موصولة للعقلاء المذكرين ، وهو معنى قوله : جمع الذى الأولى ، وليس المراد به أنها صيغة جمع كصيغ جموع التكسير ، ولا السلامة ، وانما سماه جمعا تسمية مجازية باعتبار اقامته مقام الجمع فى الاستعمال •

وما ذكره الشارح فى البيت المستشهد به •

وتبلى الذين يستليمون على الأولى
تراهن يوم الروع كالحد البقلى

فقد استشهد به على الأولى المقدمة فى البيت بمعنى الذين ، وأن الثانية منها قد استعملت فى جمع المؤنث ، وقيل فى معناة ان المنية تبلى الفرسان الذين يستليمون على الخيار اللاتى تراهن يوم الروع الى تمامه ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : فى لا النافية تجزم الفعل أم لا ؟

الجواب :

لا يجزم الفعل بلا النافية ، ولكن يجزم الفعل المضارع لا الناهية ، وزيادة المدة فى لا كما هو فى السؤال غلط من الكاتب ؛ والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه ومما وجد عنه رحمه الله تعالى فى مراتب الأعداد المتربية

الهنـدية كما ترى عشرة آلاف هـكذا ١٠٠٠٠ . عشرين ألف هـكذا ٢٠٠٠٠ ، مائة ألف هكذا ١٠٠٠٠٠ ، ألف ألف هكذا ١٠٠٠٠٠٠٠ .

*** مسـألة :**

قال الله تعالى : (فاذا جاء وعـد الآخرة ليسـوءوا وجوهكم) ما معنى هذه اللام المكسـورة التى رفعت هذا الفعل ؟

الجـواب :

ان هذه اللام لام التعليل التى لا يقـال لها لام كى ، والفعـل حينئذ منصـوب بها ، وعـلامة نصـبه حذف النون من مضارع فعل الجماعة ، والمعلل محذوف تقديره : فاذا جاء وعـد الآخـرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

وفى المذنب اذا ظلم شيئا من ماله أو عرضه أيصح عنـد أصحابنا أن ينتقم لـه يوم القيامة لأنـه قد ثبت أن لا أجـر له ، ولا عمـل خير له ، ولا له فى الآخـرة انها النار ، فما معنى يوم ينتقم للمظلوم من الظـالم ، أم هذا اختصـاص للمطيعين أم كيف ذلك ؟

الجـواب :

انى أجعل اللام من قوله للمظلوم لام التعليل ، أى ينتقم لأجـل ظلم المظـلوم من الظـالم ، فيعـم ذلك جميع المظلومين من الأبـرار والفجـار ، والله أعلم ، فلينظر فى جميع ذلك ، ثم لا يؤخـذ منـه إلا الحـق والصواب .

*** مسألة :**

ومنه : وسئل عن تفسير قوله تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) ؟

الجواب :

الله أعلم وأنا ضعيف عن تعاطى تأويل كتاب الله الجليل ، ولكن فى قول المفسرين ما دل على أن هذا بيان لما وعد الله به عباده المؤمنين والمؤمنات ، مما لهم عنده فى يوم القيامة من الشرف والكرامات ، فالمؤمن يأخذ كتابه بيده ويؤتاها عن يمينه ، كما أن المنافقين والكافرين يؤتونها عن شمالهم ، وتحول وجوههم عن هيئتها الى قفائهم ، فيأخذونها من وراء ظهورهم والعياذ بالله تعالى ، فكما يأخذ المؤمنون صحائفهم من الجهتين ، يجعل الله لهم كذلك نورا يسعى بين أيديهم ، وعن أيمانهم يستضيئون بنوره فى ظلمات القيامة ، ويهتدون بضيائه فى صراط الآخرة حتى يوصلهم الى محل الكرامة ، ومقعد الصدق فى فسيح الجنة ، ومنتهى الرحمة ، فيقال لهم بشراكم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم •

فالنور الحسى فى دار الآخرة ، وهو نور الحق الهادى الى سبيل الحق فى هذه الدنيا بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، واتباع كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان

على نور من ربه فى دنيـاه ، فله بقـدره هنالك نـورا يستضىء به فى أخـراه ، والحـق نور كله لا ظلمة فيـه فى الدنيـا ولا فى الآخـرة ، والباطل كله بجميع أصنافه ظلمة لا نور فيه ، وهلاك لا نجـاة معـه إلا بتركه ، والمبطـل أعمى يتخبط فى دنيـاه وآخـرته تخبط العشوى ، كمـا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور •

فاذا جاز المؤمنـون يوم القيـامة بأنوارهم وكيـانا على نجائبهم كالبرق الخاطف فى سرعتهم ، وبقى المنافقون والعصاة فى ظلمتهم ، حفاة عراة عطاشا جوعى قد ألجمهم العرق ، وبلغت منهم القلوب الحناجر من الفرق ، قالوا للمؤمنين انظـرونا أى أمهلونا قليـلا لنسعى فى آثاركم متلبسـين من أنواركم ، فقد كنـا فى الدنيا بجـواركم ، مختلطين فى عماركم ، وهيهات قد انقطع الرجـا ، وعدم الملتجـا ، فمن لا نـور له يهـديه الى الحق فى دنيـا ، لاتباعه مجـرد هواه ، وغفلته عن الله فيما أمر به ونهـاه •

قد أحاطت به ظلمات ظلمـه ، فى جهـله أو علمه ، فلا نور لـه فى آخـرته فالى أين يذهب به ، ولهذا قيـل لهم على سبيل التهكم بهم ، والاستهزاء ، ارجعوا وراءكم التمسوا نورا ، وهيهات فلا نور لهم حينئذ إلا النـار ، ولا سلامة لهم إلا البوار ، فحينئذ ضرب بينهـم بسور له باب ، يدخـل منه أهل الجنـة اليهـا ، وهو المسمى بالأعراف فى قول المفسرين ، باطنه من جنـاب الجنة فيه الرحمة لأهلها الأبرار ، وظاهره من شـق نار الله الموصـدة فيه العذاب لأهلها والبوار •

ينادونهم المنافقون هم الذين ينادون يقولون للمؤمنين ، ألم نكن معكم فى دار الدنيـا ، مختلطين يذكرونهم بما كان بينهم من الصحبة والمجاورة والأنسـاب والقرابة ، يوم لا يجـزى والد عن ولده شيئا ،

لاو مولود هو جاز عن والده ، فيقولون لهـم : بلى أى كنـا كذلك ، ولكنكم فتنتـم أنفسكم ، أى محنتموها بالنفاق ، وأهلكتموها بالظـلم والشقاق ، وتربصتم الدوائر بالمؤمنين ، وارتبتم أى شككتم فى صـدق وعد الله ووعيده ، فلذلك أسأتم الأعمـال ، وأهملتم من الآخـرة كل الإهمـال ، وغرتكم الأمانى طول الآمال ، والطمع فى امتداد العمر بكثرة الامهال حتى جاء أمر الله بمغافصة الحمـام لانقضـاء الأيام . وغركم بالله الغـرور ، وهو الشيطان الكفور .

(فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) فلينظر فى هـذه الآيـات المحكمات كل عاقل ، وليتنبه بها من رقـدة الجهـل كل غافـل ، قبـل (أن تقـول نفس : يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ، وان كنت لمـن السـاخرين ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقـول حين تـرى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فهنالك يؤخـذ بالكظم ، ولا ينفع الندم ، فأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم لا تشعرون ، واللـه ولى التوفيق لكل مسـلم بفضـله وكرمه ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنه : وهل تجـوز كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات الأحرف ، اذا كانت لا تعرف إلا أنه مكتوب هذا الطلسم ، والوفق للعلة الفلانية ، ولم يعرف الكاتب عدل ذلك ، أتجـوز لـه كتابته على هـذه الصفة ، اذا كان من ضرورة أم لا ترى رخصـه فى ذلك ، وما قولك فى المصحف المجلد عليه بالذهب أو الفضة ، أيجـوز حينئذ حمله للجنب أو الحائض ، ودخول الخلاء به ، وكـذلك التمـائم المشـمعات أفتنا جميع ذلك ، كفيت المهالك ؟

الجـــواب :

تجوز كتابة الأوفاق والحرف المكسرات من الحروف والأعداد ، وكذا تجوز من الطلسمات ونحوها ، وان كانت لا تعرف ما هى ونحن نرى جواز ذلك ، وأما المسألة ففيهـا اختلاف ، ولا يجوز للجنب والحائض حمـل المصحف المجلد عليـه بالذهب أو الفضة ونحـوهما ، وأما مس الذهب والفضة فجائز ، ولعل ذلك لا ينعـدم من الاختـلاف على قول من يجيز للجنب أن يحمل المصحف بسيره ، فكأنه يشـبه معنى الجواز فى هذا أيضـا ، والله أعلم وبه التوفيق .

*** مسـألة :**

ومنه : وهل يجوز عمل الطلاسم والتحويرات للسارق الجائزة على وجه العدل من دون فساد .

ولا يجـوز حـرق القـرآن ولا شىء من أسـماء الله تعالى ، والله أعـلم .

ومنـه :

بسم الله الرحمـن الرحـيم

الحمد لله رب العالمين ، حضر للجميع ، وفيه مدح لأهل العقـول إذ منّ عليهم على من سواهم ، ولم يقل العوالم .

الرحمن الرحيم : التعريف للعهد ، لأن رحمته قديمة ، أو للحضر أى من فعـل ذلك غيره رحمة ايجـاد تعم الجميع ، رحمة امداد تخص المؤمنين بدلالة التكرير والمضاعفة .

ملك : اشارة الى أنه لم يبق هنالك ملك سواه ، وأن الخلق كلهم

ضعفاء تحت حكمه ، يفعل فيهم بقدرته ما يريد ، وفى هذا الخبر ذم الحياة الدنيا ، إذ لم يجعلها الله شيئا حتى كأنها لحقارتها لم يرض أن يتمدح بملكها ، وتعظيم لذلك اليوم . وذكره دع ما وراءه يوم فيه تهويل للموقف ، إذ جميع تلك العظائم والأهوال ، والزلازل التى تبرز فى يوم واحد .

الدين : اشارة الى العدل ، فمن يعمل ومن لم يعمل كما تدين تدان ، وفيه تخويف وتحذير من موبقات الأعمال ، وفيه تبشير بلقاء العمل الصالح .

إياك نعبد : هذه من مقابلة رب العالمين ، وصف ربه بالربوبية ، وهنا وصف نفسه بالعبودية ، وتملق بين يديه أن جعل نفسه من عبيده رجاء أن يكفله ما أهمه ، وانقطاعه لمولاه ، لأن من عادة المولى كفاية عبيده ، وأن لا يهملهم سدى للشياطين ، ولا سيما ان كان يضعفهم عارفا ، وفيها سر اخلاص العبادة له ، وفيها سر تحقيق العبودية الموجبة للخدمة فى مقام الربوبية المدهشة لعظمتها ، فلا غرو أن يقول .

وإياك نستعين : هذه من مقابلات الرحمن الرحيم ، وكانه لما استغر شرفه الجلال ، فى مقام اياك نعبد ، ازداد من الاستكانة والخضوع ، ومشاهدة الذل والمهانة والحقارة ، الموجب لعدم القدرة على تحمل أعباء الطاعة ، وميثاق المجاهدة ، فلاحت له بعد الشريعة شريعة أخرى أخص من الأولى ، وهى الشريعة الحقيقية ، فقال : وإياك نستعين ، بواو العطف لسر الجمع ، أى نستعين بك مع القيام بالعبادة ، لا مع اهمال المقام الأول ، وفيها سر الاخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين ، أى لا نستعين بسواك قطعا ، وسر الرجاء الجازم لأن السؤال غير متردد ، وسر الاقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب ، فانه لا يستعين إلا من ظهر عجزه . فتبين له حزما .

وسر الأدب فيما سيأتى من الدعاء ، فانه لم ينطق بطلب لشىء إلا بعد ما استعان واستنصر ، والتجأ وتضرع ، وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة ، وفيه اظهار لسر قدرة الربوبية ، فان من لا يقدر على شيء لا يستعان به فى شيء ، واظهار لسد الرحمة والكرم ، فان من لا يجود لا ينبغى أن يسأل ، ومن لا يرحمك لا ينبغى أن تتضرع اليه ، لأن التضرع وتركه سواء تعالى الله عن ذلك .

وفى حكايته من الله تعالى تعليم لعباده بحق هذه الخصال ، وفيه إيماء كالوعد بأنه مجيب للسؤال ، واشارة الى اظهار رحمته للعباد ، وحث لهم على الاجتهاد فى الدعاء الذى هو رأس العبادة بمراعات شروطه ، وتشويق بأن يكونوا داخلين فى زمرة وفده الراجين ، واشارة الى منع اليأس والقنوط من رحمته ، لأنه معين ، واشارة أخرى الى التوكل الذى هو رأس العبادة ، ودعامة الايمان ، لأن من استعان بالله فلابد من أن يتوكل عليه فيما به يستعين ، فتكفى بمجرد رجاء اعانته قطع النظر عن غيره . وإلا فلا يكون من المتوكلين .

وكأنه يدخل فيه معنى الزهد فى الدنيا ، لأن المتجرد فى مجرد الاستعانة بالله ، فلابد وأن يغلب عليه فى حاله ما أهمه من شأنه ، فلا متسع لغيره فيه ، وهذا فى قوله منقطع بالكلية ، لأنه استعان به مع قطع العلائق البتة عما عداه ، فلا ينظر الى سواه ، لأن غيره وان جل فهو حقير لا يعين على شيء ، ولا يقدر عليه ، فلابد للمتجرد لله فى استعانته من أن يكون موقنا إلا لغيره راجيا ، فيدخل فى زمر الموقنين والراضين بما يفتحه لهم المولى فى هذا الطريق ، فيدخل فى ذلك سر الرضا واليقين ، فلا شك أن علم الحقيقة كله محض الاستعانة والانقطاع ، وترك الأطماع فى غير الله بالكلية ، حين يطهر القلب فى طريقه بالله ، ومع الله ، فتقول لسان حاله :

اهدنا الصراط المستقيم : فهذه كيفية الترقى للوصول فى هذا

الطريق ، لا تدريج المراتب ، فأولها معرفة الله ، والإقرار له بالربوبية ، معترفين بالعبودية ، فتفيض عليهم نفحات الرحمة مترادفة متواليـة ، حتى توقفهم فى مقام التذلل والخضـوع ، والاستكانة والخشـوع ، لا تلبث أن يبرز لهم فى مقـام هو أعظم منه ، وهـو ملاحظة الجـلال الباهر ، والقدرة العالية التى تحثهم على الاستعانة بالاستكانة .

ولمـا انتهى بهم الأمر الى هذا الحال ، برز لهم خفى اللطف ، فى صحائف الكشف ، عن حقائق الأمور الدقائق فأظهر لهم من ظلمـات الطبع ، وكثائف البشرية وحجب الجهالة ، ما غمر القلوب منهم ، فتركهم صرعى بين هاتيك المهالك حيارى فى تلك المسالك ، لا يهتدون سـبيلا ، ولا يجدون دليلا ، فكان جدرا بخفى لطفه ، وعميم كرمه أن لا يخيب رجـاء من زاده فى سفره مجرد الاستعانة به ، والتوكل عليه بمحض الصـدق ، وصفاء الود ، وثبات العزم ، وصدق الهمة .

فألهمهم طريق الخلاص ، والانقـاذ باستعانة ثانيـة وهى طلب مجرد الهداية ، التى لا يقدر عليها إلا به ، ولا ترجا إلا منه ، فقالوا : اهدنا علما بأنه لاهادى إلا هو ، ولا هدى إلا بمنه ورحمته ، وبسر كلمـة اهدنا هداهم الى الطريق الواضح ، فكشف لهـم من أنـوار هدايته ما دلهم على نعت الطريق ، بأنه طريق الحق الذى يدق ويصعب على العقل ادراكه على الحقيقة ، كمـا هو إلا من أمـده نور التوفيق ، ففتح عين بصر بصيرته ، فنظـر بمقلة الكشف الى أحـد من السيف ، وأدق من الشعرة ، مثلا فى استوائه لا أنه جسم محـدود من الأحزام ممـدود .

ولمـا كان هو بذلك الحال فى المثال ، وجب أن يزداد فى توضيح صفاته ، وقال : المستقيم أى القيم المسـتوى ، الذى هو غـير قابل الاعوجاج ، وفيـه عبارة عن الانقطاع الكلى الذى لا تلجلج فيه ، وفيه

ثنـــاء بالغ ، وتمدح لهـــذا الطريق العظيم برهانه ، وفيـــه تعريض بأن ماعداه من الطريق مخالفا له ، فهـــو الأعوج جـــزما ، لأن التعريف فى استقامته لاستغراق جنس الاقامة ، فلا قيـــام لغيره أبدا •

ولمـــا انتهى بهما الحال الى هذا المقـــام ، ورأوا من عجائب الطريق فى هذا السفر الميمون ، ما دلهم على أن مراتب الهدى ، والاستقامة غير مقصورة على حد واحـــد ، فهى درجـــات شتى ، ومقامات تتفاوت فى اختلاف أحوال السالكين ، وحضوض الواصلين ، استغرقهم الشوق الى حب الحب ، ومقامات القرب ، ومجاورة الأولياء ومعاشرة الأنبيـــاء ، الذين هم أدلاء الطريق الى ذلك الفريق ، فلم يلبث لســـان الحـــال ، أن صرح بالمقال •

صراط الـــذين أنعمت عليهم : من النبيين والصـــديقين والشـــهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقـــا ، فالصراط الأول صراط الســـالكين المجتهدين ، والصراط الثانى صراط الأوليـــاء والمقربين من الواصلين ، وكم بين المقامين من مهجة تـــذوب شـــوقا ان أعطيت ذوقا ، وناهيـــك بكمال الآداب ، وقوله : أنعمت ففيه تصريح بأن النعمة منـــه فضـــلا من قبل المولى ، لا يدركه العبد بالطلب حـــزما ، وناهيك بهـــا نعمـــة يقصر الوصف عن ادراكهـــا ، بل لا يعبر عنهـــا إلا الذائقـــون منها ، لا بل يحـــرم فى بعض الأحيـــان كشفها ، ويجب التصريح تارة بها ، وأما بنعمة ربك فحـــدث •

والنعمة هاهنا مجرد العناية من الرب بتطهـــير العبد حتى يصـــلح للخدمة ، فيكون فى مقام الخواص من الأولياء ذوى الإخلاص ، ولابد فى سلوكه من تدريجه فى المراتب الثلاث التى هى : الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، وفى كل مرتبة يمده المولى بنعم جلى ، فالاسلام هو القيام بوظائف الأعمال الطاهرة من الصـــلاة والصـــيام والزكاة والحج ، مع

الاستطاعة الى غير ذلك من الأوامر حتى يأتى على الأواخـر غـير مضيع ولا مبدل لنهى ولا أمر من الظواهر ، فهذه هى المرتبة الأولى من مراتب السلوك ، وبها يسمى المرء مسلما لا مؤمنـا ، بدلالة : (قالت الأعـراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وان سمى مؤمنا باعتبـار آخـر ، فانما هو اختلاف لفظ لا اختلاف معنى ، فهـذه نعمة فى حق من هى من درجاته ، لأنها منجية من الشرك والسيف ، ومدخلة فى الأحـكام الاسـلامية الظاهرية ، وعليها ترتيب إياك نعبد ، لأنهـا مقام شرع ظاهر ، وهذه هى الصراط المستقيم فى حق السالك بها ، لا فى حـق من هو فوقه ، فانها تعـد قصورا فى حقـه ان اقتصر عليها ، ولكن فلابد من ملازمتها أصلا ، لأنها مرقاة الى الايمـان ، وبان عدمهـا ان عدم الايمان كما أن بفناء الجسم يفنى الروح الذى هو أشرف شىء فى الهيكل الانسانى ، فكل من ارتقى الى درجـة الايمـان •

فرتبة الاسلام موجودة لديه ، ولكنه قد اكتسب عليها شرفا آخر يسمى الايمان وهو الدرجة الثانية مما أنعم به المـولى على عبـاده ، وشرفها على الأولى كشرف الروح اللطيف على الجسم الكثيف ، وهو مفتاح معرفة الحقيقة ، فانهـا الدرجة الفاصلة بين حقيقة الحقيقة ، وبين ظاهر الشريعة لأنهـا أول التجـرد ممن كثيف الهياكل المظلمة ، ولذلك وصفها صلى الله عليه وسلم فقال : « الايمـان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخـر والقدر خيره وشره » •

وهذه الجملة ان فكرت فهى موجودة مع أهل الرتبتين الأولى ، لأن من لم يعرف أن الله ربه وكفر بالملائكة أو الرسـل أو اليوم الآخـر أو القدر فهو مشرك ، ولكن تأويلها بهذا المقـام على منهج غـير ذلك هو أدق على الأفهام ، وأحق فى الأحكام ، . وأولى بأن يكشف القناع عن وجه تأويله فيقال : أنها الايمان بالله فى مقامات الايمان ، فهـو من نور الفيض الربانى ، يقذفه فى القلب الانسـانى بواسطة مجاهدة وفكر

وتصديق ، واعتبار فى معانى أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله واليوم الآخـر ، وما فى ذلك من الأسرار والقدرة الهائلة الـدالة على عظمة الصانع البديع ، وجلالة قدره فحينئذ تكشف عن عينه غطاء اللبس ، وحجاب الغفلة ، فيدرى أن الأمر إد ، والخطب جد ، والخطر عظيم ، وأنه لم يخلق عبثا ، ولم يترك سـدى ، فينتهى به الحـال الى أن يكون مشغوفا بالفكر ، مشغولا بالذكر ، كثير الوجل ، عظيم الخجـل ، يشاهد بفكره عرصات القيـامة ودرجـات الجنـة ، ودركات النـار ، ومشاهدة الجبار بصفات العظمة ، التى هى منشأ الخـوف والخشية ، ونعوت الجمـال والرحمة ، التى هى منشأ الرجاء والطمع •

فهو متردد النظر متعوب القلب ، مستعمل الجوارح فى هذه الطريق بصفاء الهمة ، وحسن الاعتقـاد ، والقاء القياد ، وتأهيب الزاد ليـوم المعاد ، والاكتفـاء من هذه الدار ببلغة لطريقه ، الى بلوغ فريقـه ، فهذا يسمى مؤمنـا حقـا أى مصـدقا بالله وبملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخـر ، تصديق تحقيق يوافق الظاهر فيه الباطن ، فيجـرى فيه على مناهج الأولياء ، ومقاصد الأنبيـاء ، متمسكا بالكتاب ، منقطعا لله غير متواهن فى ذلك ولا متهاون ، وبـذلك ينكشف له سر القـدر ، فلا يرى فى الوجود لغير الله قدرة على شىء ، لأن كل موجود بوجوده ، قائم بسر قيومية مولاه ، ولـولاه لاضمحل وحـال به فى الحـال ، فلا وجود على الحقيقة إلا له جل وعلا •

ولذلك لما سئل على بن أبى طالب عن سر القدر قال للسـائل : سر خفى فلا تنظره • قال : بينه لى • قال : خلقك كما تشـاء أم كما يشاء ؟ قال : كما يشاء ، قال : وكل الأشياء قسمها عليه • قال : زدنى بيـانا • قال : رزقك كما تشـاء أم كما يشـاء • قال : كما يشـاء •

قال : وكل الأشياء قسمها عليه • قال زدنى بيانا • قال : ان جعلت

مشيئته مع مشيئتك فقد أشركته ، وليس لله شريك ، وان قلت دون مشيئته فقد غالبته .

ثم قال : أتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟ قال : نعم . قال : أتدرى ما معناها ؟ قال : لا . قال : معناها لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله .

ثم قال : أوقعت على قلبك السكينة وثلج اليقين ؟ قال : نعم . قال : فصافحوا أخاكم فقد أسلم إسلاما جديدا ، فهذا سر القدر ، وضابط معرفته ، قطع النظر عما سوى الله فى جميع الكائنات اعترافا بأن الكل مسخر مدبر لابد له من مدبر قادر حكيم عليم ، يدبره كما يشاء فلا مشيئة إلا له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وانظر الى باب المدينة كيف سماه اسلاما ثانيا اشارة الى أنه مرتبة زائدة على التى كان هو فيها ، وكيف وصفه بالسكينة ، وثلج اليقين ، فهذا مقام الايمان ، وهو بداية الترقى فى مفتاح معرفة الحقيقة بسر المجاهدة والفكر فيما ذكرناه ، ومتى ثبت العهد عليه بصدق المجاهدة ، لم يلبث به الحال أن يورثه مقاما آخر ، وهو العلم بالله ، والخوف والخشية والهيبة والتعظيم والرجاء حتى لا يرى لغير الله متسعا فى قلبه ، فلا يكون فى همه إلا هو ، ولا يطمح نظره إلا إليه .

فهو مع الله وبالله وإلى الله على كل حال ، فهذا مقام الاحسان ، وهو الدرجة الثالثة التى هى فوق الايمان ، والواصل اليها قد استكمل الدرجات التى هى دونها ، وعلا الى الدرجة الحسنى ، والمرتبة العليا ، واللطيفة الفضلى ، والطريقة المثلى ، فهو حينئذ لا يملك من نفسه

خيرا ، ولا من قلبه أثرا ، فلا يرى إلا كالهائم ، بالشوق الدائم ، مسلوب القلب ، مغلوب الحال عائما فى بحور المحبة بصدق الوفاء ، وكمال الصفاء ، وبذل الجهد ، باخلاص الود ، ألا ترى الى قول صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ، وقد سئل عن الاحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

ومحال أن يراه العبد ، بل فيه اشارة الى حسن التجرد ، وكمال الانقطاع ، والتبتل بالكلية عما سواه ، فلا يرى خيرا من غيره ، ولا أثرا مما عداه ، فيكون حينئذ قرة عينه فى الصلاة ، وراحة قلبه فى الذكر ، لا تلفت له الى غير مولاه ، ولا نعيم له بسواه ، فهو فى ميادين نجواه ، لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته فهو المقام الرابع المعبر عنه بالحب ، وهو المقام الثانى من مقامات الاحسان ، وهو مقام القرب بين أيادى الرب .

فلا شك أنه عناية من المولى بعبده ، وهو مقام الاستغراق ، فلا تصرف للعبد فيه أصلا ، لأنه فى حدثات اذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش الخير ، فاذا انتهى به الحال الى هذا المقام العلى شأنه والمنزل العظيم برهانه أتيح له مقام آخر من غير مفارقته للأول ، وهو الدرجة الخامسة درجة التمكين ، فيكون متصرفا فى الكون بما شاء ، لا بواسطة إلا بمجرد العناية من الله تعالى ، فاذا قال للشىء كن فيكون فى الحال ، وربما وقع قبل المقال ، بمجرد صرفه المهنة للانفعال .

وكيف ينكر ذلك فى شأن من كان له الحق سبحانه هو المتصرف به ، فلا ينطق إلا بالله ، وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم : « أطع الله يطعك كل شىء » ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن كان لله كان الله له .

واذا انتهى الى ذلك ظهر له وحـال آخـر ويعبر عنه بالمقـام السادس ، وهو أن تظهر له مصالح العبـاد ، وتنكشف لـه أحـوال الخـلائق ، حتى يكون أكثر همه فى مصالح العباد والاستغفار لهـم ، وطلب الرحمة والرأفة بهم ، فهى مرتبة الملائكة الذين من حول العرش يسبحون الله ، ويستغفرون لمن فى الأرض ، وهى من مراتب الأنبيـاء الأكرمين ، فلا مجاوزة لمـا فوقها لأحـد ، وانمـا تختلف الدرجـات بحسب القبول ، وتفاوت الصفاء ، فهذه درجـات الأبدال والأقطـاب والسالكين ، وهى تمـام النعمـة ومقـامات الكرامة والشرف الرفيع ، ودرجات الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين الذين أنعـم الله عليهم بكمال نعمته ، وشمول عنايته ، واليه الاشـارة بقوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم) فقد عرف بهذه الآيات الثلاث سر الترقى فى مقامات الوصول ، من ابتداء المجاهدة الى تمام النعمة •

ألا ترى أن اياك نعبد : هى سر الاسـلام ، وهى سر الشريعة ، وهى مفتاح معرفة الاسـلام •

وإياك نستعين : هى مفتـاح المجـاهدة ، وأول المكاشفة ، لأسرار عالم الملكوت ، وهى مقام الايمان ، ومفتاح الحقيقة •

واهدنا الصراط المستقيم : هى سر الترقى فى السلوك على مناهج الحقيقة بالانقطـاع الكامل ، وهى أعلى من رتبة نسـتعين ، لأن نستعين فيهـا ملاحظة للنفس ، باصـدار الاستعانة من قبـل العبد ، ودرجـة اهدنا هى حق العلائق ، فليس فيهـا اصدار شىء عن النفس أصـلا ، بل هى مجرد ملاحظة الهداية من قبـل المولى ، وهى المقـام الخامس •

ولا يخفى على منصف أن مقام أنعمت عليهم : فوق هذا المقـام ، لأنه رتبة انتهى الى افاضـة النعـم ووهب الكرم ، التى لا يمكن أن

تتناهى الحصر لغير من هو المنعم جل شأنه ، وهذا هو مقـام القرب والتمكين ، يرفع الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات درجات •

وأتى بلفظة عليهم مبالغة فى شمول النعمة لهم ، فكأنها قد أطبقت عليهم من الجوانب كلها ، لأن الاستعلاء على الشىء تمكن منه ، وفيـه اشارة لطيفة إلا أنهم مع وصـول هذه الدرجة لا سبيل عليهم لشىء ، لأن نعمته محيطة بهم متمكنة منهم . فهم فى ظلها يسرحون ، وفى كنفهـا يمسون ويصبحون ، فتبارك الله رب العالمين ، هـذا ما وجـدناه من التسويد من نسخته ، ونحن فى طلبه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه قلت له : سمعه الشيخ عبد الرحمن ناصر بن أبى نبهـان يرفع عن والده وعن الغزالى أنهما عرضا على القرآن فى سجدة واحدة ، ولم أسأله عن ذلك ، فاكشف لنا سرهما وأنت ماجور فى ذلك ؟

الجـــواب :

لـم أبلغ الى ذلك ، والعـلم عنـد الله ، وما أوتيتم من العـلم إلا قليلا

وهذا كتاب الدرة النورانية فى الأحكام القرآنية :

بسم اللـه الرحمـن الرحـيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعـل له عوجـا ، أنزله كتابا محكما قيما سـلما الى الرشـد ومنهجا ، وأشرق بالحـق لامع أنواره فاضمحلت من الباطل غياهب الدجى وحكم بصوارم أحكامه

أطماع من كان له فى التصدى لمعارضيه من تجى ، وجعل منه لمن تمسك بحبله المتين أوثق عروة وأمنع حصن وملتجا •

أحمده حمدا أرتجى لى به من الذنب مخرجا ، وأشكره شكرا ينيلنى هدى منه وتوفيقا وفرجا •

وأصلى على نبيه محمد وآله وأصحابه أهل البصائر والحجى . وأسلم عليه وعليهم سلاما على حسن الثناء عليهم مدبجا •

أما بعد :

فان كتاب الله هو النور البهى ، والمنهج السنى ، والحبل القوى ، كلت الألسن عن استكمال صفات كماله ، وأذعنت البلغاء بالعجز عن الاتيان بكلمة واحدة من مثاله ، فهو لمن تمسك به نور وهدى ، ولمن نبذه وراء ظهره نقمة وردى •

ولما كان الأمر كذلك وجب على حفاظه أن يعتنوا بمعانيه وألفاظه ، ولا يتمكن من ذلك من لا يدرى أين موضع الطريق ، ومن ألقى بنفسه فى البحر المحيط فكم ثم من غريق ، ولما وجدت الناس قد اختلفوا فى الجائز من حكمه ، بمن اعتنى بتلاوته أو رسمه ، سألت الله أن يتداركنى بما أنزل من الهدى فى كلامه ، فيطلعنى على ما لم أهتد اليه فى أحكامه •

فعمت متوغلا فى تلك اللحجج البعيدة ، ونظمت ما استخلصته نفسى من فرائدها من نسلك هذه القصيدة ، وسميتها بـ « الدرة النورانية ، فى الأحكام القرآنية » ولم تزل البواعث تطالبنى بعد تكميلها ، بأن أشرع

فى ايضـــاح تأويلهـــا ، ليســـهل تناولها لطلابهـــا ، وليهتدى من رام الدخول الى بابهـــا ، فقمت أحاول الى ذلك والموانع موجودة ، ويـــد المساعد على ذلك مفقودة ، إلا أن يمدنى الله بيد من توفيقه ، ونـــور هدى يرشـــدنى الى سلوك طريقه •

فأوضح اللهم لعبدك طريق الحق المبين ، واهدنى اللهم الى سبيل الرشـــاده ، فقد تمسكت بحبلك المتين ، متوســـلا اليك بكتابك الـــذى أنزلته ، ومتشفعا اليك برسولك الذى أرسلته ، أن تمدنى بلطيفة هدى من لطائف أنوار تســـديدى المبين ، فأنت يارب خير هاد ومعين •

وهذا شروع الابتداء فى سلوك هـــذا المنهج القـــويم بعد التزام الافتتاح بكلمة :

بســـم اللـــه الرحمن الرحـــيم

لك الحمـــــد يا أللـــه الكـــريم المنـــزل
من الذكـــر ما فيـــه الهـــدى والتـــذلل

تبـــارك أهـــــل الحمـــد والحمـــد كله
بغـــــيرك يا محمـــود لا يتأهـــــل

وأزكـــى صـــلاة مع سلام على الـــذى
اليـــه كتـــاب اللـــه بالوحـــى منـــزل

هـــو المصطفى الهـــادى النبى محمـــد
رســـــول الهـــدى المـــدثر المتزمـــل

وأصـــــحابه والآل والتابعـــــوهم
عليهـــم ســـــلام منه فى النشر منـــدل

وبعـــد فـــان الله أنـزل للهـــدى
كتـــابا لـــه فى الـكون شـــأن مجـــلل

عظـــيم بتعظـــيم الإلـــه وإنـــه
لنـــور الى نهج الرشـــاد موصـــل

هو العـــروة الوثقـــى فيامتمســـكا
به فـــزت فهـــو الشـــافع المتقبـــل

ولـــم تفـــن ما فى آيـــه من عجـــائب
كتـــاب عـــزيز مصـــدق وممحـــل

مصدق : أى ناطق بالصدق فيما جاء به من وعد ووعيد الى غـير ذلك من قولك : أصدقنى فلان اذا وجدت قوله صدقا • والمحل : القاطع الحجة والأعذار واشتقاقه من المحل فان مخالفة مقطوع الحجة عادمها ، أو المهلك فان مخالفه هالك لا محالة ، ولان المحـل من المهلكات فلا يقـع فى الغالب الا نقمة ، واللفظتان هما من كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن •

فيا تاليـــا آى الكتـــاب مرتـــلا
تنبـــه لمـــا يحبيـــك يا من يرتـــل

ففيـــه شـــفاء للقلـــوب من الـــردى
وفيه الهـــدى من عنـــد ربك منـــزل

ودونـــك فى أحـــكامه الفـــر تحفـــة
من النظـــم بالاحسان والحسن تحمـــل

عليهـــا من النـــور الكتابى اشـــارة
وحسن بديـــع بالجمـــال مـــكلل

التحفة : هى الشىء الغريب المستطرف ، والشارة : الحسن والجمال والزينة ، واللباس الحسن والنور الكتابى ، ونور القرآن العظيم ، ومكلل : أى لابس اكليل وهو شىء فى تيجان الملوك كالعصابة مرصع باليواقيت والجواهر الفاخرة ، والبديع : الذى بلغ النهاية كأنه مبتدع •

من الدر نورانية ان وصفتها
وسميتها بل هى أبهى وأفضل

لم يعهد مثله الدرة : اللؤلؤة العظيمة •

والمعنى أن المنظومة المشار اليها اذا وصفتها فهى من الدر ، وان سميتها فهى كذلك ، لأن اسمها « الدرة النورانية » والنورانية نسبة لها الى النور ، أى ذات الأنوار الكثيرة والأضواء الهائلة ، ثم قال : بل هى أبهى أى أكثر بهاء من الدرة التى هى من بعض أحجار البحور ، وذلك لأن غاية الدرة انما هى حجرة ملقاه فى لجة البحر ، فلا تـوازن فضيلة العلم وأنواره ، ولا سيما ان كان ذلك من أنوار كتابه تعالى ، فان ذكر الشمس المنيرة مما يصغر مع ذكره ، فضلا عن الجواهر الأرضية ، فلذلك قال : بل هى أبهى وأفضل، وتشديد الياء من هى لغة فصيحة وبل هو حرف للاستدراك •

فلا تتعجب حين وافتك سهلة
ولى خاطر ينبو عن الشعر مجبل

فمن بركات الذكر أضحى جموحها
مروضا له ان أدن منه تذلل

الخاطر : هو الذى يخطر بالقلب ، وينبو عن الشىء : أى يتجافى عنه، ويتباعد من نبا جنبه عن الفراش اذا لم يطمئن عليه ، أو يكل ويجبن من نبا حد السيف اذا كل عن الضريبة ، وأجبل الشاعر : اذا انسدت القريحة عليه ، وأصله من أجبل الحافر اذا أصاب الجبل ، فتوسع فيه كما فى قوله تعالى : (أعطى قليلا وأكدى) أى أمسك ،

وأصله من اكداء الحافر ، وهو أن تلقى كدية وهى صلابة كالصخر فتمنعه عن الحصر الصخر ، والجموح : الفرس الذى يغلب صاحبه ، ورياضته تذليله ، راض فهو مهر مروض أى مذلل .

ومعنى البيتين وصف هذه المنظومة بسهولة التركيب ، وعذوبة اللفظ ، مندمجا فى طى الاعتذار من الناظم بالاعتراف بأنه ليس هو من علماء هذا المجال ، فان الشعر قد يتجافى عنه فلا تخطر به الخواطر على قلبه ، فهو عن ذلك مجبل وبه معترف .

وأما اتفاق هذه الأبيات فانما هى لطيفة وقعت من بركات الذكر وهو القرآن العظيم ، فبواسطة الذكر وبركاته الفائضة عليه تيسر ما صعب عليه ، فتسخر له الجموح بعد ما كان عانيا ، وأضحى العسير عنده سهلة متواتيا والحمد لله .

فيارب يا رحمن كن لى مسددا
فانى إلا من رجائك ممحل

وكن لى معينا للرشاد موفقا
فانى للتوفيق منك مؤمل

وانك لى حسب عليك توكلى
تباركت من حسب عليه التوكل

ببيان فى موضع فى لزوم القراءة وندبها ، ومن أفضل الأعمال هذا ما وجدناه من هذه المنظومة وعرفنا مزيد صحتها فهذا جوابه لنا :

وهذه وجدناها تساويد له رحمه الله :

الخشوع : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

الذكر : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) •

الـذم : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ، (ولا تكونوا كالذين نسـوا اللـه) (فاستحوذ عليهم الشـيطان فأنساهم ذكـر اللـه) (فأولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) •

والأهبة والتحذير لخاصة الأمر : (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) (يا أيهـا الذين آمنـوا اتقـوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الآية •

للتذكرة : (ان هذه تذكرة) •

والمدحة : (وانه لتذكـرة للمتقين) (وما يتذكر إلا أولوا الألباب) (وما يتذكر إلا من ينيب) •

وفيها الذم من يجب عليها : (فمن شـاء اتخـذ الى ربه سـبيلا) (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) •

الاستغفار وفوائده : (فقلت استغفروا ربكم انـه كان غفـارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنـات ويجعل لكم انهـارا) •

ومنها الرحمة : (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) •

ومنها التوبة : (واستغفروا الله ثم توبوا اليـه) (واستغفروا الله واستغفر لهم الرسـول لوجـدوا الله توابا رحيمـا) •

القيامة : (أمن يأتى آمنـا يوم القيـامة) مع الحـديث الوارد ، فلا يبقى فى عين قطرة من دمع ، اللهم نفسى نفسى ، وهم متمسكون بالعرش

(ان الذين يخشـــون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (ومن يطـــع الله ورســـوله ويخش الله ويتقه فأولئـــك هم الفائزون) •

النـــار : (وان منكم إلا واردها) (لا يسمعون حسيسها) يمـــكن أن يردها ولا يسمع حسيسها (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقـــل ما كنـــا فى أصحاب السعير) (ثم لترونهـــا عين اليقين) •

*** مســـألة :**

السؤال فى الحســـاب : قال الله تعالى : (فيومئذ لا يســـأل عن ذنبه إنس ولا جان • فبأى آلاء ربكما تكذبان) (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام) (لتسألن يومئذ عن النعيم) (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) •

*** مســـألة :**

شـــق عن قلبه وأخرج منـــه مضغة من ســـواده ، قال شيخنا : هى استعارة ، ولفظ يحتمل التأويل بمعانى ذلك ، قال صلى الله عليـــه وسلم اسم شيطانى ، وفى رواية إلا أن الله أعاننى عليه وسلم • قال : (قـــل أعوذ برب الناس) (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) •

*** مســـألة :**

رفع المسيح عليه الســـلام : قال الله تعالى : (يا عيسى ابن مريم انى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) •

قيل ان التسبيح من الله كان ، فيدل عليـــه سبح الحديد ، سبح

الحشر ، سبح الصف ، سبه الجمعة ، سبح التغابن ، سبح اسم ربك الأعلى ، سبحان سورة بنى اسرائيل •

ثمرة التسبيح من القرآن : (فلولا أن كان من المسبحين • للبث فى بطنه) •

النجاة : (سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له) •

اجابة الدعاء والنجاة : (وكذلك ننجى المؤمنين) •

المدحة وحصول الايمان : ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم تسبيح الملائكة وبه يرزقون ، (والباقيات الصالحات) وأما شرفه فانه كلام الملائكة (يسبحون ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وأن الله أثنى به على نفسه فقال : (سبحان الذى أسرى) وأما عمومه (وان من شىء إلا يسبح بحمده) (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وأما وجوبه والأمر به (وسبح بحمد ربك حين تقوم) (فسبح باسم ربك العظيم) (سبح اسم ربك الأعلى) ، (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) •

فان قيل : فهذه الصلاة ؟

قلت : فهذا هو الشرف الأكبر ، كانت الصلاة كلها تسبحا ، فاكتفى بذكر التسبيح عن الصلاة كلها ، فما ظنك به (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) •

وأما الذم على تركه : (قال أوسطهم لم أقل لكم لولا تسبحون) •

والمدح على الرجوع اليه : (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا)

(ام حسبتم أن تدخلوا الجنـــة ولمـــا يعلم الله الذين جاهدوا منـــكم ويعلم الصابرين) (ومن يعتصم بالله فقد هـــدى الى صراط مستقيم) (وأنزلنـــا اليك الذكـــر لتبين للنـــاس ما أنزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) (ليحملوا أوزارهم كاملة يـــوم القيـــامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغـــير علم ألا ســـاء ما يزرون) •

القلب يجـب حفظـــه ، لأن الشيطان واصـــل اليـــه فهـــو جاثم عليـــه •

انه معترك العسكرين : الهوى والعقل •

ان الخواطر والعوارض له أكثر •

ان علاجه أعسر •

ان الذنب فيه يؤدى الى القسوة •

قلت : لأنه ملك الجوارح فهى تفسد بفساده •

لأنه موضع خزانة المعرفة والهداية •

لأنه غائب عنك لا بيصره الى كله ولا من غيره

لأنه موضع نظر الرب جل وعلا •

لأنه شرفك به لا غير •

لأن به النجاة والفوز بعد توفيق الله ، فهذا ما وجدناه من تساويده فى القرطاسة رحمه الله تعالى •

وقد سأله أحد جوابا لهذين البيتين فى الحماسة وليكون الجواب على نسقهما والبيتان هما هذان كما ترى :

السيف والخنجر ريحاننا
أف على النرجس والآس

شرابنا من دم أعدائنا
وكأسنا جمجمة الرأس

الجواب :

جواب بيتين أراد امرؤ
منى هما من نظم أكياس

وانما عندى هما غاية
للمجد مثل التاج للراس

فكيف لا ابن العلا وهما
هذان لا من نظم أنكاس

السيف والخنجر ريحاننا
أف على النرجس والآس

شرابنا من دم أعدائنا
وكأسنا جمجمة الراس

وهذا جوابى لكماة الوغى
سيف كليب رمح جساس

البيض والسمر رياحيننا
لا للاس والنرجس والياس

شرابنا العذب بجميع العدى
وكأسنا رأس فتى كاسى

يطـــربنا وقـــع القنـــا فى الوغى
وانســـنا من وحشـــة النـــاس

وفى الطـــلا وقـــع الظبـــا لم نـــزل
نعـــده أيـــام أعـــراسى

من ينســـب النـــاس الى غـــيرنا
فليس منســـوبا الـــى ناس

وكل من ناشـــدنا يـــرى غـــيرنا
للضرب والطعـــن هو النـــاس

فـــكم ذنبـــنا بلظـــى بأســـنا
طـــود حـــديد شـــامخ راسى

مـــاع لنـــا الجـــامد لمـــا رأى
لان بالهيبـــة القاســـى

ثم ما وجدناه فى كلامه رحمه الله •

قال الخليلى : يجوز اسم سيدى ومختلف فى قوله : أسألك بأسمائك ، والجـواز أصح ، ومختلف فى غياب المستغيثين أيضا ، ونحن فى مثـل هذا ربما نتوســع ، وفى الدعـاء يجوز السر والجهر ، والسر أفضـل إلا إذا رجا أن يقتدى به فى ذلك ، وسلم من آفات الأعمال •

والتهديج : هو التهجد بتقديم الجيم يجـوز فى رمضان وغـيره ، والابتداء بالتهليل والتعظيم خير ما استعمل •

وأما أسماء النساء فى الكتـابة بالألف أم بالهاء ؟

قال : تكتب على لغاتهم ان كان بالألف أو الهاء ، وما كان أوله ساكنا فلابد من الألف فى أوله وغير ذلك فلا تزاد فيه الألف .

ومن جوابه :

فى الأسماء التى يشتبه آخرها قال فى جوابه : تكتب على لغتهم ان كان بالألف أو بالهاء ، وفى لغة العرب عزاء ، وعزة بالوجهين ، وأسماء بالمد ولم نحفظ نصراء وشمساء ، أما هى فى لغتنا بالمد فيهما ، وكل موضع مخصوص فى ذلك بلغة أهله ، والله علم .

ومنه : لعلك تتفضل شيخنا بوفق بذهاب من أراد يسوء عمان ، وقد عمل أبو نبهان رحمه الله لمن ساء فيها ، وصح عمله وأنت الخليفة فى هذا العلم ، ولك الأجر ؟

الجواب :

(فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت لهذا الجواب عن الشيخ العالم الربانى سلطان بن محمد البطاشى رحمه الله ، والأول منقطع ، وفى بعض الروايات فان الأمة لما اختلفت هذا الاختلاف الكثير ، وقد صدق فيها قوله صلى الله عليه وسلم كما روى عنه فى الحديث الشهير ، كان الكذب من بعضهم فى بعضها مقطوعا به ، واجبا رده لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا وسيكذب على من بعدى فما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو عنى قلته أو لم أقله ، وما خالفه فليس عنى قلته أو لم أقله » والروايات فى ذلك على وجهين :

الوجه الأول : ما يكون سبيله سبيل الأمر والنهى ، فيجوز التضادد بين بعضه وبعض من حيث الناسخ والمنسوخ ، فيقال فى الناسخ : ثابت وفى المنسوخ باطل ، وذلك كتحليل المتعة وتحريمها ، والنهى عن زيادة القبور ، ثم الأمر بها بقوله : « ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا » .

ومن حيث الخصوص والعموم كقوله صلى الله عليه وسلم : « حيث أدركتك الصلاة فصل » ثم استثنى فى حديث آخر مواضع لا تجوز الصلاة فيها ، فيقال : فى الأول عام ، فى الثانى خاص وكلاهما ثابت إلا أنه لا يقبل من ذلك عندنا إلا ما تقررت عليه شريعتنا ، وما خالفها وصح بطلانه فى اجماع أصحابنا فيقال فيه مردود ، وهذا الوجه يجوز فيه التضادد بين الروايات ، وبينها وبين الآيات .

فأما مثال التضادد فى ذلك بين الروايات من حيث الناسخ والمنسوخ ، ومن حيث الخصوص والعموم فقد مضى ، وأما مثال التضاد بينها وبين الآيات ، فهو كنحو وجوب الوصية للوالدين فى سورة البقرة ، ثم نسخها بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا وصية لوارث » .

ومن حيث الخصوص والعموم كنحو قوله تعالى فى سورة النساء : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) بعد ذكر المحرمات من النساء ، ثم حرم أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وبينها وبين خالتها .

واما مثال التضاد بين الآيات من حيث النسخ ما ثبت فيمن توفى عنها زوجها أنها تعتد حولا كاملا من قوله تعالى : (وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) ثم نسخت تلك العدة بقوله تعالى : (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) .

ومن حيث الخصـوص والعموم ما ثبت من تحـريم المشركات ، من قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ثم وقع التخصيص بالتحليل للمشركات الكتابيات ، بقوله تعالى : (والمحصنات من الـذين أوتوا الكتاب) فهذا بيـان القول على الوجه الأول الذى يخـرج مخرج الأمر والنهى •

والوجه الثانى :الذى يخرج مخرج الخبر كالتوحيد والوعد والوعيد فبيان القول فيه أنه لا يجـوز التضادد فيه بين الروايات ، ولا بينهـا وبين الآيات . ولا بين الآيات وما أوهم المضـاددة بحسب ظاهره ، فهو مردود بالتأويل الى الموافقة ، فما احتمـل له وجه حق عند الراسخين فى العلم فلا يجـوز رده كنحو ما يروى عنه صلى الله عليه وسـلم : « سترون ربكم » وقوله : « لا تزال النار تقول هل من مزيـد حتى يضع رب العـزة فيهـا قدمه فتقول قط قط » وقوله : « إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان » وقوله فى أهل الجنة : « فاذا الرب قـد أشرف عليهم » •

فهذا ونحوه مما يخرج له تأويل حق عند العلماء ، فلا يجـوز رده ، وما لم يحتمـل وجه حق مثل أن يقـال : ان ذات الله تعـالى تـرى بالأبصـار ، وان فسقة الموحدين يخرجون من النار وينعمون فى الجنة مع الأبرار ، وأن الله يغفر لهم ذنوبهم على الاصرار ، وأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يموت منهم على غـير توبة واستغفار ، فهـذا ونحوه مردود واجب الانكار وما يحتمـل من ذلك وجه حق فهو دقيق ، كم فى بحـره بالرد له من غريق وغريق ، فالواجب على الضعيف الاحتراز من سلوك هذه الطريق ، الاكتفاء فيه بأن يقول قوله قول المسلمين •

فهذا ما يسر الله من الكلام على الروايات والآيات ، فكن من علمه على اتقان ورسـوخ ، واعلم أن الوجه الثانى لا يجـوز أن يكون فيـه ناسخ ولا منسـوخ •

بـــاب

فى التوحيد وما يجوز من الصفات لله تعالى وما لا يجوز حقيقة ومجازا

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

الحمد لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

ما تقول أيها الشيخ العالم الربانى ، سعيد بن خلفــان الخليلى ، هل يصح ويجوز الجهل من الذين اصطفاهم الله بالرســالة والنبــوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجــوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه الســلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء مع علمه بعــدم جوازه ووقوعه ؟

فان قلت : ان السؤال المذكــور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو فنقــول هؤلاء القوم ان كانــوا مؤمنين كفــاهم قول موسى عليــه الســلام أن الرؤية ممتنعة ، ولنهاهم عن ذلك كما نهاهم عن جعل الآلهــة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصــدقوه فى حــكم اللــه بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه ؟

وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصــار) ؟

فان قلت : معناه هــو الرؤية مطلقا فلا دلالة فيــه على عمــوم الأوقات والأحــوال ، بل قــد يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، وقد يستدل بالآية على جواز الرؤية إذ لو امتنعت لمــا جعــل

التمدح بنفيها ، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها ، وانما التمدح فى أن تمكن رؤيته ، ولا يرى للتعزز والتعذر بحجاب الكبرياء •

وان قلت : معناه الرؤية على معنى الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التناهى والاتصاف بالحدود والجوانب •

وأيضا الله تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى ، وأيضا فاختلاف أكابر علماء هذه الأمة واخبارهم وهم الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وذلك كترجمان القرآن وبينة الصديق الأكبر رضى الله عنهما فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعضهم قال : لم يره دليل إلا مكان ؟

وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا لبعض ، فلا نشترط فى رؤياه الجهة والمقابلة ، وعدم المانع كما اشترطه الفلاسفة ، فذلك أمر عادى والقيمة محل أمر خرق العادات ، أجبنا جوابا شافيا لاعياء فيه ، مأجورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى •

أما بعد :

فقد نظرت فيما أنت تحكيه عمن يزعم أنه من علماء السنة فقيه ، وما احتج به فى مسألة الرؤية ، ولا بأس بالنظر فيه ، وعندى أنه

لو اقتصر فيهـا على ما أورده فقهاؤه ، عارض به من أهـل مذهبـه علماؤه ، لكان لغرضـه أقضى ، ولسيفه أمضى .

وان كان الخصم فى النزاع ، ولا ينكل عن الدفاع ولولا دفـع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ، لكنه لفرط اللجـاج ، أورد من الاحتجـاج ، ما تأدى على طريقته بالاعوجـاج ، حتى لا يظن بـذى بال أن يصـدر عنه ذلك أبدا فى مقام ، حتى انه لوضوح ما أتى بـه لاستحسن ضرب الصفح عن خطابه ، لكنى لمراعاتى قلبك اكتب لديـه ، بحمد الله ما استعفف ان شاء الله عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما قوله : هل يصح ويجـوز الجهـل من الذين اصطفاهم اللـه بالرسالة والنبـوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجـوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه السـلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء ، مع علمه بعـدم جـوازه ووقوعه .

فان قلت : ان السؤال المذكـور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل قال : ليعلموا امتناعهـا كما علم هـو امتناعهـا ؟

فنقول : هؤلاء القوم ان كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام ان الرؤية ممتنعة ، ولنهـاهم عن ذلك كمـا نهاهم عن جعـل الآلهـة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصـدقوه فى حكم الله بالامتنـاع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه . انتهى ؟

ويقال على أثره : أما رسل الله وأنبياؤه فهم أعرف الخلق بالله تعالى ، وأعلمهم بآياته ، وما يجوز عليه أو يستحيل من صفاته ، ولا نزاع فى هذا بين أحد ، وكيف يجوز القول بغيره فى حق موسى الكليم ، هو رأس العارفين لربه العليم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم •

وأما سؤاله لرؤية مع علمه بامتناعها البتة ، وعدم امكانها على الأبد ، فلأمر ما ، وهو أن قوما عنده لهم جدهم النهى ولم يكفهم الزجر ، ولم تنجع فيهم الموعظة ولا الانذار ولا اعذار ، ولا كانوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فلق الله لهم البحر ، وأغرق فيه بقدرته الخصم ، فقالوا : (يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) وأسمعهم كلامه بلا واسطة ، فعظم مكرهم ، واشتد كفرهم ، وكافحوا رسولهم بالكفر مواجهة بقولهم : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقد كانوا لشدة ما بهم من العتو والاستكبار ، يقادون الى الايمان بسلاسل القهر والاجبار ، وتلك سنة الله فيهم ، فقد أبوا من قبول ما فى التوراة من الشرائع والأحكام ، فشق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، وناداهم منادى الحق (خذوا ما آتيناكم بقوة) •

ولما أيس موسى عليه السلام من قبولهم لقوله ، واستماعهم لنهيه عن طلب الرؤية ، سألها ليسمعهم الجواب عن الله بما يلقمهم الحجر ، ويبنى سد اليأس بينهم وبين ما لا سبيل اليه لأحد من البشر ، ولعظم هذه الجراءة منهم ، وشناعة هذه الطلبة ، وقبح كفرهم بمسألة الرؤية أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، كما سلط القتل على عبدة العجل إذ هم جاهلون ، فأى عتب فى السؤال على هذا الحال ،

ولو اقتنعوا بالنهى ، واكتفوا بالزجـر لمـا قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وهل يكون هذا إلا بعد محاورة وخطاب وزجر وعتاب إذ قالوا : (أرنا الله جهرة) •

فلو فعـل ذلك ابتداء اذ قالوا ، ولم يمتنع منـه لهم إذ سألوه ، لمـا ألجأهم ضرورة العتو ، وشـدة الشكيمة فى الشرك ، والغلو الى أن يقولوا لرسـولهم : لن نؤمن لك جزما حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعهم من كلام الله ما ينفى طمعهم ، وتكون تلك الكلمة مما تقطـع به الأرض ، وتخـر له الجبـال هـدًى ، عاقبهم اللـه بصاعقة شملتهم هلكى •

وقال لموسى : (انظر الى الجبـل) فلما تجلت عليـه آية منـه جعلته دكا ولكون موسى لم يرد حقيقة ذلك قال : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضـل بها من تشـاء وتهدى من تشـاء) فقـد دلت الآية الشريفة على معان •

أولهـا : أن سؤال الرؤية على الحقيقة لم يرده موسى عليه السلام ، بدليـل قوله : (ما فعل السفهاء منا) •

وثانيها : انما هى فتنة نوع بلاء واختبار يعلم بهـا ايمان أهـل اليقين ، وتزلزل أهـل الشك المرتابين •

وثالثها : أن قومه سفهاء وجهلة •

ورابعها : أنهم هم الواقعون فى الفتنة بها ، وكونهـا محمولة عليهم دونه بدلالة ما سـبق •

وخامسها : الشهادة عليهم بالضلال •

وسادسها : التصريح بمكابرتهم ، وعنادهم ولجاجتهم على شركهم ، وعتوهم على ربهم ، بقولهم للرسول : (لن نؤمن لك) •

وسابعها : غضب الله عليهم ، وارسال الصواعق الواصلة اليهم ليعلموا عاقبة ظلمهم : (وما ربك بظلام للعبيد) ولكن بطش ربك لمن تجرأ به شديد •

فقولك يا هذا : ان كان القوم مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام ان الرؤية ممتنعة الى آخره ، وان كانوا كفارا لم يصدقوه فى حكم الله بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه ، فقد قلنا : انهم لم يكونوا فى تلك الحالة مؤمنين ، وأى ايمان يصح لمن يقول لرسوله : (لن نؤمن لك) أفيجوز أن يكون مؤمنا غير مؤمن فى حالة واحدة ، هذا باطل لا يكاد يقبله عاقل ، بل الحق أنهم كانوا من قبلها مؤمنين ، ثم صاروا بتلك الكلمة الشنعاء زايغين عن الحق ، مرتدين عن الاسلام ، كفارا مشركين ، شهد عليهم كتاب الله بذلك شهادة لا مرية فيها عند العارفين •

وليس بدعا هذا فى بنى اسرائيل ، فقد عبدوا العجل وقالوا يا موسى اجعل لنا إلها ، كما قالوا له فى هذه لن نؤمن لك ، وأنهم لم يصدقوه فى قوله بحكم الامتناع من الرؤية لما غلب على عقولهم من الضلالة ، ولشدة حرصه على ايمانهم وقوة طمعه فى انقاذهم من الهلكة ، كما هو دأب المرسلين وعادة الأنبياء ، أراد أن يسمعهم من كلام الله فى ذلك ما يرتفع به نزاعهم ، وتنقطع به أطماعهم ، وأى فائدة أعظم من هذا ، وأى عبث به •

فان كان الكافر لا يعتنى به ، والمعاند لا يعبأ به ، فلأى شىء أنزلت الكتب ، وأرسلت الرسل ، ولأى معنى نتق الجبل عليهم ، لقول

الشرائع والأحكام ، ودك الجبل لهم ليعلموا استحالة الرؤية على ذى الجلال والاكرام ، فهما من باب واحد ، وأفعال الله تعالى وآياته كلها منزهة عن العبث واللعب ، (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) •

وأما قوله : وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فان قلت : معناه هو الرؤية مطلقا ، فلا دلالة فيه على عموم الأوقات والأحوال ، بل قد تمكن فى بعض ولبعض • انتهى •

وعسى أن يقال على أثره ظاهر الآية الشريفة يؤذن بعموم النفى ، ويقضى بمنع الادراك الذى هو الرؤية مطلقا ، وتخصيص حكمها بأن يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، معلوم واضح لكل ذى بال أنه ليس من لفظ الآية ، ولا من معناها ، وانما هو شىء زائد عليها . وأمر خارج عنها ، ليس هو منها ، ولا مما تدل عليه لفظا ولا معنى ، وما لم يقم عليه فى الحق دليل فما الى اثباته من سبيل •

فالتمسك بظاهر كتاب الله هو الحق بلا شك ولا جدال ، والرجوع عنه الى ما يخالفه ويضاده باطل وضلال ، وهذا قول واضح لمعارضة جلى المضاد ، بظاهر الآية الشريفة ، كما لا يخفى عليه من له أدنى رمق من فهم ، فكيف يجوز القول به أو التعويل عليه •

وأما قوله : وقد يستدل عليه بالآية على جواز الرؤية ، اذ لو امتنعت لما جعل التمدح بنفيها ، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها ، وانما التمدح فى أن يمكن رؤيته ، ولا ترى للتعزز • انتهى •

ولا أدرى ما أقول من البيان على مثل هذا الهذيان ، الذى لا يتفوه

به لسان عاقل ، ولا يكاد يقوله إلا مرسم أحاطت به البلابل ، فان مما يؤدى الى المضايق بتعكيس الحقائق ، وانى لأنزه قبل اليوم عن مثله فقهاء القوم ، لأنه اذا ثبت الاستدلال بنفى الادراك والرؤية ، فانقلب هو الدليل على ثبوت الادراك والرؤية ، فلابد أن يشمل هذا كلما وجب سلبه ، وثبت نفيه عن الله مما لا يجوز أن يوصف به ، فيكون السلب دليلا للايجاب فى كل شىء ، فيكون قولك لا إله إلا الله اثباتا للشريك مع الله تعالى ، ويكون قوله تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) اثباتا للصاحبة والولد ، والوالد والاكفاء ، والأنداد له سبحانه وتعالى عما يقوله المبطلون علوا كبيرا ، وهذا أوضح من أن يعتنى برده ، ويحتج على فساده •

وأما قوله : وان قلت معناه الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التناهى والاتصاف بالحدود والجوانب • انتهى ؟

ومن العجب كيف هذا وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ، فاذا كانت الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود على تقدير قوله وهى منفية عن الله تعالى ، فكيف تكون هى دليلا لجواز الرؤية كما زعم ، ولكن قد ثبت منه الاستدلال بالسلب على الايجاب وما هذه إلا واحدة من ذلك الباب ، وبطلانه أوضح من أن نرجع اليه ثابتة فى الخطاب ، وكيف لا يأنف من تأثير مثل هذا من كان من أولى الألباب وان هذا لشىء عجاب •

وأما قوله : وأيضا الله تعالى موجود أيصح أن يرى • انتهى ؟

فان كبر المقدمتين كاذبة ، ولا خلاف فقد صرح بذلك أهل مذهبه الامام حجة الاسلام الغزالى وغيره ، بل ليس المرتاب فى

الجملة إلا نوع من أجناس كثيرة ، وإلا فلينظر بعينيه الى هذه الرياح والأرواح ، والأصوات والهواء المفتوق به بين السماء والأرض الى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويفوت حصره ، أليس هى من الموجودات التى لا تمكن رؤيتها •

وبالجملة فالأشياء كلها فى هذا على أربعة أقسام :

أحدها : ما يرى بفتح الياء ولا يرى بضمها ، وهى نهاية الشرف وغاية الكمال ، لاتصافه بالقدرة على رؤية ما سواه وتعاطيه عن ادراك غيره اياه ، وليس شيئاً كذلك إلا سبحانه وتعالى ، فهو المنفرد بمطلق الكمال ، والمتوحد بصفة العز والجلال ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) •

وثانيها : قسم يَرى ويُرى ، بضم الياء وفتحها وهو أشرف ما بعده من الأقسام ، وهو الحيوانات من الملائكة والجنة والناس ، والطير وسائر الدواب من الأنعام والبهائم والسباع ، وأكثر الحشرات •

وثالثها : يُرى ولا يرى بضم الياء الأولى وفتح الثانية كالأجساد الكثيفة ، من الأرض والجبال ، والمعادن والنبات ، وما يشاركها فى ذلك من الجواهر والأعراض مطلقا •

ورابعها : لا يُرى ولا يَرى مما يدرك بالحواس كالشم والذوق والصوت المدرك بالسمع أو مما لا يدرك بها كالايمان والكفر والعقل والعلم والغضب والحلم وغيرها من الصفات والأخلاق التى كلف الشرع بها ، وأثاب وعاقب عليها ، ولو لم يكن فى الموجود من هذا إلا كتاب الله وحده لكفى به وجودا ، وناهيك به شهودا فاتل عليه •

بسم الله الرحمن الرحيم

قل له : أرنى صورته وأنت العاقل الحليم ، أم تنكر وجوده فتفكر بعد اذ أنت مستقيم ، بل لم يكن الأمثل قولك كل انسان حيوان ، وبعض الحيوان صامت .

وأما قوله : وأيضا فاختلاف أكابر هذه الأمة وأحبارهم وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك كترجمان القرآن وبنت الصديق رضى الله عنها ، فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رآى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعض قال : لم يره ، دليل الامكان . انتهى ؟

ولا بأس أن يقال : قد تنازعت الأمة واختلف العلماء فى نفس هذا الاختلاف بين الصحابة فى مسألة هذه الرؤية ، فأنكر المحققون ، وأنكره الجهابذة ، ولم يثبته السلف الذين هم الحجة وان أثبته الأشاعرة منفردين برؤيته دون سائر الفرق ، فلا حجة لمختلف فيه ، ولا برهان لمتنازع فى أصله ، اللهم إلا أن يكون الخلاف لفظيا فلا يعبأ به ، وإلا فكتاب الله شاهد على بطله وكفى .

ومن العجب كيف يكون لنبى أو رسول بلغ عن ربه أنه لا تدركه الأبصار ، ثم يقول : أنا أدركته ببصرى ، ورأيته بعين رأسى ، وهل يفعل هذا إلا مبرسم غلب على عقله ، ومن الواجب تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن مثله .

وأما قوله : وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا بعض ، ولا نشترط فى رؤياه الجهة والمقابلة وعدم المانع ، كما اشترطه الفلاسفة ذلك ، فذلك أمر عادى ، والقيامة محل خرق العادات . انتهى ؟

ويقال له : ان سلمت أبطال الرؤية المعهودة ، وجمعت الى كونه رؤية أخرى من جنس خرق العوائد ، لأن القيامة محل خرق العادات ، فاعلم أن خرق العوائد غير ممتنع فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل معجزات الرسل ، وكرامات الأولياء كلها خرق عادة وإلا فلا معجزة ، ولا كرامة ، وهذا باطل ، واذا ثبت خرق العوائد فى الدنيا ، وكان هذا من باب خرق العادات ، فأى مانع من كونه فى الدنيا كرامة لموسى عليه السلام ، ومعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى ترى أمته ربها ، وقد سأله قومه ذلك ، كما سأله قوم موسى من قبل إن كان هو الجائز والممكن على قولكم •

ثم ان كان هذا من باب خرق العوائد فقط ، فهل لا يجوز فى هذه الرؤية أن تكون باليدين أو الرجلين أو بهامة الرأس أو بالأنف أو بالأذنين ، فذلك أظهر فى خرق العادة ، وأدل على عظيم القدرة ، وأى مانع من كونه كذلك ، والله لا يعجزه شىء ، واذا أمكن التعلق بالقدرة فى المستحيلات ، فكل هذا ممكن لكنه مستحيل ، كقول المتعنت هل يقدر الله أن يحدث فى الكون شيئا لم يخلقه هو ولا جواب له إلا أن هذا مستحيل غير مضاد للقدرة ولا معجز لها ، ولكنه محال ، والله منزه عنه سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا •

فكذلك رؤيته سبحانه وتعالى على غير سبيل النظر ، وادراك البصر مستحيلة متضادة متناقضة لتأديتها الى رؤية غير مرئى من ناظر لم ينظره بعينه ، وانما هى خرق عادة لا تكييف لها ، وانما هى دعوى مدع لم يأت عليها ببرهان واضح ، ولا حجة قيمة ولا دلالة صدق من كتاب ولا سنة ، ولا اجماع أمة •

فيا معشر المدعين ، هل من بينة حق أو برهان مبين ؟ أم هل عندكم من سلطان بهذا عن الله فأتونى به ان كنتم صدقين ؟ أم تقولون

على الله ما لا تعلمون ، فاتقوا الله وارجعوا الى الحق ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، والله أعلم وبه التوفيق .

*** مسألة :**

ومنه : سأل بعض الطلبة المتعلمين عن ما يوجد فى الأثر أن ذاته تعالى هى اثباته ، فقال على أثر ذلك : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات مالا يزيل قناع الجهل عنا ويذهب صدأ الصدور منا مأجورا إن شاء الله ؟

الجواب :

بعد حمد الله ، والثناء عليه بما هو له أهل ، أن معرفة الله بصفاته وأفعاله الخاصة اذا خطرت بالبال من عاقل بالغ مما لا يسع الجهل به ، فهى مما لا يسع جهله على حال ، لأنها مما تقوم به الحجة من العقل بلا جدال ، وقيام الحجة بها خاص بالمعانى المدركة التى تبعث بها رسل الله صلى الله عليهم وسلم والعقل عن الحضرة الإلهية ، لمن هدى بنور الفهم لاتباع الحق ، أتت به الواردات الإلهامية فهى من الله تعالى رسالة باطنية ، تقوم بها الحجة على من يلى بها ، كما تقوم بالرسل الظاهرية ، فلا جواز للعدول عنها . ولا الشك فيها ، ولا الرجوع الى ما يوجب اللبس من الوساوس الشيطانية .

فمن خطر على قلبه مثلا أن له أو لشىء من الموجودات أو لجميع الكائنات المحدثات إلها وربا ، وخالقا أو محدثا ، أو صانعا أو مقدرا أو مدبرا لزمه الاقرار لمولاه بذلك فى الحال ، ولم يوسع له فى الجهل به على اعتقاد السؤال ، لأنه لو نظر فى نفسه مثلا ، فعرف ما به من ضعف وعجز لا ينفك عن ملازمته من حال طفولتيه الى بلوغ أشده أو ما فوقه من سنة دع ما تقلب فيه أطوارا ، من حال كونه نطفة

الى علقـــة ، الى مضغة ، الى عظام ولحم ودم ، الى أن أنشـــأه اللـــه بنفخ الروح فيه خلقا فتبارك الله أحسن الخالقين •

علم بالضرورة أنه حادث بعـــد أن لم يك شيئا مذكـــورا ، وعلم بالضرورة استحالة كونه خالقا لنفسه ، كما لا يتصور أن تكون النطفـــة هى التى خلقت نفسها جنينا فى الرحـــم . فلزم من ذلك أن له خالقـــا غيره ، خلقه وأحـــدثه وأنشأه وبرأه وصوره وابتدعه واخترعه •

وكما بطل أن يكون الحادث محـــدثا لنفســـه ، فكذا فى غـــيره لأن من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز ، لأنه يلزم منه وجـــدان محدث أحدثه ، فحـــدث محدث لمحدث محـــدث ، فيتسلسل الى غير نهـــاية ، وهو باطل . والحـــق أن المحدثات كلهـــا متساوية فى صفة العجز والفقر ، والضرورة الى محدثها الموصوف بالقدم والأزلية ، لأنه لو كان حـــادثا لكان له محـــدث أحدثه كغيره من المحدثات وهو باطل •

واذا ثبت أنه خالق الكل ومحدثهم ومنشئهم ، فلا شك أنهم لـــه عبيد ومملوكون ، ولابد للعبد من سيد هو ربه ومالكه الذى تحـــق له الطاعة والعبـــادة ، والخضوع والخشية ، فهـــو الرب والإلـــه ، والسيد والملك والمالك •

ولا يجوز اطلاق هذه الأوصاف على كثيرين لاقتضائها المنازعـــة فى الممالك ، وإيذانها بنقص القدرة والاتصاف بالعجـــز والشركة ، وهـــو مناقض لصفة الألوهية ، فدل على أنـــه واحـــد أحـــد ، فرد صمد على عظيم ، متعال كبير ؛ منزه عن كل وصـــف ناقص ذميم ، موصـــوف بكل صفة جميلة حميدة عظيمة ، فلا شىء يشابهه فى ذات ولا صفة ، لاستحالة أن تشـــابه الصنعة صانعها : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) •

واعلم أن وجه الاستدلال على ثبوت الصفات الإلهية ، قد يمكن أن يكون من طرق شتى متباينة مواردها ، متفقة أحكامها ، فان من قام له البرهان الصحيح مثلا بثبوت الألوهية لواجب الوجود سبحانه وتعالى ، اذا تصور فى نفسه ، هل يجوز فى هذا الاله أن يكون متصفا بشىء من النقائص أو الرذائل أو المفاسد ، وجب عليه نفى ذلك عنه فى الحال ، لأن من كانت هذه صفته فليس بإله ، فهذه طريق واضحة فى نفى الصفات القبيحة عنه كلها من الفناء والموت ، والحدوث والعجز ، والفاقة والضعف ، والصاحبة والولد والشريك ، والثانى والثالث ، والعمى والجهل ، والصمم والخرس والبكم ، والغفلة والسهو ، والسنة والنوم ، والجور والظلم ، وهكذا فى سائرها ، وفى هذا اثبات لصفاته تعالى كلها ، لأن نفى الجهل مثلا يثبت له العلم ، ويبقى العجز يثبت له لقدرة وهكذا •

والطريق الثانية : اذا خطر بباله مثلا فى الإله سبحانه وتعالى أنه : هل هو متصف بالصفات الحميدة الكاملة الجميلة ، وجب عليه العلم بأنه كذلك ، لأن من لم يتصف بهذه فلابد أن يتصف بأضدادها من النقائص والقبائح ، تنزه عنها وتقدس ، فلا يمكن اذا خطر بباله أنه عليم وحكيم ، أو سميع أو بصير ، وهكذا لأن يصفه بذلك ، لأن من لم يكن كذلك فهو عاجز جاهل أحمق بليد ذليل ، ومن كان كذلك فليس بإله •

الطريق الثالثة : النظر فى أفعاله الخاصة ، فانه من علم أنه خالق هذه المحدثات الكثيرة كلها من أملاكها وأفلاكها ، وعرشها وفرشها ، وإنسها وجنها أحيا وأمات ، وأعطى ومنع ، ووضع ورفع ، وفعل ما شاء علم أن مثل هذا لايكون إلا عن إرادة ومشيئة عالية ، من ملك عظيم مريد لخلق ما خلق قوى عليه ، قادر قهار له ، قابض عليم له بحاله ، خبير سميع بصير حكيم عدل فى قضائه ، بر بأوليائه ، رازق

لخلقه ، باسـط لرزقه ، كريم رحيم ، على عظيم ، وهكذا فى سـائرها ، لأنه لو جاز أن لا يكون عليمـا أو حكيما ، أو قديرا لكان جاهـلا غـير متقن لصنعه ، ولا قادر لفعله ، وهكذا وقـد ثبت بالمشـاهدة والبراهين بطـله ، وبالنظر فى نفسـه كفاية عن النظر فى الأفلاك والأملاك لمـن فهم ، لأن الحكم على البعض ، والكل فى هذا سواء •

والطريق الرابعة : النظر فى أفعاله الخاصة على معنى التنزيه لـه والتقديس عن الصفات الناقصة الذميمة ، فنقول : ان هـذه الكائنات كلها ناطقة له بلسـان التوحيد ، أن مثل هـذا الخلق والصنع المتقن ، لا يصدر عن فاعل ضعيف ، ولا عاجز ولا جاهل ، ولا مغلوب ولا مقهور ، ولا منازع ولا مدافع ، ولا مستعين بغيره ، ولا محتـاج الى سـواه ، ولا مفتقر الى ما يخلقه ، وهكذا وفى هذا ثبوت لأضـدادها من الصفات الكمالية على طريق ما سبق •

الطريق الخامسة : هى التى نبه عليهـا النبى صلى الله عليـه وسلم بقوله : « من عرف نفسـه عرف ربه » والأهل العلم فى بيـان معـرفة الله تعالى بما دل عليه ، هذا الحديث لصحيح من معرفة العبد نفسـه ثلاثة مذاهب :

أحدها ، وهو أوضحها : أن نفس العبد تستفاد منهـا ، أوصـاف العبودية كلها ، ولفظة الرب دالة على صفات الربوبية كلهـا ، فكل صفات الربوبية على ضـد صفات العبودية والعكس ، فمن عرف نفسه بالعبودية والحدوث والفنـاء ، والعجز والضعف والجهل والخفة والطيش ، وغـاية الفقر والضرورة ، والذلة والمسكنة ، وكونه غرضا للحـوادث والهمـوم والأسقام ، ومرور الليالى والأيام ، والاحتياج الى الصاحبة والولد ، والمعين والمشـير ، ولزمان والمكان •

وهكذ عرف بها صفات الربوبية أنها على الضد من هـذا ، فأثبت لمولاه تعالى صفة الربوبية والقدم ، والبقاء والحيـاة ، والقدرة والعلم ، والكرم والعزة ، والعظم وهكذا .

وثانيها : أنه اذا نظر فى صفات نفســه الجميلة التى جعلها اللــه مظاهر لصفاته الكمالية ، علم بها صفات ربه تعالى فى جمـالها وكمالها ، فأنت يا عبد على سبيل المجازحى قدير ، قوى مريد ، متكلم عليم ، حكيم خبير ، سميع بصير ، معط باسط ، مدبر ولى ، كريم رحيم ، وهكذا هذه خلعة ألبسكها مولاك ، لتكون شهادة عليك له اذا أنكرت معرفته بهواك ، فانه بالحقيقة هو الحى القدير المريـد ، المتكلم العليم الحكيم ، القابض الباسط ، الرازق المنعم ، وهكذا فقد صـارت أوصافك الذميمة القاصرة ، مظاهر لصفاته المقدســة ، كما ترى فهى واضحة ظاهرة .

وثالثها : ما قاله بعض الصــوفية : ان النفس هاهنــا عبــارة عن الروح ، وهى أمر الهى غيبى ، لا يبلغ العبــد الى معرفة ما هى حــق المعرفة ، واذا لم يعــرف ماهية نفسه حــق المعــرفة ، فكيف بمعــرفة الذات الالهية على ما هى عليه ، فذلك ما لا سبيل اليه .

ثم اذا كانت هذه روحك التى بين جنبيك ، وأنت لا تراهــا بعينيك ، ولا تسمعها بأذنيك ، ولا تمسها بيديك ، ولا تذوقها بشفتيك ، ولا تشمها بمنخريك ، ولا يتوهمها قلبــك ، ولا يبلغهــا فهمك ، ولا تعــرف كيفية اتصالها بجسمك ، ولا انفصالها عنه ، ولا موضــع استقرارها فيه ولا أنها فوقه ولا تحتــه ولا وســطه ، ولا هى أقرب الى شىء منــه عن شىء ، ولا أبعد عن شىء منه الى شىء الى غير ذلك من صفاتها .

فبذلك تعلم أن الذات الالهية المقدسة ، منزهة عن وصفها بالجســم والعرض والشكل والحلول ، والاستعلاء والنزول ، والحــركة والسكون ،

والاتصـــال والانفصال ، وقرب المســـافة بعدها ، وعن مماسة الحواس ؛ وبلوغ الوهـــم والقياس ، واحاطة الفكر ، وادراك البصر ونحـــو هذا ، وكمـــا أن الروح مقومة لجســـدها بحلولها فيه فهو حى بها ، عليم مريد الى غير ذلك ، فالله أولى بذلك ، قامت السموات والأرض ومن فيهن ، خلقا واستمدادا لتكوينهن وبقائهن ، وافاضـــة كل خـــير عليهن ، فهـــو القائم بذاته ، والقائم على ما سواه بكل شيء ، بل لا قيـــام بالحقيقة لغيره ، إذ لا قيـــام له إلا به ، فهـــو الواجب الوجود لذاته ، ولا وجود لغـــيره إلا به ، فما ثم على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى •

والقول الحق أن هذا الحديث لمـــن الكلام البليغ ، والقول الفصل ، بل هو من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ، فاستأثر بهـــا على من ســـواه من أهـــل البلاغة واللسن ، وهو على ما به من فصاحة لفظه ، وحسن بيانه ، وبلاغة معنـــاه ، جامع لمعانى هذه المذاهب كلهـــا ، فتأويله بمجموعها ، وتفسيره بها كلهـــا ، هو الأليـــق والأصح والأولى والأرجح ليكون دائما على معرفته تعالى ، من كل وجـــه تارة على الذات ، وأخرى على الصفات ، ألا وربما حسن الاستدلال على بعض الصفات بالمذهب الأول خاصـــة ، كمعرفة الألوهية والربوبية من ضدها ، ألا وهى العبودية ، فهو أعم من الثانى ، وكلاهمـــا فى الصفات ، والمذهب الثالث فى الذات واذا ثبت الحديث المشار اليه فى عمومه يتنـــاول المذاهب كلهـــا بدلالة مفهومة ، والقـــول فى تأويله بجميع ذلك هو المذهب الرابع •

واعلم أنه لا يلزم أن يكون العبد المكلف عارفا بجميع صفات الله تعالى وأسمائه من أول وهلة ، ولا فى قدرته أن يخطـــر شيئا من ذلك على قلبه قبل أن يفتح له باب النظر فيه ، فاذا أراد الله أن يبتليه بـــه ليثبت عليـــه التكليف به ألقى ذلك على قلبه بالهام أو تفكر أو استدلال ، أو نظر أو عبرة و ما زاد عليـــه من وجـــدانه مكتوبا ، أو سماعه متلوا أو مقـــولا بـــه على طـــريق الانكار ، أو على وجـــه الاقرار من حـــر أو عبـــد بالغ ، أو صبى عاقل ، أو مجنـــون مسلم أو مشرف موافـــق

أو مخالف ، فاذا فهم معنـاه من أى وجـه كان فقد قامت به عليـه لله الحجة البالغه ، وضـاق عليه الجهل به ، والشك فيه ، والانكار له ، ووجب عليه الاقرار به والاسـلام •

وبأى صفة قامت عليه الحجة دون غيرها من الصفات ، كانت وحدها كافية له لثبوت الاسـلام ، وهى اذن فى حقـه من جملة الاسـلام التى دعى اليها على الخصوص ، فاذا آمن بهـا كان مسلما مؤمنـا برا ، تقيا صالحا عدلا وليـا ، وهو على ذلك ما لم يخطـر على باله شىء غيرهـا من هذا الباب ، من باب ما لا يسع الجهـل به ، فلا يسـعه حينئذ إلا أن يقـر بجميع ما قامت بـه عليه الحجـة من ربـه ، وإلا كان ناقضـا لعهده ، شاكا فى جملته ، محكوما بشركه ان ردها جحدا وشكا ، وبكفره ونفاقه وفسقه ان ردها أوشك فيها بالباطل تأولا •

واعلم أيضا أنه لا تقوم الحجة فى هذا الباب بنفس الألفـاظ على من لم يفهم معنـاها ، والمراد بها ، فالعجمى مثلا اذا لم يدر ما معنى قول العرب : الخالق والرازق ، والرب والإله ، لم تقم عليـه الحجـة العقلية بسماع هذه الألفاظ التى لا فرق بينها وبين سماع صـوت الحجر على الحجر ، فى حق من لم يبلغ الى فهمها ، لأن ذلك مما ليس فى طاقته ، وتكليف ما لا يستطاع محال ، وكذا العربى فى هذه القضية ان سـمع مثل هذا من اللغات الأعجمية ، بل كل لفظ يهتد السامع الى معناه سـواء كان اللفظ عجميا أو عربيا ، وكـذا السامع سواء كان أعجميا أو عربيا ، فكنه فى الحكم سواء ، لأن الأصـل الذى قامت به الحجة فيهـا واحـد ، وهو معرفة المعانى وصحة إدراكهـا بالفهم من أى وجـه كان ذلك ، وهذا لا خـلاف بين أهل الفقـه فيه •

فانظر فيما أسلفناه وقس عليـه قول من صرح بأن ذاته تعـالى اثناته ، وما جاء فى موضع آخـر من الأثر أن ذاته قدرته ومشيته ، فهى

فى الأصل من باب الألفاظ والعبارات التى يسع جهلها ، ولا يلـزم تكلف النظر فيها ، فان الموحد تام الايمان ثابت الاسـلام بدونهـا ، ولا يلزمه البحث والتنقير عن مشكل الألفاظ والعبارات ، بعد صحة معرفته ، وكمال ايمانه واقراره ، بأنه تعالى أحد صمد ، ليس كمثله شىء ، وهـو السميع البصير ، ألا وان فى قطع النظر عن البحث عن أكثر دقائق عبارات المتكلمين سـلامة للضعفاء ، من اقتحـام اللجج التى غرق فيهـا أكثر العالمين ، وقد دل على ذلك صاحب الشرع صلوات الله عليه فى مسألة القدر ، فقال : « القدر سر الله فى أرضه فلا تتكلفوه » •

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أشفق من النظر فيـه على أمته ، وما هو بالنسـبة الى علم التوحيد إلا قطـرة من وابله ، وموجـة فى ساحله ، فما ظنـك بمطلق الخوض فى الكلام على الـذات العظيمة ، والصفات الكريمة ، والأفعال الجسيمة ، فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ، لو تقدم العبد فيهـا قدر أنملة لاحترق ، وانما ثبـت التكليف ، وحصـل الاذن بما هـو الكافى فى معرفته ، والموصـل الى العلم بـه ، وللسالكين فى وصـولهم الى معرفته تعالى طـرق كثيرة ، وأى طريقة كانت موصلة للعبد الى باب ربه الكريم ، فهى طريق الحـق وسبيله المستقيم ، ومن ضل عنها فى سلوكه قادما الوهم الى مهواة تسمى الهاوية والجحيم ، فقـوم سلكوا اليه فى استدلالهم عليه مسلك الحكمـة الفلسفية ، فاستدلوا عليه بأقيسة عقلية ، ونتائج فكرية ، حتى عرفوه فى زعمهم بالحجة والبرهان •

وقال آخـرون : انه لا تتم معرفته الا لأهل الطريقة الصـوفية ، فاشتغلوا بتصفية القلب عن الشواغل الحسية ، وألزموه التبتل الى الله تعالى ، والانقطاع اليه بالكلية ، وأداموا له حضـور القلب وسره ، مع ملازمة ذكره ، حتى يتحلى القلب بما يتجلى عليه من الواردات الالهية ،

وزعموا أنه لا حاجة الى تقويم البراهين عليـــه ، وأنهم قد وصلوا الى معرفته بالشهود والعيـــان •

وقوم وقفوا عند الألفاظ القرآنية ، والعبارات الفرقانية ، والأحاديث النبوية ، وقالو : انهـــا هى التى جاءت عن الله تعالى بالهدى والبيان •

وفرقة تقول : ان الله تعالى لم يأمر أحدا بالنظر ، ولا بالفكرة فى ذاته ، ولكنه أمر بالنظر فى مخلوقاته ، والعبرة فى مصنوعاته ، فقـــال : (أو لم يتفكروا فى خلق السموات والأرض) وقال : (ان فى خلق السموات والأرض واختـــلاف الليـــل والنهـــار لآيات) فهى دلائـــل توحيده ، وشواهد تفريده فى كل زمان ، الى غير هذا وكلهـــا إما حـــق فى نفسها ، أو قابلة للحـــق عند من اقتدر على التصرف بها بموجب الهداية ان سبقت له بهـــا من الله عنـــاية ، وانما يضـــل بها من ضـــل ، بســـوء فهم ، وغلبة وهم ، أو عمى بصر عن ادراك الحقائق ، أو ســـبق عقيدة فاسدة مضلة تعمى القلوب عن اتباع الأدلة إلا من أمده الله تعالى بأنواره ، وأطلعه من علم توحيده على غوامض أسراره ، وجعله من الراســـخين فى العلم ، والناظرين الى الحقـــائق بنور الفهم ، فهم أهـــل النقل فيما به نزول الشبهات ، وتنجلى الظلمات ، لأنهم لعباد الله هداة ، والى سبيل اللـــه دعاة ، وقليل ما هم ولا سيما فى هذا الزمان الذى تراكمت فيـــه الظلم وقل فيه من أهل الخير الهمم •

ولم يوجد فيه من الخير شىء يعرف إلا معرفة الله تعالى ، والوقوف على بابه فى كل ما أتى به ، وعنـــدى أن ابتغـــاء معرفته تعالى من هذه العبارات المحررة ، فى تلك الآثار المقررة ، بأن ذاته تعالى اثباته أو هى قدرته ومشيئته انه لبعيد عن الحصـــول ، وانـــه لفى غاية البعـــد عن الأصـــول ، لأن القدرة والمشيئة صفتان من صفات ذاته ، وكذلك الثبات بفتح المثلثة بمعنى دوامه وبقائه •

وأما الاثبات بزيادة الهمزة فكأنها أبعد لأنها تفيد التعدية فى هذا الموضع ، وهى باطلة لأن المفعول لا يكون إلا لفاعل ، ولا يجوز أن يكون فاعلها هو سبحانه وتعالى ، لاستحالة أن يكون مثبتا لنفسه ، فكيف به من غيره ، فهو الغنى بذاته عن أن يصل اليه النفع منه ، فكيف به ممن سواه ، فلم يبق لها معنى نعرفه ، اللهم إلا أن يقدر حذف مضاف مع ذاته فيقال : اثبات ذاته اثباته ، فالمعنى صحيح ، ويكون اثبات الذات هاهنا بمعنى اعتقادها ثابتة ، وتلك عبارة عن الاقرار بوجودها ، وعدم انكار ثباتها •

ومنه : عبارتهم بالنفى والاثبات ، فى لفظ الهيللة لاثبات الوحدانية والألوهية ، لكن هذا تحصيل حاصل من دون طائل ، والظن به أن الهمزة فيه إما غلط من ناسخه أو خطأ من قائله ، فيرد الى باب العبارة عن الذات ببعض الصفات ، كالقدرة والمشيئة والارادة والعلم وغيرها ، وليس هو بشىء أيضا ، وإلا لجاز أن يكون كل من الصفات إلها على حدة وهذا باطل ، وهذا باطل ، وتحقيق القول فيه يستدعى فتح الكلام فى الذات والصفات ، فلابد من كشف طريق الحق فيه بتمهيد قواعد الاستدلال بما يذهب عن الناظر فيه ان شاء الله تعالى ظلمات اللبس •

والاشكال والأصل الذى ذهب اليه أصحابنا فى هذا أن صفاته تعالى مثلا بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر ، والارادة وغيرها من صفاته تبارك وتعالى ، أنها ليست بشىء زائد فى ذاته لئلا يلزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى ما يزيد على ذاته ، فهو سبحانه مثلا عالم لا بعلم يعلم به ، وقادر لا بقدرة يقدر بها •

وهكذا فى سائرها ، لأنه لو كان يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، فلابد إما ن يكون ذلك العلم هو هو فيقتضى أن العلم هو الإله ، وأن الإله هو العلم ، وهذا باطل وإلا لجاز أن يكون العلم بالقوم ،

والقدرة إلهـا لغـيرهم ، والارادة معبودا لآخـرين ، وهكذا وهـذا باطل لا يدعيـه أحـد ، لأنه شرك ظاهر ، وأما أن يـكون العـلم هو غيره فيلزم منـه افتقار الله سبحانه الى غيره ، وهذا باطـل لأن من كان مفتقرا الى غيره فليس بإله ، وأما أن يكون ذلك العـلم لا هـو هو ، ولا هـو غيره ، وهـذا باطل لعـدم الثالث •

واعلم بأن القول بأنه تعالى يعلم بعلم هو غيره ، وأن له ارادة هى غيره ، فلابد له من أحـد أمرين : إما قوله : بأن صفاته تعـالى حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل ، واما أن يقال انها قديمة أزلية معه ، لا هى هو ، ولا هى من خلقه ، فيكون له شركاء كثيرة فى وصف القدم والأولية ، وفيه رجوع عن القول بالتوحيد والفردانية ، الى التصريح الاثنين والثالث ، ومازاد وهذا باطل ، ولابد فى كل واحـد من هذه الأشياء الموصـوفة بالقـدم والأولية من أن يكون ربـا أو مربوبا وإلهـا أو مألوها ، وكل هـذا باطل ، والحـق لا إله إلا هو فلا قديم غيره ، ولا أول سـواه •

وكلما جاز القول فيه بأنه غيره فلا يجـوز أبـدا إلا أن يـكون مخلوقا له ، محـدثا مصنوعا كغيره من المخلوقات ، والقول بهـذا فى صفات الله تعالى باطل لمـا تقـرر ، والحـق الـذى لا مرية فيـه ما قاله أصحابنا من تجريد الصفات عن الذات المقدسـة ، مع اتصافها بهـا ، فقالوا : إنه يعلم بذاته ويقـدر بنفسـه ، وكـذا فى يسـمع ويبصر ، ويقدر ويشاء ، ويريـد وغـير هذا ، فهـو عالم بذاتـه ، وقدير بهـا وهكذا ، وهو معنى قولهم فى صفاته انهـا هى عين ذاته ، فليس مرادهم به إلا سكب الصفات عن ذاته الكريمة ، مع اتصافها بها بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته المقدسة أبدا •

فقولهم : انه عالم بذاته مثلا لا معنى له غير اثبـات العلم لذاته

العظيمة ، بمعنى أن ذاته تعالى عظيمة لا فرق بين قولنا : ان ذاته عليمة خبيرة وبين قولنا : هو العليم الخبير •

وكذا قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بنفسه ، وقولك ذاته سميعة بصيرة عليمة خبيرة كله سواء ، وكله لا يراد به إلا معنى قولك انه هو السميع البصير ، العليم الخبير ، لأن ذاته سبحانه هى حقيقته الخاصة التى هى هو بلا جدال ، فلا فرق بين قولك ذاته عليمة ، وقولك هو العليم •

لكن قولك عليم بذاته فيه مزيد ايضاح ، وكشف للحقيقة ، ودفع للأغاليط الوهمية من العقيدة الأشعريه فى قولهم : انه تعالى يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، واثباتهم له صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، وبطلان هذا واضح بما سبق •

ومن تأمل فيما قاله أصحابنا فى هذا الأصل العظيم ليجد ولا شك أنه هو عين ما جاء به القرآن الكريم ، كما رأيت أن قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بها ، هو معنى قوله تعالى : (وهو السميع البصير) فعلى من عدل عن هذا الى اقامة الحجة على قوله ، وايضاح الدليل ، وقد قام البرهان على بطلان قوله ، فما الى ذلك من سبيل •

واعلم أن لأصحابنا فى تعريف صفاته الذاتية سبحانه وتعالى قولين كلاهما يخرج على الصواب ، وقد رأيت تكميل الفائدة بذكرهما فى هذا الجواب :

أحدهما أن يقال فى هذه الصفات : إنها أمور اعتبارية ، يراد بها نفى أضدادها من النقائص المنزه عنها سبحانه ، فوصفه مثلا بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، والكرم والعزة والحلم ، عبارة عن تنزيهه عن الأوصاف الناقصة من الفناء والعجز ، والجهل والصمم ، والعمى والخرس ، والبخل والذلة والطيش •

وهكذا فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهذا كاف من تقريب العبارة لمن شاء ، وبضدها تتبين الأشياء .

واعلم أن صفاته تعالى الكمالية هى أخص بهذا الباب ، اذ لا يحسن عندى أن يقال بغيره فى الجواب ، فوصفه بالأزلية والقدم والأولية ، لا يقتضى إلا نفى الحدوث عنه ، فالقديم ما ليس بحادث ، والأول ما لا شىء قبله ، والأزلى مثله ، والحياة والبقاء عبارة عن عدم موته وفنائه وتغيره وزواله ، والأخيرة عبارة عن عدم تناهيه ، ونفى الفناء عنه والا حدية والوحدانية ، عبارة عن سلب الكثرة ، وتنزيهه عن الثانى والثالث ، ويجوز فيهما أن يكون المراد منهما نفى الحدوث أيضا ، لأن الواحد ما لا شىء قبله ، والأحد كذلك .

وثانيهما أى ثانى القولين : وعندنا إتيانهما أن يقال فى صفاته تعالى : انها أمور اعتبارية ، بحسب تجليات أعيان الوجود وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، وهى الفاعلة بذاتها ، والمنكشفة لها الحقائق بها ، فما ثم صفة زائدة عليها ، فاذا وصفناه مثلا بالعلم قلنا : إن ذاته المقدسة كافية فى انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما ، فهى حقيقة صفته بالعلم ، فاذا خص ذلك الانكشاف المذكور بالمسموعات والمرئيات ، فقيل : ان ذاته الكريمة فيه فى تجلى كل مسموع أو منظور بها ، تجليا حقيقيا على ما هو عليه ، فهو حقيقة وصفه تعالى بالسمع والبصر ، فاذا تجلت ذاته العظيمة على شىء بما تشاء من ايجاد معدوم ، أو اعدام موجود أو غيرهما من أفعاله الخاصة ، انفعلت لها الأكوان بلا واسطة ، وهى الحالة المعبر عنها بكن فيكون فى قوله : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ، وهى المعبر عنها بالعقل والانفعال بصورة الأمر ، والجواب فى قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .

ولما كان مثل هذا لا يكون إلا من مريد قادر قهار ، قابض مدبر ، على عظيم ، خبير عليم ، متقن حكيم ، متصرف خالق بارىء مصور ، فعال لما يريد ، وصف بالارادة والمشيئة ، والقوة والقدرة ، والكبرياء والعظمة ، والقهر والغلبة ، والعلم والحكمة ، وهكذا فكانت أسماء هذه الصفات ومعانيها بمقتضى مدلولاتها ، وهو معنى قولنا بحسب تأثر أعيان الوجود وانفعالها للذات العلية ، فالفاعل واحد ، وذاته كافية فى كل ما يريد ، والأشياء كلها منفعلة لذاته على وفق ارادته ، فهو الفاعل بذاته ، خالق بها ، محدث مخترع ، موجد معدم ، منشىء مبدىء ، معيد بذاته الكريمة ، كما هو عليم بذاته ، سميع بصير بها .

ولا يتصور فى بال عاقل أبدا أن يكون الإله محتاجا الى غيره فى شىء من أفعاله ، مفتقرا إلى وزير ومعين ، ومدبر ومشير ، وهذا باطل ، والحق أنه هو الغنى بذاته ، والفعال لما يريد بها لا بشىء آخر ، فارادته وأمره وفعله غير مقصورة على العلل والطبائع والأفلاك ، والكواكب والعقول ، والنور والظلمة ، والدهور سبحانه وتعالى عن ذلك ، فهو فاعل كل ذلك وخالقه ، ومحدثه ومخترعه ، ومكونه قبل الأكوان والعلل والأزمان ، وكان فى أزله قادرا قويا بذاته على خلق كل ذلك واتقانه واخراجه من غيب العدم الكلى ، الى ظهور الوجود الشهودى كما شاء وأراده من غير استعانة بشىء ، ولا احتياج الى شىء ، كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما كان عليه .

وهكذا القول فى سائر صفاته وأفعاله ، فان أسماء الصفات والأفعال ، انما كانت متعددة كثيرة ، لكثرة معلوماتها ، وتعدد مدلولاتها ، تقريبا لأفهام العباد ليتوصلوا الى معرفته التى هى سبب فلاحهم ، وكيمياء سعادتهم ، والأصل فى صفاته تعالى أنها شىء واحد فى الحقيقة ، باعتبار تجلى ذاته المقدسة على كل شىء ، لكنها باعتبار الأمور الخارجية من عدد التجليات ، وتنوع المتجليات للذات الكريمة ،

تكون أنواعـا عديدة بحسب ذلك ، فلو سمى العلم مثلا قدرة أو قهرا أو كبرياء أو عـزة لمـا صح ذلك معنى ولا لغـة ، وكذا لو سـمى السمع بصرا ، أو البصر سمعا أو أحدهمـا قدرة ، أو القدرة كلاما أو الكلام مشيئة ، أو المشيئة قهرا وهكذا .

وقد راعى الله هذا الاعتبار الخارجى فى خطابه كما قال الله تعالى فى كتـابه : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجهـا . وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما) وهو سميع الدعـاء ، والله سميع عليم ، فلا يجـوز فى اطلاق اللغة إلا مراعاة هذه النسب الخارجية ، فلا يقال : ان الله تعالى يبصر الأقوال ، ويرى الأصوات ، وينظر الدعـاء ، كمـا لا يقال : انه يسمع الجبل أو لحجـر أو الشجر أو المدر أو غـيره من كل ساكن فى حال سكونه ، وعـدم تحركه واضطرابه ، ولو قيـل هذا لكان خطأ واضحا ، وغلطا فاضحا لمخالفته أوضـاع اللغة ، واتسـاع العـرب فيهـا .

ومثال ذلك : أن الأكل والشرب كليهما عبارة عن اسـاغة شىء فى الحلقوم من الفم الى البطن ، فهما معنى واحـد فى الأصـل ، لكن واضع اللغة حض تسمية الاسـاغة من المائعـات بالشرب ، والجامدات بالأكل ، فلو قيـل : أكلت ماء ، أو شربت طعاما لكان خطأ ولهذا احتاجوا الى التأويل فيما أفهم العكس فى قول الشاعر :

* فعلفتهـا تبنـا ومـاء بـاردا *

ان انتصاب الماء بفعل مقدر أى وسقيتها ماء باردا ، لأن المـاء لا يعلف ، وانمـا يسقى ، وهذا معنى فى اللغة لا يخفى على من عرفها ، وليس هو مما نحـن بصدده من الكلام على الحقـائق على الأزلية فى بيـان الوحدانية بالاكتفاء بالذات القدسية ، فى جميع صفاتها الحقانية كما تقـرر ، فنقول : انه تعـالى يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به

يعلم ، ويقـدر بما به يعلم ، ويعلم بما به يقـدر ، ويقـدر بما به يخلق ، ويخلق بما به يعطى ، ويعطى بما به يمنع ، ويحيى بما به يميت ، ويميت بما به يحيى وهكذا ، وهـذا ظاهر بما سـبق ، والذى يقـع فى حدسى فيما ذكرناه من هذا كفاية عن المزيد ، لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

فانظر فى هذا وما سألت عنه من تلك العبارة ، والى الله أعتـذر من قصـور فهى عن ردها الى أصـول الحق فى تصريح أو اشـارة ، وهو يعلم منى أننى لا أريـد بما ذكرته فى هذا محبـة للخلاف ، فليس من مذهبى الطعن ولا الازدراء بالأسلاف ، ولكنى رأيته مزلة للأقـدام ، ومدحضة للأحـلام ، ومجلبة للأوهام ، فربما اعتقده كذلك الناسكون ، أو تاه فى أودية الفكرة به السالكون ، أو وقف بين قبـوله ورده لعجز عن فهمه الضعفاء المتمسكون •

ألا وان نشر العلم فى موضع الحاجة اليه لمن الواجبـات ، على من قدر عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من أتاه اللـه علمـا فكتمه عن الناس فى موضع حاجتهم اليه ألجمه الله بلجـام من نار » فهذا يجب ابتداء فكيف به اذا سأل عنه من لا يجـوز أن يبخل بالحكمة عليه ، فيعد ذلك ظلما فى حق من قصد اليه بشهادة الحـديث الصحيح : « لا تضعوا الحكمة فى غير موضعها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » والله أسأله الحمـاية والتوفيق الى الهداية •

*** مسـألة :**

ومن بعض الكتب المغربية : واعلم بأن القـوم عارضونا بخمس هيئات :

أولها قالوا : ان زعمتم أن الذات واحدة ذات الباري سبحانه ، وأن صفاته هي هو لا غيره ، فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هو الله في أمثالها .

الثانية : ان أجزتم هذه فقولوا : الله هو العلم ، والله هو القدرة في أمثالها .

والثالثة : فقولوا : ان العلم هو القدرة ، والقدرة هي العلم وغيرها .

والرابعة : أن معنى علم هو معنى قدر ، ومعنى قدر هو معنى علم ، أو غيرها في أمثالها .

والخامسة : أن هذه الصفات التي ذكرتم ووصفتم الله بها ، لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كان معنى فهو ما قلنا ، وان كان غير معنى فقد وصفتم الله تعالى بلا معنى .

الرد وبالله التوفيق :

أما الأولى : أما قولهم في علم الله أنه الله أو غيره ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول هي هو ، فنقول علم الله هو الله لا غيره ، وقدرة الله هي الله ، والأحسن عندي أن نقول ليس هناك غير الله .

وأما الثانية : أن نقول : الله هو العلم ، ونقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغة منعت عن اطلاق ذلك ، ولولا ذلك ما كان فيه بأس ، وقد جاء في اللغة اطلاقه ، وفي بعض الأسماء كقولك الله والرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله هو الحق المبين .

وأما الثالثة : أن العلم هو القدرة ، والقدرة هي العلم ، فهذا

ممنوع من جهة التخاطب واللغة ، ولو أطلقه انسان لما جاز ، وخطؤه فى اللغة هو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه .

وأما الرابعة : فانا نمتنع من أن نجعل صفة البارى معاينا لما يتوهم علينا من الغيرة به ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا ، والأسماء الحسنى ؟

فان قالوا : تقولون يعلم نفسه أو لا يعلمها ؟

قلنا : يعلمها ولا نقول لا يعلمها .

فان قالوا : يقدر على نفسه أو لا يقدر عليها ؟

قلنا : لا يجوز يقدر على نفسه ، ولا لا يقدر عليها .

فان قالوا : يريد نفسه أو لا يريدها ؟

قلنا : الجواب فيها كالجواب فى التى قبلها انتهى ما أردناه .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا تفضل ببيانه مأجورا ؟

قال : قد نظرت فيه وما حضرنى من قول فلا أخفيه ان شاء الله تعالى ، أما قوله فى الرد ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول هى هو فنقول : علم الله هو الله فأقول نعم ، قد توجد هذه العبارة فى قولهم ، ولكن على ما بها من الاطلاق لا تصح إلا بالتأويل فى حق الملك الخلاق ، فان فى قولهم المنع من اطلاق كون الرب سبحانه وتعالى علما أو حكما أو حلما أو قدرة ، أو قهرا أو رحمة ، أو لطفا أو رأفة ، أو حياة أو سمعا أو بصرا أو ملكا أو كرما فى أمثالها .

فلو قال قائل : لا إله إلا الكرم أو الحلم أو القدرة ، لكان بذلك مشركا ، ولا نعلم أن أحدا من أصحابنا أجازه ، ولا ادعى بالتصريح غير هذا القائل جوازه ، وقد ذكر فى صحيح الأثر أنه لو جاز هذا لكان الداعى اذا قال لله : يا علم يا رحمة يا حلم يكون مصيبا ، وليس بذلك فانه بخطأ فاضح ، وغلط واضح ، وقولهم فى الصفات انما هى ليست من هذا الباب أصلا ، فان لها تأويلا ترد به الى ما هو فى الحق أقوم قبل ، أو أوضح فى الهداية دليلا ، وستأتى ان شاء الله فى موضعها .

وأما قوله : والأحسن عندى أن يقال : ليس هناك غير الله ، فهو القول الحسن المطابق لقوانين الحق الصحيحة ، بل لا يجوز فى الحق غيره فدع ما سواه ، وارجع اليه تظفر من الحق بهداه .

وأما قوله : أيضا وأما الثانية أن نقول : الله هو العلم ، أو نقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغة منعت من اطلاق ذلك ، ولولا ذلك لما كان فيه بأس ، فهذه غفلة من قائلها ، ومقالة يشهد العقل والنقل ببطلها ، فلا يقال : ان الله هو السمع والبصر ولا القدرة لما أسلفناه ، فاذا ثبت أن الله هو العلم ثبت أن العلم هو الله ، واذا ثبت أن العلم هو الله ، ثبت أن الله هو العلم لاتحاد المعنى ، وكله ممنوع بما سبق فى الأثر ، وقد صرح الأثر الصحيح بمنع وجوده ، والعقل من أكبر شهوده ، فقصر منعه من حيث اللغة فقط قصور ظاهر ، ثم اطلاق مقالته بأنه لولا ذلك لما كان فيه بأس يقتضى اطلاق الجواز فى المعنى ، وليس كذلك ، فانه لو صح معناه لجاز اطلاقه لغة ، ولا مانع قطعا ، ولكنه غير صحيح فى المعنى ، ولا ثابت فى الأصل ، ولا مستقيم فى الاعتبار ، ولا موافق للأصول ، ولا مستقر فى العقول ، فمن أين يصح فى اللغة فلا تنطق به لسان ، ولا يعرفه جنان ، ولا يقوم له برهان ، لأنه ليس بشىء قطعا .

ومن أعجب العجاب ، ما احتج به فى هذا الجواب ، لإزالة ما به

من الارتياب بقوله : وقد جـاء فى اللغة اطـلاقه ، وفى بعض الأسماء كقولك : الله الرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله الحـق المبين ، وليس هـذا من ذاك جزما فان هـذا الموضـع هـو محل ما يجتمع على جوازه ، لأنه المصرح به فى الكتاب والسنة كقوله تعالى : (قل هو الله أحـد) ، (الله لا إله إلا هـو الحى القيـوم) وغيرهما فى محل الخبر •

وكذلك فى موضع الوصف بما جاز من الصفات المتصف بها كما فى (بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) وغيرها ، والفرق بين هذا وذاك ظاهر ، وهو أن نفس أسـماء الصفات أكثر فى الأصـل بصيغة المصـادر ، كالعلم والقـدرة والحياة ، فانها من حيث اللغة مصـادر من علم ، وقدر وحى ، ومنهـا اشتقت الأسماء والصفات ، كالعليم والعلام والعالم ، والقدير والقادر والمقتـدر ، والحى وهكذا فى سـائرها ما تصف بهـا فوصفها تعالى والإخبار عنه بهذه الأسماء والصفات المشتقة من أسماء صفاته وأفعاله ، هو الذى جاء النص به ولا يجـوز القول بمنعه أصـلا •

وأما الإخبار عنه بنفس أسماء الصفات أو وصفه بها فهو المـذى لم يأت به نص ، ولم يجر له فى الكتاب ولا فى السـنة ذكر ، وظاهر قول الفقهاء منعه ، فلا يقال : الله علم ولا قدرة ، كما يقـال : الله عليم وقدير ، ومنع هذا إلا من حيث اللغة كما قرره المصنف ، بل يجوز أن تنعكس هذه المقالة فيقال : ان اللغة باعتبار المجـاز يقتضى الاجـازة له ، لأن النعت بالمصادر على ارادة المبالغة شائع كثير ، وكـذلك فى الاخبار فيجـوز أن يقال : زيد كرم أو عفو أو سماح مبالغة فى وصفه بـذلك •

وعلى قياده فيجوز لو قيل الله سمع وبصر ، ويجـوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أيضا من حيث اللغـة ، فيكون بمعنى هـو

ذو علم وقدرة ، وهذا كله معروف فى اللغة واضح ، لكن لو فتح هـذا الباب وقيل بالجواز فيه لافتحم منه الى أودية اللبس ، واشتبهت معالم التوحيد فيه بمهاوى الشرك والضد لأنه يؤدى الى جواز القول بأن الله خلق أو رزق أو عذاب أو ثواب على حد قوله شعرا :

انما بدد رزايا وعطايا و

منايا وطعان وضراب

وايراد مثل هذا على سبيل المبالغة جائز لغة ، لكن صفات الرب سبحانه وتعالى تعجز عن وصف حقيقتها الأفهام ، وتتقاصر عن ادراك شأوها الأوهام ، قد عوى المبالغة فيها بما يخالف الحقيقة نقص لكمالها ، وتدنيس لجمالها ، فدع ما لا سبيل اليه ، فلا تقول عليه ، وانظر الى قوله : ان اللغة منعت من اطلاق ذلك ، ليعلم أنه قد ارتبك فى هذه الدقائق ، فجاء بعكس الحقائق ، غفلة منه وسهوا ، جزاه الله خيرا •

قوله : وأما الثالثة أن العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم ، وهذا ممنوع من جهة التخاطب واللغة ، ولو أطلقه انسان لما جاوز خطؤه اللغة ، وهو أحسن حالا ممن أخطأه فى ذات البارى سبحانه • انتهى •

وليس قوله هذا بشىء هذا أنه فى هذا الباب اعتذر عن الجواب ، لكان أهدى الى الصواب ، فان منع القول بتسمية العلم قدرة ، أو القدرة علما ، ليس هو من جهة اللغة فقط ، ولا من باب التخاطب وحده ، لكن حقيقة العلم غير حقيقة القدرة ، وصفاته تعالى وان كانت اعتبارية فحقائقها غير متحدة بطريق الاعتبار جزما ، وإلا لكانت الولاية منه سبحانه وتعالى عداوة ، والرضا سخطا ، والمقت محبة والنقمة نعمة وهكذا •

وهذا كله من تعكيس الحقائق فلا قائل به ، ولو جـاز فى المعنى أن يكون كذلك لجـاز فى اللغة اطلاقه ، وأى مانع منه ، فاذا جـاز أن يتولى الله المشركين ويرضاهم ، ويقربهم ويثيبهم ، ويبلغهم الفراديس العلى ، فأى مانع فى اللغـة أن يقال : ان الله قد تولاهـم وأحبهم ، ورضيهم وأثابهم ، ولكن قد أبى الله ذلك ، فلم يكن المانع من اطـلاق اللغة ، وان ما امتنع لأن الصفة الالهيـة المسماة بالمحبـة والولاية والرضا هى غير الصفة المسماة بالعداوة والمقت والسخت والانتقـام ، ولو جاز أن يكون العـلم هو القـدرة لجـاز أن تكون العـداوة على الولاية والرضا هو السخط ، والغضب هو الحلم ، والحلم هو الغضب ، وبهذه القاعدة يظهر فساد قوله ، ولو أطلقه انسان لمـا جاوز خطـأه اللغـة .

ومن العجب قوله أيضا : وهو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه . انتهى .

وكل منهما يشتمل على عدة أنواع وأقسـام متباينة ، فى الأحكام فاطـلاق القول بأن أحدهما أشد من الآخـر مجازفة ظاهرة ، لـكن الاعتناء بتحقيق وجوه الباطل عنـاء محض لا فائدة فيـه .

قوله : وأما الرابعة ، فالقول فيه كالقول فى الثالث ، هو ممنـوع من جهـة اللغة والتعارف بين الناس . انتهى .

قلت له : وهو الجواب منه عن قولهم : ان معنى علم هو معنى قدر ، ومعى قدر هو معنى علم أو غيرها فى أمثالها . انتهى ، وفيمـا سبق من القـول على هذا الباب كفاية عن الاعـادة .

قوله : وأما الخامسة : فانـا نمتنع من أن نجعـل صفة البـارى

معانى لما يتوهم علينـا من الغيرية ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليـا والأسماء الحسنى • انتهى ، وهو جواب لقـول المعارض ، بل هـذه الصفات لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كانت معنى فهو ما قلناه غير مسلم ، وبيـانه أن مذهبه يقتضى انهـا معـان زائدة يعنى أن الصفات معان هى غير الذات ، بل هى معانى قديمـة حالة بالذات قائمة بهـا ، وهـذا هو الأصـل العظيم الذى ارتبكت فيه الأفهـام ، وغلبت على أكثر الخـلائق فيه الأوهام ، وما عليـك أن تقول : ان المعـانى على قسمين :

أحدهما : ما ذكره وهو الممنوع عند المحققين •

وثانيهما : أن يقال : انها معان اعتبارية سلبية ، أى يراد بهـا دفع أضدادها من صفات النقص عنه سبحانه وتعـالى ، فان ذاتـه سبحانه غنيـة عن المعـانى الزائدة عليهـا ، وإلا كانت ناقصـة محتاجة لمـا يكملها وهو باطل ، فدل هذا على أن صفاته سبحانه وتعالى انمـا هى معان اعتبارية كما قدمناه ليست بزائدة على ذاته بشىء كما أسلفناه ، ولا نقول ان الله يوصف بلا معنى ، كما لا يقـال انه يوصف بلا صفة ، ولا نجـد من ينكر صفاته تعالى ، وانما اختلفوا فى التعبير عن الصفات كما رأيت •

فاذا قلنا مثلا : ان العلم صفة من صفاته تعالى ، وهو معنى من معانى الصفات ، يراد بـه نفى صفة الجهـل عنه كان كافيـا ، وهـو معنى قولهم صفته سلبية فى المعنى ، أى نفينـا صفة الجهل عنـه ، فثبت العلم بالضرورة لأنهمـا ضدان ينتفى أحدهما باثبات الآخـر ، وليس العلم صفة زائدة على ذاته ، وانما يراد بوصفه بالعلم الاخبـار عن ذاته العلية أنهـا ليست بجاهلة بحقائق الأشياء كلهـا •

وكذلك القول فى السمع والبصر والقدرة وغيرها ، فقول المعارض : إذن فان زعمتم أن الذات واحـدة ذات البارى سبحانه وتعالى ، وأن صفاته هى لا غيره فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، فى أمثالها وهذا لا يلزم أصحابنا ، فانهم يفسرون قولهم فى صفاته تعالى أنهـا هى لا غيره ، بأنه عبـارة عن نفى الصفات الزائدة على الذات ، بمعنى أن نفس ذاته تعالى كافية فى اتصافها بجميع صفاتها ، فليس ثم غيرها ولا هناك شىء يحل بها فتكون محتاجة اليه فى كمالاتها .

وهذا هو غاية التوحيد ، ونهاية التجريد وليس هناك صفة قائمـة بـه ، ولا حالة فيه فيقال : هى غيره ، ولو قلنا : ان اللـه هـو العلم والقـدرة لخرج عن قولهم ، وثبت به قول آخـر يقتضى اثبات مذهب باطل يؤذن بأن صفة العلم والقدرة بشىء آخـر غير الذات العليـة ، وهو أشـبه بمذهب المخالفين فى اثبات الصفات القديمة الحالة بالذات المقدسـة ، ويزيد عليـه باثباتها أنهـا هى الرب ، فاللزوم باطل واللازم مثـله .

وليس مراد أصحابنا من تلك العبادة إلا ما قلنـاه ، وسأضرب لك مثـلا من الحسيات ، تعرف بـه تعلق الصفات اللازمة ، ومحلهـا من الأشـياء فأقول مثلا : انظـر الى ظـل قامتك فى شمس أو قمـر أو سراج ، تجـده ذا طول وعرض لازما ولابد ، فالطـول والعـرض متلاصقان لزوميتان لا ينفكان عنـه إلا بزواله ، فانظـر فى اتصـافه بهما ، هل هما شىء غير ذاته ؟ أم هما صفة زائدة على ذاته ؟ أم همـا معنى غير معنى وجوده فى ذاته ؟

فان دعوى الغير به تستلزم المغـايرة بينهما ، فيقتضى التعـدد والتحيز ، وليس ثم شىء غير ذات الظل قيـل هو جـار فى مجـاز

القول بأنه شيء موجود من صفته الطول والعرض — بحيث لا يكون وجوده إلا بهما ، وليس هما صفة زائدة على وجوده البتة ، لأنه اذا خلا منهما فهو عدم محض ، ومع هذا فلا يقال انه هو العرض ولا الطول ، ويضرب الله الأمثال للناس ولا بأس •

فقول أصحابنا فى الصفات : بأنها هى هو على هذا الحد ، فلا يقال انه علم ولا قدرة ، كما لا يقال فى الظل انه طول ولا عرض ، وكما لا يقال فى الظل ان الطول والعرض هما شيء آخر زائد عن ذاته ، فكذا لا يقال فى العلم والقدرة انهما شيء آخر غير الذات القديمة ، ولكنهما من الصفات اللازمة للذات ، كما أن الطول والعرض صفتان لذات الظل ، وهكذا فى سائرها •

وبالتحقيق فى معرفة هذا الأصل تندفع جميع هذه الشبه التى اعترض بها المخالفون ، ولفقها المبطلون ، تعالى الله وتنزه عن ذلك ، والحمد لله على ما من به من الهدى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه •

*** مسألة :**

ومن جوابه رحمه الله : الجواب فى القاموس : أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهذا نص لفظة الدهر قد تعد من أسماء الله الحسنى ، والزمن الطويل ، والأمد الممدود ، وألف سنة •

وفى الشرح المضاف الى الشيخ محمد وصاف فى دعائم الاسلام : وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » ذكره ابن وصاف أيضا ، فهل يصح أن يكون الدهر من أسمائه تعالى الحسنى عندك أم لا ؟ وان صح فهل يسع جهل أنه من أسمائه بعد قيام الحجة فيه بسماعه ، وكذلك

سائر أسمائه الحسنى وصفاته العليا أهى مما يسع جهله أم فيها عموم وخصوص ؟

الجواب :

ومثل هذا قد حكاه الأكابر الأسلاف بها تعلقا بظاهر الحديث ، ونحن لا نقول بهذا لقصور علمنا ، وفتور فهمنا ، والذى نراه أقرب الى الحق قول من يتأول الحديث : « لا تسبوا الدهر ، فان الدهر هو الله » أى هو فعل الله وقضاؤه وقدره ، وله الخلق والأمر .

فمن نظر الى الزمان من حيث القضاء والأوامر الإلهية ، والأفعال الربانية ، فى دفع طاغ واعزاز باغ ، وإذلال مؤمن ، والإساءة الى محسن ، فقد طعن فى الحكمة الإلهية ، وجهل الارادة الربانية ، فنهى الشارع عن ذلك مخافة الوقوع فى المهالك ، ولا يجوز قطعا أن يعتقد فى الدهر الذى هو الزمان أنه الله ، لأن الدهر خلقه ، والزمان ملكه ، وتقدير حذف المضاف شائع لا غبار عليه ، فالدهر خلق الله وأمره وصنعته وقضاؤه وقدره ، أو ما يجرى مجرى ذلك ، وانما حذف المضاف ليتناول كل محتمل أن يقدر فلا لبس ، وقد تكفل الله سبحانه بايضاح ذلك فى كتابه العزيز ، فى رده على الدهرية القائلين : (وما يهلكنا إلا الدهر) ، ولو كان الدهر هو الله سبحانه لكان قولهم ذلك صوابا ، فلا يحتاج طلبه من الله سبحانه وتعالى .

ومتى صح أن الحديث متأول فعده فى الأسماء الحسنى ليس بصحيح إلا على المذهب الأول المبنى على ظاهر اللفظ من الحديث ، لأنه لم يثبت بغيره فيما تناهى الينا ، ونحن لا نراه ولا نقول به لما بنا من ضعف وجهل وقصور ، وأسماء الله كلها مما يسع

جهله ما لم تقم به الحجة من السماع الذى لا يجـوز الشك فيـه : بخـلاف المسمى الواجب الوجود سبحانه وتعالى •

وكذلك صفاته الجليلة فهى مما لا يسع جهله ، متى خطرت ببال كل ذى عقل من البالغين ، فلا ينفس بعد ذلك فى معرفتها والعلم بها ، وبالله تعالى بأى لفظ اهتدى اليه •

فالعجمى مثلا ان عرف الله تعالى بلغته كان مؤمنا ، ولو سمع لفظ الخالق الرازق والسميع والبصير وغيرها ، ولم يعـرف المراد به فانه يكون مؤمنا عارفا بالله تعالى ، لأنه غير مخاطب فى أصل الايمان بمعرفة الأسـماء الحسنى •

وانما يكون مؤمنا بنفس معرفة الله تعالى ، والشهادة له بأى لغة كانت ، وبأى وجه بلغ الى معرفته ذلك ، فقد حصل له الغرض ، وتم له التعبـد •

والعربى عكس العجمى فيما يكون من الأسـماء العجمية فى الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والزبور ، وتسبيحات الملائكة الكرام على اختلاف أنوع اللغات ، ولكثرتها وتعدد صنوفها الى غاية لا يحيط بعلمها إلا الذى أحصى كل شىء عددا ، وأحاط بكل شىء علما سبحانه وتعالى •

ولا ندرى بما استأثر الله به لنفسـه فلم يظهره لخلقه أو أظهره فى أوان ، وأخفـاه فى زمان ، كما ثبت فى الحديث : « اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى شىء من كتبك أو أعلمت به أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » ففيه ما يستدل به على عدم الحصر وعدم التنـاهى فى معرفة الأسماء الحسنى ، وهو كذلك بغير شـك لاجتماع دلالتى العقـل والنقل على ذلك ، ولا يرد

هذا الحديث : « أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فليس فيه دليل على الحصر ، وانما هو مشوق لبيان فضل ما نص عليه الحديث منها لا غير ، فهى أم الكتاب ، وعليها المدار فى هذا الباب ، فهذه عجالة حضرت الفقر فى هذا البحر الطويل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

*** مسألة :**

ومنه : وما قولك فى أسماء الله الحسنى كم هى على رأيك ؟ تفضل ارسم لنا إياهن متناسقة أولا فأولا كما أشرت اليه فى كتابك النواميس ، أنه لابد لمن أراد أن يجعلها ذكرا أن يقدم أولا الأسماء الكماليات ، ثم يثنى بالجلاليات ، ثم يثلث بالجماليات ثم يربع بالأفعاليات ، ونحن لا معرفة لنا فى تمييز كل من هذا ، تفضل شيخنا رتب لنا إياهن ، واجعل بين كل قسم فاصلة من الأربعة ، وقلت قبل هذا انه يبدأ أولا باسم الذات ، ثم بصفات الذات ، ثم بصفات الأفعال ، تفضل بين لنا كلا الفريقين وان كان شىء من الضوابط يدلنا الى معرفة كل ذلك ، تفضل بين لنا إياه ، ولك الأجر ان شاء الله تعالى ؟

الجواب :

الله أعلم ، وأنا لا أدرى كم لها من العد ، فانى لا أحيط بها علما ، ولا أحصيها عددا ، ولا شك أنى فى محل العجز ، وحضيض الضعف عن الخوض فى هذا البحر العظيم البعيدة أطرافه ، المفرقة سواحله ، قد اعترف الرسل بالعجز عن ادراكه والأنبياء بالقصور عن الاحاطة به ، فضلا عمن سواهم من العلماء والأولياء والأتقياء ، لعله والنقباء ، فكيف بأمثالنا على خسة حالنا .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : « اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى شيء من كتبك أو اعلمت به أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » فانظر الى هذه الجمل الجوامع فى هذا الدعاء الرابع ، فانها من الحق المبين ، وعندها لا عند جهينة الخبر اليقين ، وهى تنادى فى كل نادى بأن الأسماء الحسنى ، وكل أسماء الله حتى انها مشحونة بها جميع الكتب السالفة ، من التوراة والانجيل والزبور والصحف المنزلة على آدم وموسى وابراهيم الذى وفى ، وانها مثبوتة بلسان كل واحد من الملائكة والجنة والناس ، على اختلاف الألسن واللغى بين هذه الأجناس اختلافا لا يكاد يحيط علما بأقل أنواعه إلا من أحصى كل شيء عددا ، هذا فكيف بما استأثر به منها المولى ، فلم تطلع الخلائق عليه أصلا وهو بغيبه أولى •

فأسماء الله تعالى هى كلماته التامات ، وأفلاكه النورانية المحيطة بالكليات (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) ولعل السائل سمع ما جاء فى الحديث المشهور : « أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فتوهم حصر الأسماء ، فى هذا العدد المذكور ، وليس بذاك فليس فيه ما يدل على الحصر أصلا لا بتصريح ولا باشارة ، بل غاية ما فيه بيان الفضل فقط ، لتلك الأسماء المذكورة كما هى فى الحديث المشهور مسطورة •

وعسى أن فى اجتماعها كذلك ما يستوجب من الفضل ذلك فان قائله هو الصادق الأمين ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى •

ولكن لابد فى مثله من التأويل لسلامة العقائد من شبه الأباطيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما معرفة الأسماء الحسنى بحسب أقسامها الى اسم الذات وصفات الذات ، وصفات الأفعال ، فاسم الذات العلَمية العظيمة ، فى اللغة العربية الكريمة ، هو الاسم العلم المفرد ، الذى لا سمى له فى الكون سواه ، ولا يجوز فى الاجماع تسميته به لمن عداه ، ألا وهو اسم الله جل جلاله •

وأما الأسماء التى هى من صفاته الذاتية ، فهى فى قول أصحابنا إنها صفاته الثابتة له فى الأزل ، وهى التى هو عليها لم يزل ، كالأحد الحى القيوم ، القادر المبين ، العلى العظيم ، السميع البصير ، العليم الخبير ، الرحمن الرحيم •

بالجملة فكلما جاز أن يقال : لم يزل الله كذا فهو من هذا الباب ، لم يزل الله سميعا بصيرا عليما خبيرا ، وهكذا سائرها ، والأفعال مظاهر لصفاته الذاتية ، أى ما يظهر من آثار تجلياتها فى العوالم الكونية ، بمقتضيات الارادة الأزلية ، كالإيجاد والإعدام ، والخلق والرزق وغيرها ، فهى الصفات الأفعالية ، والأسماء المشتقة منها على التى تسمى أسماء الأفعال ، كالخالق البارىء المصور ، الباسط الرازق ، المحيى المميت وهكذا •

وكلما لم يجز أن يقال فيه لم يزل الله كذا ، فهو من هذا الباب ، فلا يجوز أن يقال : لم يزل الله خالقا ورازقا لأنه خالق الخلق ورازقهم ، وقد كان فى الأزل وحده ، ولا خلق ولا رزق إذ لا قديم معه غيره وهو باطل . ولكن يقال بحق : انه لم يزل وهو الخالق والرازق ، إذ لا خالق ولا رازق غيره ولا معبود سواه •

والقول الثانى أوضح ، وهو أن يبدأ أولا فى الدعاء بالكماليات ، ثم بالجلاليات ، ثم بالأفعاليات ، والكمال لغة ضد النقص ، والكماليات كما وصفت لنفى النقائص عنه ، كالحدوث والفناء ، والشركاء

والأضـداد ، فهى ما دل على الوحدانية والتفريد ، وما فى معنى ذلك كالله لا إله إلا هو الواحـد الأحـد ، الفرد الصمد ، الأول والآخر ، الظـاهر الباطن ، القدوس السـلام الحى البـاقى القديم •

والجلال فى اللغة العظمة ، فالجلاليات عبارة عن الأسماء الموضوعة لاظهار الكبرياء والعظمة لله تعالى ، والعزة والقدرة له ، وما فى معنى ذلك ، كالله الملك القادر المقتدر ، العزيز الجبار ، المتكبر الكبير المتعالى ، الشـديد القوى المتين •

والجماليات سوى هذين النـوعين من صفات الـذات ، كالسميع البصير ، العليم الخبير ، الشهيد ، الرحمن الرحيم ، اللطيف ، الرءوف الواسع لكريم •

والأفعاليات ما سوى هذه الأقسام الثلاثة ، كمـا سـبق القـول عليهـا آنفـا •

وقد ينقسم هذا الفصل الى جلالية أيضا ، كالقاهر القابض ، الملك المميت ، ذو البطش المنتقم ، والى جمالية ، وهى ماعدا هذا النـوع ، كالمحيط المحصى الباسـط المنعم ، الوهاب الفتـاح ، الرازق المحيى ، ثم باعتبار آخـر ، أن الكماليات جلاليات وجماليات أيضا ، والجلاليات كماليات وجماليات أيضـا ، والجماليات جلاليات وكماليات أيضا • فان لكل كمال جلالا وجمالا وهكذا •

وبيانه أن قولك : لا إله إلا الله هى أم البـاب فى التوحيد الدال على الكمال المطلق ، ونفس التوحيد والاقرار بالتفريد ، وهو عين تعظيم الله تعالى وتمجيده ، ونفس الاعتراف بأنه ليس كمثله شىء فى عظمته وجلاله ، ومن كان كذلك فهو أهل لكل صفة جميلة لكرمه وفضـله ، والثانى حقيقة الجـلال ، والثالث محض الجمـال وهكذا •

وهذا الترتيب فى الدعاء بها وان اعتمده فريق من جهابذة أولى أولى التحقيق ، فليسه باللازم ، وانما هو المختار عند من قال به من أهل الأسرار ، وقد حكى عن قوم آخرين ترتيبها المستقيم ، بحسب وجدانها على التوالى فى الكتاب الكريم ، فيقول الداعى بها كذلك : يا أللـه ، يارحمن ، يارحيم ، ياماالك ، يامحيط ، ياقدير ، ياعظم ، يا حكيم وهكذا •

وفى مذهب رابع ترتيبها متناسقة وفاق ما جاءت فى الحديث النبوى المشهور : « ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » هو : الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، الجبار المتكبر الى آخرها كما ذكرت فى كتب الحديث كتيسير الأصول والمشكاة وغيرهما فى كتب الفقه كبيان الشرع •

وفى مذهب خامس فيجوز ترتيبها على الحروف الهجائية ، تقول : يا أللـه ، يا إله ، يا أحد ، يا أول ، يا آخر ، يا بر ، يا بديع ، يا بصير ، يا باقى ، يا باعث ، يا تواب وهكذا ، وللمرتبين لها على الحروف طرائق هذه احداها ، والثانية وضعها على ترتيب أبجد المشرقية ، والثالثة كذلك على ترتيب أبجد المغربية ، والرابعة بتقديم ذوات الحروف النورانية الى غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره هنا •

وانما سطرنا القول فيه لبيان الإجازة ، وكون مخالفة ذلك الترتيب غير مخل للسر استدلالا بما عليه علماء الحروف ، وعلى هذا فقدان لنا الوقوف ، والحمد لله على ما ألهم وأنعم ، والله بهذا وغيره أعلم فلينظر فيه •

*** مسألة :**

ومنه : تفضل على سيدى بايضاح الفرق بين الأسماء الذاتية والجلالية ، والجمالية والكمالية ، من أسماء رب البرية .

الجواب :

ان أسماء الله تعالى فى الأصل شىء واحد ، وانما تقسم باعتبار دلائل معانيها ، فان دلت على حقائق ذاته سبحانه من غير تخصيص بصفة فكمالية ، كالاله ، واللـه ، والأحد ، والأول ، والآخر .

فان تخصصت بصفه فهى من أسماء صفاته : القابض ، القاهر ، العزيز .

أو على محض شرف أو فضل فجمالية ، كالعليم الحليم ، الخبير الحكيم الكريم ، وما تعلق مدلولها على اظهار شىء فى الكون ، فقد يعبر عنها بأسماء أفعاله سبحانه وتعالى ، كالخالق ، والرازق ، والمعطى ، والمانع ، ولهذا فى هذا المقام أيضا جلال وجمال كما سبق ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما قال الشيخ ابن أبى نبهان ما نصه : وبالجملة ، فما أخبر لله أنه كان ، وأنه سيكون بعد ، أو لا يكون البتة ، وجب الايمان بتصديقه فيما أخبر وانتقل من قسم الممكن ، الى قسم الواجب ، ولكن لا على أنه واجب عليه الوفاء فى فعل ما قاله ، ليكون صادقا بل لو أخلفه لم يكن كاذبا ، إذ لا تلحقه صفات الكذب والخلف مما خلقه الله تعالى ، ولا يضادد صدقه الكذب ، ولا علمه الجهل ، ولا قدرته العجز ، وعلى هذا فى صفاته ، لأن كل ذلك هو من خلقه تعالى ، ولكن

ألزمنا نحن أن نصفه بصفات الواجبة ، ومن صفاته الصدق ، وان وصفناه نحن أنه غير صادق ، فقد وصفناه بصفات خلقه أنه كاذب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

شيخنا : وجدنا هذا عن هذا الشيخ ، ولم نعرف قوله ، بل لو أخلفه لم يكن كاذبا بين لنا ذلك تؤجر ان شاء الله •

الجـــواب :

والله أعلم ، والذى معنا فيه ان أوضح العبارات وأصحها فى الصفات الالهية ، أن وصفه تعالى بالعلم عبارة عن نفى الجهل عنه ، ووصفه بالقدرة عبارة عن نفى العجز عنه ، وهكذا فالجهل ضد العلم ، والعجز ضد القدرة ، والموت ضد الحياة •

ومن وصفه بذلك فقد أثبت له سبحانه من صفاته ما وجب ونفى عنه أضدادها من المستحيل عليه ، فان كان معناه أن الجهل ليس بضد العلم فى هذا المعنى فهذا باطل ، وكيف يصح مع تصريحهم بأن العلم معناه صفة نفى الجهل عنه سبحانه وتعالى ، فهما صفتان متضادتان على الأبد ، لا يجتمعان فى محل واحد ، ولا فى منعوت واحد ، فى حالة واحدة أبدا •

وان كان مراده تنزيه لله تعالى عن الأضداد المنفية عنه من الجهل والكذب ، والعجز ونحوها بمعنى أنه سبحانه لم يتصدق بشىء من ذلك أبدا حتى ينفى عنه ، ويثبت له ضده ، فيكون وصفه بالعلم نفيا لجهل كان به ، وهكذا فى سائرها •

وهو حق ولكن عبارته لم تساعد عليه ، لأن قوله لو أخلفه لم يكن كاذبا يدل على المعنى ، فى بيان الشرع أنه لو أخلفه سمى مخلفا ،

ولكنه لا يخلف بالميعاد ، وهو صريح بأنه لو قال بغير الصدق يسمى كاذبا إلا أنه سبحانه لا يقول إلا صدقا ، ولا يبدل القول لديه ، فهو الصادق جزما ، ولا سبيل الى تقدير أخلافه ولا كذبه ، لأنه بتقدير الباطل عليه ، فكيف يعرض ويقدر •

وهذا باطل هذا ما لا يصح فى نقل ، ولا يقبله عاقل ، فما هو إلا كقول قائل : لو أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم بعض الأشياء ، فلا يسمى بجاهل ، ومن المحال أن يكون عالما غير عالم ، وقادرا غير قادر ، فيكون إلها غير إله ، ومن جاز هذا فيه ، فكيف لا يجوز وصفه بما لا تحقق فيه من جهل أو عجز أو غيره ، والله منزه عن ذلك كله ، وعن تقديره له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، والله أعلم ، فلينظر فيه •

* مسألة :

ومنه : وما قولك فى الانسان اذا شك أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى تراه الوجوه يوم القيامة ، رؤية بعين الرأس جهلا منه على غير تأويل ، أيبلغ به شك ذلك ، أو اعتقاده الى كفر شرك ، أم هو منافق ؟

وكذلك إذا شك أو اعتقد أن الله يبصر بعين ، أو يسمع بأذن ، أو أن له وجها أو غير ذلك من الصفات المنفية عن الله ، أو أنه قادر بقدرة ، أو عالم بعلم ، أيصير بأحد هذه المعانى مشركا ، ويكون حكمه كحكم أهل الشرك من انحلال عقدة الزوجية ، وتحريم المناكحة وغير ذلك تفضل بتصريح ذلك ؟

الجـــواب :

قد قيل فى الأصـــول : ان هذا وبابه مما تقـــوم بـــه حج حجج العقول فلا ينفس فى الجهل به لعـــدم سعة ذلك فى مثله بعـــد قيـــام الحجة به ، بتأديه الى عقله من أى وجـــه ما ، ولو من نفس خاطـــر البـــال ، فضـــلا عن المقـــال ، ممن كان مطلقا ، فاذا قامت بـــه نفس حجة العقل لديه فآمن من به ، فهو الـــذى عليـــه ، وان رده جحـــودا أو شكا فبجحده الجملة ، أو شك فيهـــا يكون ذلك منـــه فى الاجمـــاع شركا ، ولا نعلم فى شىء من هذا اختلافا .

فان أقر بالجملة إلا أنه شك فى شىء من تفسيرها ، مما لاحـــق بها فى وجوب الايقان به ، فى أصـــل الايمـــان مما لا يســـع جهـــله ، ولا الشك فيه ولا رده على حال ، فانه والحالة لابد فيـــه من أحـــد حكيم ، اما شرك واما كفر نعمة ، وضلال ، لأن شكه والجحد له سواء فى نقض الميثاق الذى أخـــذ عليه ، بأن يؤمن به على الاطلاق .

فان كان شكه أورده بالجهالة فى نوع لمـــا لا يقبـــل التأويل على شىء من مذاهب الضـــلالة ، كالشك فى قدرة الله تعالى على كل شىء ، فحكمه الشرك فى قول أهـــل الحق والعدالة ، كما صرح به فى هـــذه المسألة الأثر .

وانه لمن الصحيح فى النظر ، لأنه اذا لم يشرك بالشك فى القـــدرة ، فمثله الشك فى نفس الربوبية والألوهية ، والوحدانية ، وكـــذا لو شك فى كونه حيـــا عليما خبيرا عظيما سميعا بصيرا .

أو شك أنه هل من خالق غيره ، أو مصـــور أو توهم فى صفاته ، ما لم يجز إلا نفيه عنه ، وتنزيهه منه ، كالقول بأنه والد أو مولود ، أو أنه محـــدث أو فان أو ميت أو مفقـــود ، أو عاجـــز أو فقـــير ،

أو جاهل أو ضرير ، أو لـه شريك أو نظـير ، أو وزيـر أو مشـير ، أو مسـاعد ظهير سبحانه وتعـالى (ليس كمثله شيء وهـو السميع البصـير) •

فهـذا كله مما لا يحتمـل التأويل ، ولا يتعلق فيـه بتعليـل ، ولا يجـوز فيه غير ما قيل من شريك من توهمه شكا أو قال بـه افكا ، لأنه من بعض أصـول التوحيد ، وما عليه لموجب الاشراك من مزيـد فهو الوجـه **الأول** •

وثانيها : ما يتعلق فيه بفاسـد التأويل الكاسد ، كما هو شـائع فى ضلالات أهل القبلة من العقائد المخالفة للمحقين من أهل النحـلة ، إلا أنه لا بدّ فيه من حد ينتهى اليـه ، فيعول فى الحكم عليه ، فيكون فرزا بين كفر النعمة والشرك يعرف به من وقف لديه •

فنقول : ان المتأول فى هـذا على حالين ، ولابد فيـه من حكمين ، أفادهما الأثر الصحيح ، وكلاهما فيـه صريح ، فأما المتأول عنـدهم ما لم ينته الى التجسيم والتحـديد ، فهو كافر نعمة ، ولهم فى المجسمة تفصيل آخر ، لا بد أن تذكر لك حكمه ان شاء الله •

فالتأول كالقول أو الشك فى رؤيته تعالى بالعين الناظرة ، فى هذه الدنيا والآخرة ، أو فيهما فان لـم يثبت له سبحانه فى اعتقـاده ذلك جسما سويا ، أو جوهرا أو عرضـا مرئيـا ، وكان فى ذلك ذاهبـا الى فساد التأويل فى تأويل معانى الكتاب بالكتاب ، أو السنة أو اجمـاع أهل الضـلالة ، وآثارهم المحالة أو تأويل السـنة أو الاجمـاع بشيء من ذلك ، فهو لاقراره بالحملة ، من كفار النعمة من أهـل القبـلة •

وكذلك حكم من كان فى هذا السبيل مقلدا لأهل التأويل ، تابعـا لنهجهم الضـليل ، مع قصـوره عن معـرفة صحيح التأويل ، وسقيمه

وحقه وباطله ، فله بالتبعية فى الضـلالة ، وكفر النعمة حكم المتـأول وعلى أكثر أهل القبلة فلا يحكم بشركهم والحالة هذه اجمـاعا ، واذا ثبت هذا فى المقلد مع قيام الحجة عليـه من شـاهد عقله ، ووضـوح دلالة التوحيد له فى عدله ، مع عـدم تأويله فى نفس يقوله وقيامه ، على اعتقاد صريح الإلحاد فى هذا وشكله ، فغـير بعيد فيما معى أن يلحق به كل معتقد لـذلك أن نفس المعـرفة حقيقية للصفة لظلمة فى قلبه حجته على ربه ، فهداه سـوء فهمه الى ضـلالة وهمه من غـير نظير فى دليل الى تعلق بأصـل تأويل فانه لعماه مقلد لهواه •

كما أن ذلك التابع مقلد لشيخه الرافع ، وكله ما لا عـذر فيـه فى حين فى رأى ولا دين ، وقد ثبت فى ذلك المقلد بكسر اللام عدم شركه بالاجمـاع ، ولو لم يخطر التأويل بقلبـه البتة ، لاكتفـائه بالسماع ، أفلا يكون الجاهل فى ذلك مثله ، ولـم يـزد عليه بصفة توجب عنـه فضـله ، إلا ما سـمع من قدوته الأثيم ، جـواز الرؤية على ربـه الكريـم •

وبالاجماع انه لم يستفد فى هذا المحل بشىء من السماع ، لأنه مما قامت الحجة به عليـه من عقله ، فلم يوسع له فى انكارها ، ولا الشك فيهـا بجهله ، وبعد قيـام الحجة ، ووضـوح الحجة ، فالتعلق بظاهر المسموع ، لا شك من الممنوع ، أفيعذر التابع من انزالـه فى منزلتـه لضلاله المتبوع ، لو أن الشرك يلزم كل قائل به ، إلا من كان فى حـاله فقيهـا فى شرع ضلاله •

كلا بل يستوى العالم والجاهل فى هـذا وغـيره من البـاطل ، أفلا يبعـد فى كل من هام بوادى الضـلالة ، بما يحتمله التأويـل من مذاهب أهل البدع والجهالة ، وان يهتد لمـا به من تأويل أن يكون له فيه ، وما لهم من كفر النعمة والتضليل ، فانه فى الصورة بمنزلة المتأولين ضرورة ، فلا يحكم بشركه على هذا من افكه •

فانه بالشك فيه ، والاعتقاد له فى حينه مبتدع ناقض لأصل دينه ، ان صح ما أراه فى ذلك ، وان لم أجده مفسرا كذلك ، فينبغى أن ينظر فيه من قدر ، ليأخذ منه أو يذره ، ثم ليطالع فيه الأثر ، فان وافق فمن فضل المولى ، وان خالفه فاتباع الحق أولى ، أم تظنه يكون فى هذا مع الجهالة به من المشركين ، وأنا لا أدريه ، فكيف أقول به فى حين •

وإياك ثم إياك تعجل بالحكم على أهل القبلة بالاشراك ، من قبل معرفة بأصوله ، فانه موضع الهلاك والاهلاك ، وعلى هذا لو وصفه جهلا بحركة أو سكون ، فقال انه ينزل الى سماء الدنيا ، وبالاقرار على العرش استوى ، وانه بقدرة قدير ، وبعلم وخبره عليم خبير ، وان له نفسا ووجها وعينا ويدا وغير ذلك ، فما جاء به فى الأصل عن الله هدى ، إلا أنه ضل فى سبيله ، عن صحة تأويله ، أو قال بما يشبه هذا ، أو يضاهيه أو شك لعظم لغباوته فيه ، فالقول فيه كذلك ، بأنه كافر نعمة هالك •

وهكذا الحكم على اطراده ، يكون فى كل من تستر عن التجسيم بشىء به يتمسكون كقولهم فى الرؤية بلا كيف ، وفى اليد لا كالأيدى ، وفى العين لا كالعيون ، وقس عليه ومع عدم التصريح ، بما زاد عليه من قول قبيح ، فأحق ما بهم من شريعة المولى ، أن يكون هذا الأصل فى الحكم بهم أولى ، ما لم يصح ما ينقلهم عند من ضلالة أو هدى ، الى سلامة أو ردى •

فان زاد على هذا فى بهتانه العظيم ، فأتى بصريح التشبيه فى التجسيم ، من وصفه بالجواهر والأعراض ، والكليات والابعاض ، أو بشىء من الجوارح والأعضاء ، ولا يستتر فيه شىء يلابسه عن كشف حقيقة التجسيم ، والتصور محضا ففى هذا وبابه قد تردد الفقهاء بالرأى فى أى الحكمين أولى به ، فقول بشركه مجملا ، وقول بكفر نعمة النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى الاسمع وهو شهيد •

على حال ما كان متأولا ، وقول ان صرح به أنه جسم كهذه الأجسام أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى أعظم شاهد أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى الأجرام ، أو أن يده أو وجهه أو عينه أو شيئا منه كهذه الجوارح ، أو حده من قوله الفادح ، بالأبعاد الثلاثة المختصة بالأجساد طولا وعمقا وعرضا ، أو بالتحيز والانتقال ، والحلول والاتصال والانفصال ، مصرحا فى هذا كله ، بأنه فيه كغيره ، وله فيه ما لغيره من عوارض الأجسام ، أو الجواهر فى الأحكام •

فانه بهذا يكون مشركا فى هذا الرأى ، ومرتدا به بعد الاسلام ، على أنه ما لم يخرج به من دائرة المتأولين ، ففى نفسى أن القول بشركه موضع رأى ولا دين ، لما فى الأثر الصحيح من اطلاق أن المتأول يخرج بالتأول من دائرة الشرك ، الى كفر النعمة والنفاق إلا أن القول بشركه فى هذا المقام ، هو أشهر ما فيه وأصرح ما حكاه الأعلام •

وقد نسب مثل هذا وأقبح منه الى قول غلاة المجسمة ، كمقاتل بن سليمان ، وعلى من قال به لعنة الرحمن ، ولابد فيمن أشرك بشىء من هذا ، فكان به على الابتداء من المشركين ، أو صار به بعد اسلامه من المرتدين أن يكون له ما لغيره من أهل الشرك أو الردة من حكم النجاسة ، وتحريم المناكحة والذباح والموارثة ، ووجوب القتل فى المرتد بعد الاستتابة على ما فيها من قول ، وشرح هذا بالتفصيل مدون فى كتب الفقه ، وكفى •

والله نسأله من فضله أن يجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، والحمد لله رب العالمين ، فليفظر فى هذا كله ولا يؤخذ منه إلا بعدله •

*** مسألة :**

ومنه : الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى •

أما بعد :

فاعلم أنه لما وقف بعض الطلبة ، على ما يوجد فى الأثر ، أن ذاته تعالى هى اثباته ، سألنى حل هذه العبارة ، فقال ما نصه : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات ، ما يزيل قناع الجهل منا ، ويذهب صدى الصدور عنا ، مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

فقلت له فى الجواب ، متحريا لاصابة الصواب ، مستعينا لعناية الملك الوهاب : ان من نظر فى كتاب الله تعالى بعين بصيرة ، عن صفاء سريرة ، فتأمل ما أخبر به الإله المنزه فى قدسه ، من وصف نفسه فى محكم آياته ، فانه لا يجد فيه بالحزم إلا تعريفه الى الخلق بصفاته ، أو بأسمائه الحسنى ، أو بأفعاله الخاصة التى لا يمكن أن يشاركه فيها أحد من مخلوقاته •

وأما من وراء ذلك من معرفة ذاته الكريمة ، على ما هى عليه ، فأمر خارج عن حد القدرة البشرية وشىء لا يبلغ الى معرفة كنهه الأنبياء عليهم السلام ، ولا القوى الملكية ، فهو البحر الذى تغرق فيه سفائن

العقول ، والمحل المعبر عنـه بمقام الحيرة والدهش الذهول ، فجـواب من يسأل عن ذاته العلية أن يقال : هى حقيقته الخاصـة ، التى لا يعلمها إلا هو ، وغاية العلم بها أنهـا ذات لا كالذوات ، فانه ليس بذى شـكل ولا جسم ، ولا يدرك بحد ولا رسم ، فما هو بجوهر ولا عرض فى قول أهل العـدل ، إذ لا جنس له ولا نوع ولا فضل •

وقد عرفك نفسه من هو بمصالحك خبير ، فقال : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وبهذا فاقنع ، ان كنت للحق تتبع ، فغاية العلم به من ملائكته وأنبيائه وغيرهم من علمائه ، معرفة صفاته وأسمائه ، كمـا جاء بهـا كتـابه الكريم ، وكفى بهـا حجة وبرهانا لمن شـاء منكم أن يستقيم •

فان أبى إلا السؤال على وجه التفتيش عن الذات العلية ، لبيـان شرح الماهية ، قيل له : ان نفس سؤالك هذا باطـل فى هـذه القضية ، لا جواز له بالكلية ، لأنه من طلب المحـال ، وهو عين الضـلال ، وبمثله أهلك أربد من ربيعة ، بصاعقة إذ قال : مم رب محمد ، أمن در هـو أم من ياقوت ، أم من ذهب ؟ فأخبر بصفات الله تعالى واسمائه فلم يكفه ، فبينا هو فى محاورته ، اذ ارتفعت سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته ، وفيه أنزل قوله تعالى : (ويرسـل الصواعق فيصيب بها من يشـاء وهـم يجادلون فى الله وهو شـديد المحال) فدع عنـك فى الله الجـدال ، ان جدالا فى الله كفر وضـلال •

ولو كان الجواب عن الذات العلية ، لسائل عن الماهية ، من الممكنـات لأخبر الله تعالى عن نفسـه ، وأجـاب به رسوله محمدا صلى الله عليه وسـلم ، ولكنه ليس بذاك ، فالمكابرة فيـه بعد وضوح الأحكام ، تستدعى صواعق الانتقـام •

الجـــواب :

الحـق فى ذلك : (قل هو الله أحـد • الله الصمد) فقد زعـم بعض المفسرين أنهـا أنزلت فى جواب أربد •

وقال آخرون : هى جواب ناس من اليهـود ، سألوا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم عن ذات واجب الوجود ، والمعنى واحـد ، وان قيل بغيرهما فلا ضير •

ومن هذا النـوع جواب موسى عليه السـلام اذ قال له فرعـون : (وما رب العالمين) ؟ فانه سؤال من الخبيث المارد ، عن الماهية عند أكثر المفسرين (قال رب السموات والأرض ان كنتم موقنين) عدل موسى فى جـوابه عن مطابقة سؤاله ، الى ما لا وجـه فى الحـق لغيره من الاخبار عنـه بصفاته واسمائه ، عز فى جلاله •

فقال فى جوابه عن الذات : انـه رب السـموات ، ويسمى هـذا الجواب عدولا ، لأنه عدل به عن مطـابقة اللفظ الى مطابقة الحـق ، والحق أحق أن يتبع ، فهو فى هـذا كالجواب عن سؤال أربد بقـوله تعالى : (قل هو الله أحـد • اللـه الصمد) ولقـد أحسن الزمخشرى فيما أورده على مسألة فرعون فى هذه الآية الشريفة ، فقال ما نصه :

وأما ان يريد به أى شىء هو على الاطلاق ، تفتيشـا عن حقيقته الخاصة ، التى هى فوق العقول ، فتفتيش ما لا سبيل اليـه ، والسـائل متعنت غـير طالب للحق • انتهى •

فهذا القدر كاف من الجواب ، على الذات القدسية •

وأما فتح باب الكلام ، على صفاتها العلية ، فقول الحق ، وهـو مذهب أصحابنا أن صفاته على غير ذاته الأزليـة ، ولا ينكشـف هـذا

إلا بتجريد الذات المقدسة ، عن الصفات بالكلية ، فنقول فى وصفه تعالى مثلا : بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والارادة وغيرها من صفاته تعالى ، ليست بشىء زائد فى ذاته ، لئلا يلزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى غير ذاته ، فانه غير عالم وأوضح إلا بعلم هو غيره لئلا يكون مفتقرا الى غيره ، ومن كان مفتقرا الى غيره فليس بإلـه •

وإنا وان وصفناه بأنه عليم خبير ، سميع بصير ، فليس المعنى به زيادة الصفات فيه ، بل المراد به أن ذاته المقدسة كافية انكشاف حقائق الأشياء ، لها انكشافا تاما ، فهذه حقيقة صفته بالعلم ، كما أنها يتجلى لها كل مسموع تجليا تاما ، وهى حقيقة وصفه بالسمع والبصر ، وهكذا فى سائر الصفات ، فالذات واحدة ، والمتجليات كثيرة ، والمتجلى له بفتح اللام واحد •

وان كانت المتجليات كثيرة ، فان كثرتها لا تؤثر فى وحدانيته ، فقدرته سبحانه على المقدورات ، وعلمه بالمعلومات ، وسمعه بالمسموعات ، وبصره بالمرئيات ، كله فى الأصل بمعنى واحد ، لأنه بذاته ، ولا محل للتعداد فيها ، فهو يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع ، ويعلم بما به يبصر ، ويقدر بما به يعلم •

وهكذا فى سائرها ، ويكفيك فى هذا الموضع أن تقول فى الصفات انها أمور اعتبارية يراد بها نفى أضدادها من النقائص عنه سبحانه وتعالى •

فالحياة والعلم ، والقدرة والسمع والبصر ، والكلام والكرم ، والعزة والحلم ، ينفى عنه الأوصاف الناقصة من الموت والجهل والعجز ،

والصمم والعمى ، والخرس والبخل ، والذلة والطيش ، فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهكذا سائرها ، فان قال قائل : اذا ثبت هذا فهو أن يقتضى أن الصفة غير الموصوف بها ، وهو يستلزم أن يكون الله تعالى هو العلم والقدرة ، والحياة والسمع والبصر والارادة ، فيلزم تعدده وهو باطل •

فيقال له : إذا عرفت أن الله غنى فى الأزل بذاته ، عن أن يزيد فيها شىء من صفاته ، لم يلتبس عليك اذا قلنا انه حى مثلا أنا لم نرد بالحياة غيره ، فتعد صفة زائدة فيه ، وانما يزيد بها نفى الزوال ، والتغير والفناء عنه ، فمعنى الحياة له هو نفس وجوده لا غير ، وهذا لا يقتضى أن الحياة صفة زائدة على الذات ، ولا يلزم من هذا أن يقال هو الحياة •

فان أسماء الصفات قد ثبتت لمعانى آخر ، وهى أن تكثر الصفات ، وتعدد الأسماء أن ما كان الأمور اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود ، وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، لطفا من الله بعباده ، لكمال المعرفة به ، فان تجلى المعلومات من أعيان الوجود بمعنى انكشافها للذات ، لو سمى ارادة أو قدرة لما صح معنى ولا لغة ، فكذا تجلى المسموعات لها لا يسمى بصرا ، ولا تجلى المرئيات لها يسمى سمعا وهكذا فى سائرها ، ولا يشكل عليك كثرة تجليات أعيان المظاهر الموجب لتعدد الأسماء والصفات فى الظاهر ، فان نفس الذات المقدسة واحدة ، وهى مستغنية بذاتها عن الأكوان ، وتجلياتها وتأثرها وانفعالاتها غير قابلة للتعدد ، ولا النقص ، ولا المزيد فى شىء أبدا •

كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما كان عليه ، قد كان فى الأزل قديما ، ولم يزل سميعا بصيرا ، عليما حكيما ، قبل وجود

كل شيء لا تأثير للمظاهر فى صفة ذاته العلية ، بل هى على ما كانت عليه فى الأزلية ، والا كانت معه المظاهر قديمة وهو باطل •

وباعتبار أن ذاته القديمة الأزلية كافية عن مزيد الصفات عليها ، كما سبق بعلم أن الصفات أمور اعتبارية ، فلم يجز أن يقال فى حقه تعالى : ان الحياة ، ولا القدرة ولا السمع ، ولا البصر ولا الارادة وهكذا •

بل يقال : هو المريد القدير ، العلى الكبير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، فهى أسماء صفاته الواجبة لذاته بمعنى أنه فى ذاته كذلك ، وقد ظهر لك أن تنفى الصفات عن ذاته تعالى ، على طريق ما قدمناه يظهر سر التوحيد بشمس التفريد ، فيقال : انه سبحانه عليم لا يعلم هو نفسه ، فيلزم منه أن نفسه علم أو ثبوت علم فى نفسه ، وهذا باطل ، وبه تعلم أيضا أنه لا يصح أن يقال فى حقه تعالى : انه علم ولا قدرة ولا مشيئة وهكذا •

واذا بطل أن يقال : انه عليم بعلم هو نفسه ، فالقول أنه عالم بعلم هو غيره ، وقادر بقدرة هى سواه أو صح بطلانا ، اذ لابد له من أحد أمرين : اما القول بأنها حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل •

وأما القول بأنها قديمة معه ، وهذا يستلزم أن غير الله قديم ، واذا جاز أن يكون معه فى الأزل قديم غيره جاز أن يكون معه إله غيره ، وهو باطل ، فاثبات الأشعرية لله تعالى صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، لا مخرج له من هذا ، وبهذا تعلم أن الحق فيما قاله أصحابنا من تجريد الصفات ، اكتفاء بالذات المقدسة ، مع اتصافها بها ، كما سبق ، فيقولون : هو القادر المريد ، العليم الخبير ، السميع

البصير ، الشهيد لا بقدرة هى هو ، ولا بقدرة هى غيره ، وكذا فى سائرها ، فهو عليم لا بعلم ، بل هو عليم بذاته وهكذا فى الصفات من قولهم : هو عليم بذاته ، لا يزيد شيئا على وصف ذاته بأنها عليمة •

ومعنى قولهم : ذاته عليمة أى هو العليم لا بعلم هو هو ، ولا بعلم هو غيره ، بل هو العليم بذاته المقدسة كما سبق ، وقد وضح بهذا بطلان أن يقال فى ذاته انها علم أو قدرة ، أو اثبات أو مشيئة وهكذا •

وقولهم فى صفاته : انها عين ذاته ، لا يخالف هذا ، فليس مرادهم به إلا سلب الصفات عن ذاته مع اتصافها بها ، كما قررنا فقالوا : هى عين ذاته ، بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته أبدا ، وقد مضى من القول مكررا فيها للتوضيح ، ما يغنى عن المزيد ، فليراجع النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى المسمع وهو شهيد •

فان قلت : فكيف يصح فى ذاته العلية ، أن تسلب عنها صفاتها القدسية ، وكتاب الله ناطق بخلاف ذلك ، فهو ينادى على بطلان تلك المسالك ، فان فيه اثبات الصفات فى غير موضع ، كقوله تعالى : (ان العزة لله جميعا) (وان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) و (سبحان ربك رب العزة) (وله الكبرياء فى السموات والأرض) (وانما العلم عند الله) ؟

قلنا : هذا لا ينافى ما قاله أصحابنا فى هذه المسألة ، بل هو لهم أعظم شاهد وأوضح دليل فى الرد على المعاند •

فان قوله تعالى له العزة ، لا يزيد شيئا عن وصفه بأنه عزيز ، وذوا القوة فى معنى القوى ؛ وله الكبرياء بمعنى أنه الكبير ، فتأول

هذا الباب كله قريب المأخذ ، سهل التناول ، ولو جاز التعلق بظاهر هذه الألفاظ ، لاثبات صفة قديمة زائدة على الذات القديمة ، لجاز من قال بظواهر ألفاظها أن تقول أيضا : ان هذه الصفات محدثة من جنس المخلوقين ، بدليل قوله تعالى رب العزة ، فانه لا يجوز أن يكون ربا إلا لمخلوق محدث •

ويطلان هذا أظهر من أن يعتنى به ، فثبت ما قلناه ، فانظروا يا معاشر المسلمين فى هذا ، وفيما جاء فى مواضع من الآثار القديمة ، أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته ومشيئته وفى قول آخر هى اثباته ، فكان معول الجميع فيها على ما تقدر ، من أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته عين صفاته ، لكن باعتبارات قصرت عنها هذه العبارة ، ولم تدركها باشارة مع أن همزة التعدية فى لفظة اثباته ، لا معنى لها فى حقه تعالى ، فان إثباته من نفسه لنفسه محال ، فكيف به من غيره ، وانما يحتاج الموحد الى النفى والاثبات ، فى العقائد لدفع الشركاء والأضداد ، ونفى النقائص والأنداد ، كما هو فى لا إله إلا الله ، ولم يلد ولم يولد ، وإلا فالثابت لا يحتاج الى مثبت جل الله وعز •

ولو قيل : ذاته ثباته بغير همزة ، لكان أقرب الى ما أراده ، وعلى كل حال فهى على ما تراه من القصور ، والبعد عن ادراك حقائق الأمور ، فهى من الآثار المجملة التى لا تصح بظاهر لفظها ، وهاهنا نمسك أعنة الأقلام عن الجرى فى مضمار الكلام ، فان بحار التوحيد ، وشموس التفريد ، لا مطمع فى احصائها ، ولا سبيل الى استقصائها ، وانى من العوم فى بحارها ، لعلى مخافة من الغرق بأنوارها ، فكيف بحال ضعيف القوة ، الذى لا بصر له بالعوم اذا ألقى نفسه فى البحر الذى لا ساحل له ، ولا قعر ، إلا أن تأخذ بيده العناية ، فتنقذه بالهداية ، فانى لاجىء به ، وضارع اليه ، ومعول فى طلب الهدى

عليه ، سبحانه وتعالى لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، وهـو حسبى ونعم الوكيـل •

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سـيدنا محمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم •

*** مسـألة :**

ومنه : تفضـل علينا بشرح هذا الأثر : من عبد الاسم دون المعنى فقد كفـر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك فقد أحـال على غائب ، ومن عبد المعنى بعلم الحقيقة فهو مؤمن حقـا ، وحل مشـكله ، وفصـل مجمله مأجورا ؟

الجـواب :

ان كان معناه بالاسـم اللفظ المسمى به ، فاللفظ حروف مخلوقة ، وكلمة مصنوعة ، ومن اعتقد فى عبادته أنه يعبد هذا اللفظ المنطوق به ، حروفا مسموعة ، وأصواتا مصنوعة ، فقـد عبد غير المعبـود الواجب الوجود المستحق للعبادة ، والكفر بهذا واضح صريح ، لأنـه عبـد غير لله تعالى ، وهذا على غير حـد ما قاله أصحابنا : ان الاسـم هـو المسمى ، فان مرادهم به وجه آخـر يذكر فى موضعه •

وقوله : ومن عبد الاسم والمعنى ، فالعبادة فيه كمـا سبق أنـه اذا أشرك مع الله تعالى فى العبـادة شيئا ، يعتقد العبادة له معـه ، وهو الاسم المذكور ، فقد جعل المعبود له شيئين : هما الاسم والمسمى ، فقد أشرك مع المعبود غيره فى العبادة ، وهذا معنى قوله فقـد أشرك •

وأما قوله : ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فالظاهر يشبه

أنه مختل فى المعنى لو لم يصلحه بقوله ، لا بادراك ، فانه إذا لم يعبده بادراك المعرفة فقد أحال العبادة على ما لم يعرفه ، وهو الغائب عن ادراكه ، وكأنه عبر بالصفة هنا عن المسمى ، وهو غير سديد •

وقلنا : هذا باعتبار أنه اذا عبد الاسم وهو مدرك بالمعرفة ، أن الاسم غير المسمى ، وانما هو لفظ مخلوق ، فعمد الى عبادته بادراك المعرفة بحقيقته ، فقلاد تعمد لعبادة مخلوق دون الله تعالى ، وهو عالم بذلك فهذا أشرك •

وان عبد الاسم دون المسمى على غير ادراك المعرفة الحقيقية فيه ، وانما هو على معنى التأول أنه هو الرب المعبود ، وهو غير عارف بتمييز هذه المعانى ، وجعل هذه العبارات ، وكشف تلك الحقائق . فهذا متأول أو جاهل بالحقائق ، أراد الحق فأخطأ ، وأحال العبارة على غائب بجهله ، أى وضعها فى غير موضعها ، وأتى بها لغير من هى له ، فكأنما أحال الحق لغائب عنه ، ليس من أهله البتة ، وحكمه الكفر بذلك وان لم يصرح به هنا تنويعا لعبارة •

وهذا معنى قولنا : لو لم يصلحه بقوله لا بادراك ، فانه قد جعله قيدا أخرج به عنه من تعمد لعبادة غير الله تعالى فى علمه ، أو بعد قيام الحجة عليه من السماع ، أو من عقله ، فانه غير منفس له فى ذلك •

وقوله : من عبد المعنى بعلم الحقيقة ، أى عبد المسمى بالاسماء الحسنى ، والصفات العليا ، سبحانه وتعالى ، وكانت عبادته بمعرفة به بالحقيقة ، فهو المؤمن حقا ولو تنوع فى العبادة من جعله المعنى ، فهو معنى الاسم بلا شك ، ومرة قال : هو المسمى وهو واضح ، وطورا عبر عنه بالصفة لعله بارادة موصوفها ، فكأنه جعل الأسماء من أسماء الصفات

الدالة على مدلولها ، وهو المسمى ، وهذه أبعد من الوضوح كما سبق ، ويخرج معناها على هذا ، وكلها ترجع الى أصل واحد ، وتسقى بماء واحد ، ويفضل بعضها على بعض ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، فلينظر فيه ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وعلى المعنى من قول الشيخ أبى محمد : أنه اذا أمرنا الله تعالى بأمر ، وجب علينا التزامه وامتثاله ، إلا أن تدل على غير وجوبه قرينة أو مقدمة أو لاحقة ، وإلا فهو كذلك ، تفضل شيخنا أوضح لنا فى هذا مثالا نعرفه لنقس عليه ؟

الجواب :

الله أعلم ، وهذه مسألة من مسائل الكلام ، اختلف فيها الفقهاء والمتكلمون ، وأكثر قولهم أن الأمر على الوجوب ما لم تقم قرينة بعدم وجوبه ، لأن على العبد امتثال أمر سيده حتما واجبا كقوله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، (وأوفوا بعهد الله) ، (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) فان حصلت قرينة أن الأمر بها إباحى ، أخذ بها كقوله تعالى : (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) فقد علم أن ذلك كان ممنوعا من الصائم ، وقد نزلت الآية بالرخصة لا بالوجوب ، فالأمر على الاباحة معلوم بالقرينة لمقدمة تنسخ الحرمة ، ويلاحقه وجود الاباحة .

وكذا فى قوله : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) يعلم بقرينة أنه ليس أمرا بالمفترضات والشرائع ، وانما هو لمجرد الاباحة ، وكذا فى قوله تعالى : (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعلم بقرينة المقدمة من القصة المتنازع فيها ، وما لم تقم القرائن فهو على الوجوب ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : ويوجد من بعض الآثار قيل : انما يعبد الله من يعرف ما الله ، وأما من لم يعرف ما الله فانه يعبد غير الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك بالله ، ثم لا يدرك بعقد ضمير ، ولا باحاطة تفكير .

وقيل : من عبد الله بتوهم القلب فهو مشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فقد أحال على غائب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن ، تفضل علينا بين لنا صفة معرفة الله تعالى ، وما على العبد فى ذلك فى جميع ما تعبده الله به من الفرائض واللوازم ، وغير ذلك ، وخصوصا قليل العلم ، وما تأويل عبادات غير الله ، وما معنى من الله بتوهم القلب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة ؟

قال : أما قوله لا يعرف ما الله فهو غير صحيح ، ولا يجوز لأحد أن يدعى أنه يعرف ما الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك كما قالوه ، ومن عبده بتوهم القلب أى اذا توهمه القلب صورة يتخيلها فعند ذلك الخيال الوهمى ، وهو مشرك كما ذكره .

ومن عبد الاسم فقد أحال على غائب ، لأن حقيقة الاسم هى غير المسمى ، اذا أراد بالاسم نفس الكلمة والحروف المقطعة ، أو الصوت المسموع ، فهو غير الله تعالى ، ولهذا قال : قد أحال على غائب .

ومن عبده بحقيقة المعرفة ، أى عبد المسمى وهو الله تعالى بحقيقة معرفته فهو مؤمن ، وهذه معان يستغنى الضعيف عنها ما لم يخطر بباله شىء منها ، فيعتقد خلاف الحق فيها ، فلا يعذر وإلا فهو مؤمن بمعرفة الله ، والايمان به من دون بحث عن مثل هذه ، والله أعلم .

* مسـألة :

ومنه : نقلت من كتاب الشيخ القسيمى فى هذه الأسماء المستجازة ، ظنـا مع أهل الخـلاف لدين المسلمين المسمى بهـا سبحانه وتعالى ، كقولهم : خافض وقابض بالخـاء المعجمة ، ورافع ومـذل ، ووكيلى أنت يا وكيل وولى واجـد بالجيم المعجمة ، ويا نور ، ووالى وجامع ، وضار ونافع بغير تعليق منها ، أو شىء لها لشىء آخـر من المعـانى اللائقـة بها إن كان بعضها ما يدل على جواز تعليقها كغيرها مما ماثلها ، تفضـل دلنـا على الجـائز منهـا ؟

قال : هذه أسماء وصفة للرب تعالى ، ومختلف عند علمائنا أنهـا أسماء أم لا ، وفى بعض القول أنه لا يجـوز اطلاق القول فى التسمية له بالقابض والخافض والرافع والمذل ، والواجـد والوالى والنـور ، والجامع والمانع والضـار والنافع •

ولا أعلم فى الوكيل والولى إلا أنهما اسمان ، وكذلك النـور على الصحيح من القول ، وباقيهـا لوضعها سبحانه وتعالى وتجـريدها على العلائق جائز خلافا لمن منعـه ، والتقييد مفيد لرفع شبهة الاختـلاف ، ولكن فلابد من شرط آخـر يحسن التنبيه عليه ، وهو أن يكون الواصف سليم الفؤاد من محجـور الاعتقاد •

وعسى أن أزيدن شرحا آخـر ، وهو أن يكون عارفا بمعنى تلك الصفة المدعو بها ، على اعتقاد منه صحيح فيها ، والشرط الأول واجب ، والثانى مندوب ، لكن لشدة دعاوى التحريض ، على قريب من الوجوب ، لئلا يخـرج ذلك منـه على معنى العبث فيقول على الله تعالى بمـا لا يعلم •

وذلك ما لا يليق أن يبارز به أدنى ملك بكسر اللام ، فكيف به فى

الحضرة الالهيـة ، ولكل اسم أو صفة منهـا أغـوار وأسرار ، وحقائق ودقائق ، يتفاوت فيها الرجـال لسعة الفهم على سـبيل الاستعداد ، وكل ميسر لمـا خلق له ، وهذه التفرقة بين الاسم والصفة بناء على أن الأسماء توقيفية ، والا فكل الأسماء الالهية انما هى فى الأصـل صفات كمالية وجلالية أو جمالية ، ولا رابع لهـا إلا فى اسـم العلم الذاتى ، وتلك الصفات أيضا على اختلافها إما صفة ذاتية ، وإما صفة فعليـة ، ولا ثالث لذلك فيما قيل ، وليس هذا موضع بسط ذلك .

سؤال للشيخ الربانى سعيد بن خلفان الخليلى شعرا :

أيا شـيخنا نـور الجهـالة والعمى
ومن كان بالعـلم الشريف مكـرما

ومن للـورى أضحى ملاذا وملجـأ
ومهما ظـلام الجهـل فيهم تدلهمـا

أضـاء بنور بيهـر الشمس ضـوء
سعيد بن خلفـان الذى للعـلى سما

ومـاذا تقـول فى مقـالة ربنـا
فلمـا تجـلى ربه خـر فاعلمـا

فكيـف تجليـه وكيف ظهـوره
وكيف اندكاك الجبـل حيث تهـدما

وكلم ذو الملك العظـيم عبيـده
فكيف تـرى من ذى الجـلال التكلما

أفـدنى فانـى فى ظـلام مدلهـم
وأرجـوك أن تكشـف ظلاما مدلهمـا

ويا سـيدى هب لى جوابا مصرحـا
فانـك للظمـآن ماء من السـما

الجـواب :

مثـال تجـلى ربنـا مثل قـوله
تعـالى وجـاء الـرب مع ملك السما

ومثـل أتاهـم حيـث لا يحسـبونه
لحـرب النظـير من يهـود بهم عمـا

بمعنى أتاهـم بأسـه وكـذلكم
تجـلى عليـه أمـره فتهـدما

وليس تجليـه يفيـد انكشـافه
بـذات له جـل الإلـه وكـرما

وأما كـلام اللـه للعبـد فاقتبس
حقـائقه من قول خالقنـا ومـا

بشـر قـد كلم الله جهـرة
ولـكن يوحـى أو حجـاب له عمـى

كمـا قد أكـن النطق فى العوسج الذى
بـه كلم العبـد الكليم وألهمـا

فكانت حجـابا فى الخطـا ومظهـرا
بنفس كـلام اللـه يا صـاح فافهما

*** مسألة :**

ومنه : الغزالى نفى المثل وأبقى المثال ، فقال بالرؤية محتجا بالمثال ، من جبريل فى صورة دحية ، ورؤيا المنام من النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قال : هذا رجل قاس الله بالملائكة ، وهذا باطل ، والله لا يقاس بشىء ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، فان كان الروح لا يمكن رؤيتها ، ولا أن تتقاس وتتشكل فكيف خالقها .

الثانى : يمنعه ظاهر القرآن : (لا تدركه الأبصار) فان كان الادراك الاحاطة ، فالاحاطة بالشر غير ممكنة ، فكيف هذا التمدح ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال فى : (الرحمن على العرش استوى) أن يكون الاستواء على ظاهره ، وانما المستوى هو المثال ، وهو المعبر عنه بالله ، وكذلك فى القول فى : (يوم يكشف عن ساق) فلا غرو حينئذ أنه موصوف باليد والرجل ، والعين والتشكيل ، وهذا باطل فكيف للغزالى بتأويل خلق الله آدم على صورته ، فالاضطراب ظاهر ، ولذلك مفهوم قول ابن الفارض كما قال الغزالى .

الثالث : هذا المثال هو شىء خلقه الله أم هو خالق ، فان كان شيئا خلقه الله فتجلى ، فهل يجوز أن يعتقد فى هذا المخلوق أنه الخالق ، وان كان غير مخلوق فكيف سماه مثالا ، ولم يقل هو ذات الله على الحقيقة ، فبهذه الأقيسة ينكشف التلبيس ان شاء الله والسلام .

ومن كلامه رضوان الله عليه :

سبحانه من ليس يدرك ذاته
نظرا بعين للذوات مكيفه

خلق العقول لتهتدى بصفاته
للذات كى للذات قد ينهى الصفه

يا من يقول برؤية المولى الذى
قد جل عن أبصارنا المتكلفه

مهلا هديت دع المراء على الهدى
واخلع بهيمى الصفات المتلفه

والبس صفات مقدس ملكية
تكسى من الأنوار أصفى ملحفه

من همه التجريد فى طلب الهدى
لما ردى التجريد كان مخوفه

فسما بمبلغ نور عقل بالغ
أفق السما وسما لاسمى مزلفه

لم ترتض التقليد دون تحقق
إلا لرسل الله تتلوا مصحفه

فلئن تكن من هؤلاء مهذبا
طاب الخطاب مبرهنا عن معرفه

وان أطرحت العقل خلقك معرضا
عن شاهد العقل الذى لن يخلفه

فعديم نور العقل غير مخاطب
إذ قد تشبه بالحمير الموكفه

ولقد أقـــول لمن تكامـــل عقـــــله
اســـمع براهينـــا أنت لك منعمـــه

يا معنـــوى خـــذ البيـــــان مطـــابقا
للآى بالتأويـــل عمـــن عـــــرفه

فارجـــع الى آى الكتـــــــاب فانـــه
قـــول ســـديد ليس فيـــه زخـــرفه

لا تعص فى معنى ولا لفـــظ بـــــه
فتقـــوم بالتكميـــل يا من أنصـــفه

ان كان فى الآيـــات ناظـــرة كمـــــا
قالـــوا فهـــل فى الآى ذكـــر البلكفه

وعـــن النبى رووا تـــرون إلهـــكم
كالبـــدر لا غيم عليـــه اســـتكنفه

أترى مقالهـــم بـــلا كيف ســـــوى
افـــك يـــراد لقـــائس ما أســـخفه

لو كان منظـــــورا وغـــــير مكيف
لنفى الالـــه المكيف اذ أبقـــى الصـــفه

فعـــلام تأنف أن تكـــون مكيفـــــا
وهـــو الـــذى التكييف لـــن يستنكفه

اذ كل منظـــــور فـــــذاك مكيـــف
إلا فهـــات دلالـــة عـــن معـــــرفه

من أبطـــــل التكييف هـــل أبقى لـــه
نظـــرا بعـــين نحـــوه منشـــــوفه

أما بـــلا نظـــــر ولا كيـــف لـــــه
أو قـــل برؤيـــــة صـــورة منكيفه

فالآى ما قالـــــت بـــــــلا كيـــف ولا
قال الرســـــول به فمـــن ذا أردفــــه

فانظـــر لنفســــــك ما تـــرى تشبيهه
أولـــى أم التقــــديس عن تلك الصــفه

فالآى بالتأويـــــــل قابـــلة عـــــــلى
أصـــــــل صحيح ليس فيـــه عجـــرفه

ولئـــــن تصـــــر مكابـــرا ومكاثـــرا
متهـــاترا بمقـــــــالة مســـــتهدفه

قـــم هـــات لـــى من بحر علمـــك حجة
تهدى الهـــدى ان لـــم تكن تكلفـــه

من نــــــور عقـــــل أو قيـــاس تفلسف
أو راســـخ فى الشـــرع أو متصـــوفه

إنى لـــــذو عقـــــل ربيـــط ثاقـــــب
متــــــذرب بشـــــريعة وبفلســـــفه

وطريقـــــة ممـــــدودة بحقيقـــــة
لــــنور أعـــلام العـــلوم مكشـــفه

عندى لكل مخاطب كخطابه
لجوابه برهان صدق المعرفه

يا من تفلسف كى يخلص نفسه
من سجن هاوية الكثيف المتلفه

اسمع هديت مقدمات قياسنا
فاستنسخ البرهان عنه منصفه

أنى ترى فمن يرى من لم يكن
عرش ولا فرش له مستكنفه

من كان فى كل المكان وما له
أبدا مكان كان فيه مزلفه

من لا يرى أجفانه أيرى الذى
أدنى له من عينه اذا زلفه

أدركت بالكلى والجرى أم
لجواهر أعراضها متخلفه

أم مدرك للجنس أم للنوم أم
فصل بقول شارح قد صرفه

أم كان منظورا بلا ماهية
أبنية حيثية متكلفه

كمية متوية محدودة
بتحيز عن وجهة متعرفه

المـــدركات الخمس من ســـــمع ومن
بصـــر ومن شـــم ومن ذوق الشـــفه

واللمســـ كل باطـــل فى حقيـــــه
قل لى فمـــا هذا المجـــادل من خرفه

هـــل فصـــله أوجبـــت أم هل وصـــلة
هـــــل أدركتـــه النظـــرة المتشوفه

ان قلـــت رؤيتـــه مخالفـــــة لـــذا
قـــم فأت بالبرهـــان حتى نعـــرفه

أو قلـــت قـــال اللـــه هـــــذا ناظـــر
شرفـــا وذلك وراجحـــــا أوقفـــــه

فأقـــول هـــذا القـــول يفهمـــه امـــرؤ
من أهـــله قـــد ذاق منـــه مرقفـــه

متجـــرد متفـــــرد بعنـــــــناية
أنس الوجـــــود من الشهود فخلفه

فى حضـــرة قدســـــية انســـــية
حبيـــــة قريبـــــة متزلفـــــــه

قد زاحـــم الأمـــلاك فى أفلاكهـــــا
فى مقعـــد الصدق الذى ما ألطفـــــه

فالوجـــه منـــــه ناظر بشـــــهوده
حـــق اليقـــين لـــذى كمال المعـــرفه

بلغ العيـــان بغـــير عين بل لــــه
كمـل الكمـال الكامـل ما أعـــرفه

بالـــذوق أهـل الشـوق تعـرفه فذق
فاشرب والا فاســأل المتصـــوفه

او كان مقطــــوع الشـــهود بـــداره
الأخرى لأودى بالغمــوم المدنفـــــه

ولمـن يـكون عـن الشـــهود بمعـــزل
فهـــو الحجــاب له فـــدع من كيفه

جهــلوا وربــك ربهــم وتنصــلوا
عن عقلهــم وتســتروا بالبلكفــه

حجبـــوا بدنياهـــم وأخـراهم عــن
المولى بأســـتار الضــلال المسـدقه

ولئن جهـــلت الآى ما تأويلهـــــا
بالحــق فالكشـــاف ذلك كشـــفه

فيــه براهـــين اليقـــين تقومـــت
لا شيء منهـا عن هـدى متحــــرفه

فانظــر اليـــــه واقتبس أنــــواره
واســـمع هــــداه واسمع ما أسلفه

اللـــه أكبر بالشــــيخ زمخشـــــر
ته بين أربـــاب العلى بالمعـــــرفه

فلأنت بــدر فى ســماء بلاغــــة
لا مطمــع لمعارض أن يخســفه

منى الســـلام على امرىء طلب الهدى
لخـــلاص نفس من ردى متخــوفه

* مســألة :

عن الشيخ العالم سلطان بن محمد البطاشى :

باســم الله والحمد لله ، وصلى الله على رسوله وآله وسلم .

وبعد : فالمثبتون لرؤية البــارى ، والنافــون لها كلهم يحتجــون بقوله تعالى : (ولكن انظر الى الجبــل فان استقر مكانه فسوف ترانى) على اختــلاف بينهم فى التأويل .

فقال المثبتون : انه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل ، وهو أمر ممكن والمعلق بالممكن ممكن .

وقال النــافون : انه سبحانه وتعالى علق لرؤية استقرار الجبــل حــالة التجلى ، وهو محال ، والمحــال بالمحال محال .

قلت : وجه استدلال المثبتين أنهم نظروا الى استقرار الجبــل من حيث هو هو فجعلوه ممكنا ، ووجــه استدلال النافين أنهم نظروا الى استقرار الجبل حالة التجلى ، فجعلوه حالا ، ولا يخفى على من سلك طريقه الانصــاف ، ولم يركب متن الاعتســاف ، أنه سبحانه لو أراد امكان الاستقرار لمــا أتى بعده بقرينة التجلى ، الذى يستحيل معــه الثبوت والقرار ، ولجاء بالكلام على وتــيرة واحدة ، كأن يقــول : فلما نظر الى الجبل اندك ، ولكنه أتى بقرينة التجلى اللاحقــة للدلالة

على أنه مـراد منظور اليه فى الآية السـابقة ، فيكون التقدير فيها ، ولكن انظر الى الجبل حـالة تجـلى رب العـزة له هل يثبت أم لا ؟ فان ثبت مكانه فسوف ترانى •

وكذلك يتصـل الكلام ويتلاءم ، ويأخـذ بعضه بحجزة بعض ، فيكون من باب التعليق بالمحال ، والا تفكك الكلام وتنافر ، فلم يكن بين الاسـتدلال وبين التجلى طباق ، وخـرج النظـم عن الالتئـام والاتساق ، فليذق كل ذى ذوق سليم • شعرا :

ومن بيـك ذا فـم مـر مريض
يجـد مـرا بـه المـاء الـزلال

غـيره :

وكم من عائـب قـولا صحيحـا
وافتـه من الفهـم السـقيم

والله بكل شىء عليم •

* مسـألة :

وعنه : قال رحمه الله : عندى أن قوله : وما ذاته الا صـورته ، وليس له صورة كلام لا يجـوز يخرج منه على المولى الجليـل معنى التعطيل ، لأن تفسـير ذاته بصورته ، مع نفى الصورة عنه ينتج نفى الذات أى ذاته صـورته ، ولا صـورة له ، ولا ذات ، والله أعلم •

وقد عهدتك كثير السؤالات عن دقائق الأمور خاصة فيما يتعـلق بالبارى سبحانه وتعالى ، فاياك وامعان النظر فى تدقيق ذلك ، فانـه مخطر جدا ، وقد جـاء فى الحديث أو الأثر : « تفكروا فى الخـلق ولا تتفكروا فى الخالق » فاحسم خواطر بالك مثل ذلك ، خـوفا أن تودى بك سلمك الله الى شىء من المهالك • رجع الى كتاب التمهيد •

*** مسألة :**

ومما يوجد فى كتاب الأحياء فى التوحيد يقول : وانه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا وبالأبرار ، فى دار القرار ، واتماما منه للنعيم باللنظر الى وجهه الكريم ، هذا الكلام يوافق أم لا ؟

نعم : هو موافق لمذهبهم السقيم ، وأما عند أهل الحق فلا يستقيم •

*** مسألة :**

ومنه : ومن كلامه : وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا صوت ولا حرف ، كما ترى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، ما تقول فى هذا الكلام عرفنى وجه الحق ؟

الجواب :

هو كما سبق •

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فى رجل تتصور له ذات الله تعالى فى قلبه ، ماذا يفعل هذا الرجل أيكفيه الاستغفار ؟ واذا عارضه مثل هذا يكون يرد نفسه وينزه مولاه عن التشبيه ، أم لا ؟ أم كيف يفعل ، علمنا مما علمك الله ، نسأل الله السلامة لنا ولك ؟

الجواب :

يكفيه أن يكره ذلك بقلبه ، وأن يعتقد أن الله منزه عنه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وما يوجد فى كتب القوم اثبات رؤية البارى ، فكيف يكون اعتقاد القارىء عند قراءته اياها عند الناس ؟

الجـواب :

يعتقد باطلهـا وعـدم حقهـا ، ومنع جـوازها ، وأما قراءتهـا مع الناس ، حيث لا يخاف الفتنة منها عليهم ، فجائز ولا سيما ان كان لغرض يبيح ذلك ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

ومنه : ومما عن قومنا : ولا يكلف العبد ما ليس فى وسعه ، سواء كان ممتنعا فى نفسه أى محالا فى العقل لجميع الضـدين ، أو ممكنا فى نفسه لكن يمتنع بالنسبة الى العبد كخلق الجسم •

وأما ما يمتنع بناء على الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كأيمان الكافر ، وطاعة العاصى ، فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر عليه الى نفسه ، ثم عـدم التكليف مما ليس فى الواسـع متفق عليه ، لقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسـا الا وسـعها) والأمر للملائكة فى قوله : (ايتونى بأسماء هؤلاء) للتعجيز دون التكليف •

وقوله تعالى حكاية : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـا به) ليس المراد بالتحميل هو التكليف ، بل ايصـال ما لا يطـاق من العوارض اليهم ، وانما النزاع فى الجواز فيمنعه المعتزله بناء على القبح العقلى ، وجوزه الأشـعرى ، لأنه لا يقبح من الله شىء . وقد يسـتدل بقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) على نفى الجواز ، وتقديره : أن لو كان جائزا لمـا لزم من فرض وقوعه محال ضرورة أن استحالة

اللازم توجب استحالة الملزوم ، تحقيقا لمعنى اللزوم ، لكنه لو وقع لزم كذب كتاب الله تعالى وهو محال ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أن الأليق فى صفة الله تعالى أن يقال : ان الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لا أنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صفات الله تعالى ، ولكن لأنه حكيم ، وليس من صفات الحكيم أن يكلف العبد فعل شىء يعلم أن عبده معه فى المستحيل فى قدرته كون فعله منه ، لأنه من العبث ، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث ، وعما ينافى صفات الحكيم ، فاعرف ذلك .

وقال أيضا فى موضع آخر : ان الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ومراده هذا لو عذب الطائع ، وأثاب العاصى ، لم يكن ذلك منه ظلما ، لأن الظالم هو المتعدى الى ما لا يجوز له ، ولا يجوز على الله تعالى واجبا عليه شىء ، فلا يلزمه شىء ، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولهذا مثال حيث أجاز الله للعباد ذبح ما يجوز أكله من الدواب مما لا يتعدى على الانسان بشىء ، نحو الغنم ، فترى العبد يكرم شاه بين الغنم ، ويترك الأخرى ، وقد تألفه أكثر التى ترك اكرامها ، ويذبح المطيعة ويترك العاصية التى ان دنا منها نطحته .

وحيث أجاز الله له ذلك ، لم يكن فى نظر العقل فى ذلك ظلما ولا جورا ، ولا خلافا للحكمة العدلة ، واذا كان هكذا للانسان ، فانما كان ذلك كذلك من حكم الله فى ذلك ، فالله قد فعل ما ذكره هذا فى الحيوان بحكمه ، فلو فعل هو كذلك بعذاب أهل طاعته ، وثواب أهل معصيته من العباد ، لم يكن منه ظلما لهم ، ولا فعلا قبيحا فيهم ، ولا منافية للحكمة العدلة فى تدبيره .

وكذلك لا معنى لقولنا : ولو فعل ذلك لأنه قد أجازه فى بعض الحيوان ، كما بين ولكنه لما أخبرنا أنه لا يعاقب المطيع ، ولا يثيب الكافر ، وأن حكمه أجراه فى خلقه من أطاعه له الثواب ، ومن كفر به فعليه العقاب ، كان من المستحيل فى وصفه أن يختلف ذلك ، وأن لا يكون ما أخبرنا أنه سيكون فاعرف ذلك .

وهذه المسألة أصلها من الممكن ، وواجب علمها بالسماع أولا ، وهى مما تقوم الحجة بمعرفة صحتها من العقل بعد السماع بذلك ، وهى التى خالفنا فيها أصحابنا رحمهم الله تعالى ، وسيأتى البيان فى ذلك ان شاء الله تعالى . انتهى .

قلت لشيخى وقرة عينى قدوينى أبى محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلى : ما تقول فيما أتى هنا عن قومنا ، وفى قول شيخنا العلامة ناصر بن أبى نبهان فى هذا ، فانه قد اشتبه علينا قوله الأول بالثانى لقلة علمنا ، وركاكة فهمنا ، والله نطلبه الاعانة والتوفيق ، تفضل أبن لنا ما هو الحق فى ذلك ؟

بيان :

وقد وجدنا شيخنا ما نصه ، هذا عن الشيخ الكدمى رحمه الله ، فلن يكلف الله العباد مما ألزمهم فى دينه الا ما بلغتهم الحجة به من أمره ونهيه ، لأنه شاء ذلك بفضله أن يعبد ببيان وأعذار وانذار ، ولو شاء غير ذلك كان ذلك منه عدلا كما كان هذا منه فضلا .

وتقول : أن لو عذب العباد على غير حجة ولا ابلاغ دعوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عدلا ، كما كان فى هذه المنن متفضلا ، ولكن شاء بفضله وكرمه أن يكون ما شاء من ذلك فكان ، فسبحان ذى الفضل والامتنان ، والجود والاحسان . انتهى .

قال : ان قول الشيخ ناصر بن أبى نبهان فى هـذه المسـألة ، هو عين قول الشيخ الكدمى فيها ، وكلامه فيها أولا وآخرا كله كلام محكم جار على نهج واحـد ، وأسلوب مستقيم ، فلا غبار عليه فيه أبدا ، لأنه قال فى أول المسألة : ان الاليق فى صـفة الله تعالى أن يقـال : الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لأنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صـفات الله تعالى ، وهـذا معنى قوله فى الأخير : إن الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ، وهو معنى قول الشيخ أبى سعيد لو عذب العباد على غير حجة ، ولا ابلاغ دعوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عادلا ، والله أعلم فليتأمل •

قلت له : وهل يصح عندك ما قالته المعتزلة فى هـذا ، فيعـذر أبا حسنا ، وهل يؤيد ما عنهم فيه قول بعض أصحابنا ، أن معانى الوعد والوعيد تقوم بها الحجة من العقل ، اذا ذكرت أو بالبال خطرت أم لا ؟ فتفضـل ببيانه مفصـلا جزاك الله خيرا ؟

قال : الله أعـلم ، وأنا لم يبن لى ما ذكرت من القول ، أم أن القول بأن الوعد والوعيد تقوم بهما الحجة من العقل أنه خـارج على معنى قول المعتزلة ، ولا أعرف ما وجـه ذلك ، وكفى بهذا الجـواب مسألتك ، لكن عسى أن أزيدك ما يمكن أن يفيدك من معانى هـذه المسألة العظيمة الشأن ، المحتاجة الى البيان •

فأقول : ان أصل النظر فيها من وجهين ، لأن مدارها على قطبين ، وهما الحقيقة والشريعة ، ولكل منهما فى الاعتقاد مدخل ، وفى الحـكم موضع ، وللقول مساغ ، وكلامها فى الحق له أصـل ، وفى الحـكم له فرع ، فأما من تكلم فى الحقيقة وبنى الحـكم على أحـكام الحقائق قال فيها ما ذكرناه عن الشيخين الكدمى والخروصى ، المشار اليهما فى هـذا الجواب المذكور آنفا ، وهو فى حق بابه غير خارج من صـوابه ، فهو كقول عيسى عليه السلام : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحـكيم) •

قيل : لم يقل انك الغفور الرحيم ، لأنهم ليسوا ممن يستحق الرحمة ، ولا يستأهل المغفرة ، لاصرارهم على الشرك ، ومجاهرتهم بالكفر ، لكنه بحسب استغراقه فى مشاهدة جلال الله وعظمته وكبريائه ، قال ذلك بمعنى أنك لو غفرت لهم ، وان كانوا غير مستأهلين فان ذلك لا يقدح فى حكمتك ، ولا ينقص من عزتك ، فانك قادر على كل شىء حكيم فى كل حالة غير مغلوب ولا مقهور ، فلا تحكم عليك فيما تفعله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

ومن مثل هذه الآيات العظيمة ، والمعانى البديعة ، اقتبس شيخنا الكدمى جزاه الله خيرا القول بأنه لو أثاب العاصى ، أو عاقب المطيع ، لم يكن ذلك منه ظلما ، وتبعه على ذلك الشيخ ناصر بن أبى نبهان جزاهما الله خيرا ، وأما من نظر فى الأصول الشرعية ، بحسب القواعد الفقهية ، وبنى الجواب على الأحكام الظاهرية .

قال : ان الله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه ، وتقدس عن أخذ العباد بغير ما يستأهلون من العقوبة فى حكم الظاهر ، وقد نفى ذلك عن نفسه ، وتبرأ منه لأنه فى صورة الظلم ، وان كان مقتضى الحقيقة غيره ، فان حكم الظاهر يسجل على كونه ظلما ، ويجوز اطلاقه فى التسمية كذلك بحسب المشروعية ، وأى محاذرة من ذلك بعد ما أخبر الله عن نفسه أنه لا يفعله ، وأنه ظلم لو فعله ، قد أخبر الله عن نفسه فى غير موضع عن كتابه .

قال تعالى : (ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) فأخبر أن العقاب بما قدمته الأيدى من العباد ، وأنه لم يعذبه بغير استحقاق ، ولا جازاهم بغير ذنب ، وقد بالغ فى نفى ذلك عنه بقوله : (ان الله ليس بظلام للعبيد) فدل بمعناه بما لا

يشك فيه عاقل له أدنى معرفة بأسلوب الكلام أن لو عاقب بغير ذنب ، كان ذلك ظلما والا فلا ، معنى لذكر الظلم ونفيه عن نفسه هاهنا البتة .

ومثلها قوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) تفيد أن اهلاك أهل القرى المصلحين ظلم ، والله منزه ، والا فلا معنى لقوله : (بظلم) وهو يعلم أنه غير ظالم لو فعله ، لكن من عظيم لطفه ، وجميل عدله ، سماه ظلما أن لو كان منه ، ولا يكون ذلك منه قطعا .

قال الله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (أم نجعل المتقين كالفجار) وفى الحديث ، عن النبى صلى الله عيه وسلم فيما يخبر به عن ربه تعالى : « أيحسب راعى ابل وغنم حتى اذا جنه الليل أوى الى فراشه ، وانجدل أن أجعله كمن بيبيت لى ساجدا ، أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وأنا الحكم العدل » فان الآيات متظاهرة ، والأحاديث متظافرة على أن التسوية بين المسلم والمجرم ، والتقى والفاجر ، والشقى والسعيد ، ليست من العدل فى شىء ، وان عقوبة المطيع ظلم ينزه الله عنه .

كما أن ثواب العاصى والقول به غرور محض ، وأمانى نفوس كاذبة ، يجب تنزيه الله عنها ، ففى الحديث : « أن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز ممن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ، فالمعتزلة قولهم فى هذه المسألة بهذا ، ولا خلاف بيننا وبينهم فيها ، وان وجدت تلك العبادة عن الشيخ أبى سعيد ، فانه من باب اطراد القول على معنى الحقيقة ، وليس بمذهب ، فان كتبه مشحونة ، وآثاره جزاه الله خيرا مصرحة بهذا فى غير موضع ، بأنه مما تقوم به حجة العقل ثواب المطيع ، وعقوبة العاصى .

وأن الله تعالى لا يكلف العباد غير ما فى وسعهم ، وأنه لا يجوز عليه عقوبة المطيع ، ولا ثواب الكافر ، لأنه ليس من العـدل ، وما خرج عن هـذا فهو من باب التقدير والتصوير ، أن لو كان ذلك ، ولكنـه بالقطع لا يكون ، لأن الله قد أخبرنا بهذا عن نفسه •

*** مسـألة :**

ومنـه : أيجوز أن يقال : ان الله يرزق الحرام أم لا ؟

الجـواب :

قـد قيل : ان الحلال والحرام كله فى الأصـل من رزق الله ، كما أنه من خلقه ، وهل من رازق غير الله ، ولكن يمنع أن يقال : ان الله يرزق الحرام لأنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يسمى أو يوصـف بغير الأسماء الحسنى ، والصـفات الجليلة بدلالة قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا وزروا الذين يلحدون فى أسمائه) ومن الالحاد فى أسمائه أن يوصـف بقبيح أو يسمى به ، وكل مستقذر فى العقل والطبع ، فالله تعالى منزه عنه ، فلا يقال : انه أزنى ولا أسرق ولا أربى ولا أفسد ، ولا رزق الحرام ، ولا دبر الظلم فى الأرض •

كما لا تضـاف أسماؤه الى شىء من القاذورات ، فلا يقـال : يا خـالق البول والغائط ، لا يدعى بذلك ولا يسـمى به ، اذ ليس من المستحسن بأن يدعى أنه خالق القبيح ، ولا يوصـف بأنه فاعل الشر ، ولا يسمى بأنه مقدر الفحشاء والمنكر ، ولا أمر بهما ، ولا رضـيهما ، ولا أحبهمـا ولا اختارهما ، لأن الله لا يحب الفساد ، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر ، وهو لا شـك أنه خالق السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن ، فكل شىء من خلقه ، وكل حسن أو قبيح ، فهـو شىء والشىء

فى الوجود سواه ، الا وهو من خلقه ولا يصل اليها شىء من النفع الا وهو من رزقه فهو بالنسبة اليه حسن ، وانما الحلال والحرام من الطوارىء الحكمية المتعبد بها ، فقد يكون الحلال حراما فى حق المتعبد بحرمته دون الآخر ، وكله من رزق الله ، وانما يعذب بأحكامه ، ويعاقب على عصيانه ، وانتهاك أوامره ، وتعدى حدوده لا على رزقه ، ولا بسبب خلقه ولا بجور منه ، ولا بفساد ولا ظلم ، وما ربك بظلام للعبيد •

فانظر يا أخى كيف منع شرعا ما هو حق فى الحقيقة ، وانما ضرب دونه حجاب الآداب ، واعترض على طريقه سد الاحترام لمقام ذى العزة والجلالة أن يتفوه لسان بما لا يحسن فى صفاته ، ولا يعذب فى أسمائه وأفعاله دلالة على عظم جلاله ، وتنويها لكمال صفات جماله ، واظهارا لتقديس أسمائه وتنزيه كماله ، فليقف كل ذى عقل عندما أبيح له من القول غير متجاوز الى ما جاز فى الاعتقاد أن يعلم وجوبا أنه منه وعنه سبحانه ، فلا بد من طريقتين ، لمن رام الحقيقتين •

فالحقيقة تنادى بلسان حالها ، أن من كمال الايمان أن تؤمن بالقدرن كله ، خيره وشره ، أى تعلم أنه من الله وعن الله ، اذ لا محرك فى الحقيقة ولا مسكن سواه ، بل اذا اعتبرت الأصل ، وكشف لك الغطاء ، اضمحلت عند ذلك الآثار فى الشهود ، ولم يبق غير المؤثر فى الوجود ، فلا صادر ولا وارد ، ولا ساكن ولا متحرك ، ولا قبيح ولا حسن ، ولا شدة ولا رخاء •

وانما هى ضمائر أسرار ، ومظاهر أنوار ، يتجلى فيها للمبصرين من غرائب التوحيد ، ما يبهر العقول ، فلا بد من أن يربط عليها ، فتقاد بسلاسل الشريعة اليها ، فلا يجوز التعدى عن ظاهر ما أبيح فيها من قول أو فعل فافهم الفرق بينهما ، وتأدب فى مجالس الشريعة

بحدودها ، وتنعم من كؤوس الحقيقة بشهودها ، واعرف قـد ما صار اليك ، وانظر فيـه لتعمل بعـدله ، فقـد وافتك بديهة من دون رؤية ولا التفات الى تنظيم الألفاظ ، فى قوالب السبك بميزان البلاغة والحمد لله رب العالمين •

*** مسـألة :**

ومنـه : وما قولك يا شيخنا فيمن سمع ثقـة أو غير ثقة يقول : ان الاله سبحانه اسمه الله ، أو اسـمه الرحمن أو الرحيم ، أو الكريم أو الغفور ، أو الودود أو الحميد أو المجيد أو الحـكيم أو المنان أو حنان أو غير ذلك من أسمائه ، سبحانه وتعالى ، فشك فى ذلك أيسعه ذلك ، اذا كان لا عـلم له به من قبـل بذلك أم لا يسـعه ، وهل فى ذلك اختلاف تفضـل ببيانه مأجورا ؟

الجـواب :

قـد قيل انه اذا عرف الله تعالى بما يوحـده به من أى معنى ، أو صـفة كان فلا يضيق عليه عـدم معرفة الأسـماء ، ولو سـمع الأعجمى مثلا اسم الله من مائة ألف أو يزيدون من الثقات أو العلماء ، وهو لا يفهم ما يقولون ، لم يكن ذلك حجة عليه •

وكذلك غير الأعجمى اذا كان مؤمنا بدونه ، ولم تقم عليه الحجـة بمعرفته من كتاب الله تعالى ، فهو سالم ما لم تقم عليه الحجة به ، على سبيل ما تقوم به الحجـة فى الفتيـا فى باب المسـموعات ، على ما صرح به الأثر ، وكفى ، والله أعلم فلينظر فيه •

*** مسـألة :**

ومما عن الشيخ ناصر بن أبى نبهان فنقول وبالله التوفيق : انـه

لا يلزم أحـد أمر المتعبدين واجب فى شىء قبل أن تنزل عليه بليته ، التعبد بوجوب آدائه من اعتقاد أو قول أو فعل ، أو ترك مع أن القول من الأفعال ، فهى ثلاثة أصـول ، وفى الاعتقاد مما تقوم به الحجـة بمجرد العقل ، أو مما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه ، أو ممـا لا تقوم بوجوبه الا بالسماع ، فذلك ثلاثة أقسام •

وما تقوم الحجة بوجوبه من الاعتقاد ، بمجرد العقل متى خطر بالبال معرفة وجود الله ، أو معرفة صـفة من صـفاته ، بعد معرفة وجوده واجبة له ، فيصـفه بهـا ، أو صفة مستحيلة عليه ، أو معرفة صـفة جائزة فذلك على ثلاثة أقسام أيضـا •

وما تقوم الحجة بوجوبه من العقل بعد سماعه من الرسل مجملا ، والكتب من الله على الاجمال ، والبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، والملائكة وكل ما يلزم المتعبد الايمان به ، مما تقوم الحجة بوجوبه من حجة العقل بعد سماعه ، وهـذا القسم على معنى قولنا فيه هـذا هو على خلاف ما ورد فيه عن أصحابنا ، وما لا تقوم به الحجة الا بالسماع منـه اعتقـاد كاعتقاد نبى معين ، أو ولاية ولى معين ، أو البراءة من عـدو معين ، وما أشبه ذلك •

ومنها : فعل كالصـلوات المكتوبات ، والطهارة لها ، والوضوء ، وصـوم شـهر رمضـان ، والزكاة والحج على من لزمه شىء •

ومنهـا : ترك المحرمات ، ومن ورائهـا الوسائل الغير الواجبـة ، وسيأتى بيان ذلك فى الكتاب ان شاء الله تعالى ، فهـذه أقسام أحوال الدين فى اللزوم ، والعـذر من بعدها أقسام أخرى لهذه الأقسـام ، وتتفرع أقساما ووجوها وأنواعا ، وصـورا الى ما لا يحصى ، ولا ينتهى لهـا استقصـاء •

وبالجملة فلا يمكن أن يجب على عبد الله شيء ، ولم يعرف الله تعالى ، ومن عرف الله وجبت عليه طاعته ، فصح أنه أول واجب على متعبد معرفة الله تعالى ، مهما نزلت عليه بلية التعبد ، بمعرفته من واجب له فيصفه بالوجه الحق فى ذلك ، والتوحيد كله مما تقوم به الحجة بوجوب كل شيء منه ، بمجرد العقل السليم ، متى خطر بباله معرفته بشيء مما ذكرناه من الأقسام الثلاثة ، أو القسمين الأولين : الواجب والمستحيل ، دون الجائز ، فاذا فهم المعنى فى ذلك منهما ، فهما تامان وجب أن يصفه كما وجب عليه ، ولا ينفس عليه فى الشك مع الاعتقاد .

وأما معرفة ما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه على رأينا ، فيلزمه متى سمع بذلك من كل معبر عبر له ذلك ، لأن العقل قابل لثبوت صحة ذلك .

وأما ما لا تقوم الحجة بوجوبه الا بالسماع ، فكرسول معين وشريعته مما لا تقوم الحجة بوجوبه منها الا بالسماع ، فمتى قامت عليه الحجة بوجوب الايمان بذلك الرسول ، وجب عليه حجة الايمان ، ولم يصر مؤمنا بالله بعد ما كان مؤمنا حكمه بايمانه بالله ، واعتقاد الواجب له ، ونفى المستحيل عنه ، واعتقاد الطاعة له ، وأداء كل واجب عليه لله تعالى ، وايمانه بالقسم الثانى الاعتقادى ، الا أن يؤمن بهذا الرسول الذى قامت عليه الحجة ، بوجوب الايمان به ، ويصير مشركا لذلك الرسول ، والحجة قيل : تقوم عليه فى ذلك بكل معبر ، وقيل : لا تقوم الا بمن يكون ورعا فى دينه وقيل : بأمينين ، ولا يجوز الاختلاف فى العدلين ، ولكنى أحب بالعدلين فى قيام الحجة بوجوب الايمان فى غير رسول أرسل لا لغير أهل زمانه ، وأما فى رسول أهل زمانه فبأمينين ، يلزمه هذا اذا لم يشهر معه ذلك فى الوجهين ، فاعرف ذلك . انتهى .

قال الشيخ الخليلى رحمة الله عليـه : هـذا كله فيما معى غير خارج من الصـواب ، وان خالف فى بعض هذه المسألة أكثر أصحابنا ، فليس هو موضـع دين ولا بأس به ، والله أعـلم •

ومما قاله الشيخ ناصر بن أبى نبهان : على أثر ما عن قومـه فى الرؤية ، ولقد شاهدت رجلا من أصحابنا ممن انكب على قراءة كتاب الكشاف ، تفسير الزمخشرى للقرآن العظيم ، الذى فاق فى العالم على كل تفسير ، مما أورده فيه من الحـق المبين . لا فيما خالف فيه الدين القويم ، والصراط المستقيم ، ورأى فيه تفسير قوله تعالى : (قال رب أرنى أنظر اليك) حين قال له قومـه : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أن النبى موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه ذاته ، كذلك أراد من ربه فى الظاهر لا فى الباطن من ضميره ، وأنه جـاز له ذلك مسامحة لقومه ، فاضطره الأمـر الى اجازة ذلك له ، لأنه عليـه أن ينقذهم من الهلاك الدنياوى عن هلاك أنفسـهم ، فكيف لا يكون عليه أن ينقذهم من الهـلاك الأبدى ، فيرخص بذلك ، أو لزمته اجابتهم الى ما أرادوا منه فى شرط ايمانهم به ، وجاز له لأنه يعـلم أن الله تعالى لا ترى ذاته ، فاعتقاده أن ذاته لا ترى ، ومعرفته بربه أنه كـذلك كافيه ، ومخيرة له أن لا يسأل الله أن يريه ذاته ، ويكون كذلك مراده حقيقة فى الباطن •

ومعى أن هـذا من الظلم العظيم ، والافك المبين ، فى وصـف النبى موسى عليه السلام ، فى ارادته ومطلبه من ربه ، بما يعلم أنه من المستحيل فى وصـفه ، الذى ، يجوز أن يوصـف به ، أو بما اعتقده أنه لا يجوز أن يوصف الله بذلك أنه شىء مرئى ، وأن هـذا كفر فيسأل الله بقصـد قلبه ، واعتقاده وضميره أن يريه ذاته ، وهو معـه أن الرؤية من خلقه مستحيلة ، وطلبه بما هو مستحيل منه كفرا ليس هذا من التناقض لمعرفته واعتقاده ، مع أن معرفة الله بصـفاته الحق مع

القول بما لا يجوز فى الله الصفات ، لا تنفع تلك المعرفة ، لأن المشركين يعرفون الله ويعرفون رسوله أنه رسول الله كما يعرفون أبناءهم ولم تنفعهم تلك المعرفة ، ولم تخرجهم عن اسم ، ولا عن حكم الشرك والمشركين الا باقرار باللسان مع اعتقاده بالجنان •

ومعى أن اعتقاده ذلك فى النبى موسى عليه السلام ، أنه طلب الله تعالى ما هو كفر يطلبه اياه أن قصده حقيقة كما قصده قومه حقيقة لا مخرج له من الاثم ، لأن الله لم يصفه أنه طلب رؤية ذاته فى الباطن ، بل وصفه انه قال : (رب أرنى أنظر اليك) والنظر بالعين الى الله النظر الى آياته لقوله تعالى : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) فجعل البارى سبحانه وتعالى رؤيتنا بالعين الى مدة تعالى الظل هو رؤيتنا الى الله بالعين وبالعقل ، فصح أن النظر بالعين والرؤية الى الله هو النظر ، وهى الرؤية الى أفعاله سبحانه وتعالى ، ومعرفتنا صفاته التى هى حقيقة المعرفة به لا غير ذلك ، بدليل الكتاب وبالسنة ، قول النبى صلى الله عليه وسلم : « العجز عن الادراك هو الادراك » ولم نعلم أن نبيا جاز أن يوصف أنه طلب من ربه بما هو كفر مطلبه مسامحة لقومه •

وقد قال الله تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولا ضرورة مكرهة للنبى موسى عليه السلام فى هذا الموضع ، فصح أنه لم يسأل ربه فى الباطن إلا ما هو جائز له أن يسأله ، وليس هو غير أن يريه أن ينظر الى ربه أنه يقطع طمع قومه ، عن طلب رؤية الذات ، فأتى لفظ سؤاله محتمل المعنيين ، مندوحة لقومه ، وتمويها عليهم ، حتى يظنوا أنه طلب ما أرادوه منه ، وفى باطنه طلب من ربه آية يراها هو وقومه ، وفيها قطع طمعهم عن طلب الرؤية ، فجاء الجواب : (لن ترانى) على ما سألك به قومك (ولكن انظر الى الجبل)

لما طلبت منى فى الباطن ، وفيه تأكيد لنفى رؤية الذات قطعا لمطمعهم .

فقال : انظر بالعين الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترى ذاتى بعينك ، فهذا هو تأويل الحق الجامع ، لما طلبه موسى ولما طلبه قومه ، فاذا كان معه هذه المندوحة لقومه التى تصلح أن يسامح بظاهرها قومه ، ويصلح لطلب ما هو جائز له ، فأين موضع الضرورة حتى يترك المعنى الجائز ، ويخلص المعنى الى معنى لا يجوز ، وكفر من طلبه حقيقة ليس هذا من الضلال البعيد ، فى وصف موسى عليه السلام فى مذهبه أن رؤية الله مستحيلة ، ووصف الله تعالى بها كفر ، ويهلك المرء مما خطر ذلك بباله ، وعرف المعنى ، ولا يعذر بالشك فى الله بهذه الصفة أنه هو منزه عن ذلك أم لا ، ولا يعذر باعتقاد السؤال مع الشك فى ذلك .

ثم ان صاحب الكشاف أتى فى هذا المعنى بوجهين : أحدهما معناه قريب مما اعتقده هذا الرجل فى موسى فى الباطل ، ورد عليه الجماعة قوله مسامحة لقومه ، أن قوله هذا باطل على قياد مذهبه ، لأن الرؤية باطلة وضلال ، من اعتقدها فلا يجوز له أن يصف موسى أن يتسامح بسؤاله الى الله الباطل والضلال .

وانما يصح له أن لو كان مذهبه مذهب الجماعة المجيزون الرؤية فى الآخرة لعباده المؤمنين ، وأن هذا مما هو محجوج به ، وأن كلامه هذا ما يدل على جواز الرؤية ، والحق ما قاله الجماعة فى أنه محجوج ، وأنه مناقض لقوله : ان رؤية ذات الله باطلة ، أن لو صح ما قاله أن موسى تسامح فى ذلك ليبقذ قومه عن الهلاك الأبدى ، فلا يصح هذا ، لأن الحق لا يقوم بالباطل ، ولا الهدى بالضلال ، مما لهذا المشار اليه ما قاله الزمخشرى ، مما هو محجوج فيه وكلامه يكون عليه .

ثم أتى الزمخشرى بعد ذلك بوجـه آخر من التأويل يصح له ، وأيضـا أن الله سبحانه وتعالى مع ذكره لموسى عليه السـلام فى سؤال ربه أن يريه ينظـر اليه ، لم يذكر معه أنهم هم سألوه ذلك ، ولا تجلى ربه للجبل ، وخر موسى صعقا لم يذكر أيضا قومه ، مع ذكره له تعـالى ما أصابهم ، ولم يذكر أيضا موسى عند سؤاله لربه أن يريه ينظر اليه بعينه قومه ، فلم يشركهم فى ذلك ، فيقول : ربنا أرنا ننظر اليك ، فقيل : لأنه عالم بما سيكون فى الجواب •

واذا جاء المنع له ، فقومه أشـد منعا ، وأقطع لطمعهم ذلك وأبلغ لا يأسهم وهو وجـه صحيح من التأويل ، ويحتمل لـه وجهـا آخـر فيكونا معا ، وذلك أنهم أشركهم فى اللفظ لتوجه السؤال الى ما أرادوه هم منـه لفظا ومعنى ، وذلك كفر صريح ، ولـم يتوجـه الى ما أراده موسى من ربه أن يريه أى ينظر اليه بعينه ، أى الى آية من آيات قدرته خارقة للعادة ، فيها دلالة على رؤية عبادك اليك فى الجنة بصفاتك التى عرفوها فى الدنيا •

وفيها قطع طمعهم عن السؤال فى هذا ، فتأدب فى حضرة ربه أن يشرك فى سؤاله سؤال أهل الجهل والضـلال والباطل ، فلذلك أفـرد السؤال لنفسـه مجردا عما طلبوه الى ما طلبه •

وفيه إيهام لهم على ما طلبوه ، وأنه ربما أنا اذا سـألته لنفسى يكون أبلغ فى الاجابة ، والباطل كمـا ذكرناه فحكى الله عنـه كذلك ونزهه ان يذكر معه سؤال قومه له ونزهه تعالى ان يذكرهم فى تجليه للجبل مع ذكره ، ونزهه تعالى أن يذكر معه ما أصـاب قومه حين ذكره لمـا أصاب موسى ، ونزهه أن يذكر قومه الذين حين بعثهم مع ذكـره تعالى لموسى ، حين أفاق وحين استغفر ، كل هذا ليدل الله تعالى على أن موسى باطنه لم يسـأل ما طلبه منـه قومه ، فكان سؤال موسى فى معزل ، وسؤال قومه فى معزل •

وقوله تعالى : (لن ترانى) أى لا تستطيع أن ترانى بجميع الصفات التى تعرفنى بها فى الدنيا كما ترانى بها فى الآخرة ، ولكن انظر بعينك الى صفة من صفاتى ، وهى القدرة ، فان استطعت فسوف تقدر على ما سألت ، وفيه توهيم لجوابهم بقوله : (لن ترانى) حتى يظنوا قومه أى على ما سألك قومك . انظر الى هذه البلاغة العظيمة ، فان موسى عليم ، وقال هذا كله ، وجاء الجواب على هذا كله ، ولكن ليس فى قدرة موسى أن يأتى بمثل هذا الايجاز ، وانما حكى الله الواقع على معنا .

والآية التى أفرد موسى فيها السؤال لنفسه ، وأفرد الله ذكره فيها قوله تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) للجبل (قال : رب أرنى أنظر اليك قال : لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) .

بيان :

والآيات التى ذكر فيها قومه قال تعالى : (واختار موسى من قومه سبعين رجلا) (فلما كلمه ربه قالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) فلم يذكر سؤال موسى فى هذه الآية تنزيها له ، أنه لم يسأل ربه على معنى ما طلبوه منه ، وقال تعالى : (واذ قلتم يا موسى أرنا الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) أحياهم الله تعالى حين سأل موسى ربه فى إحيائه لهم ، بما حكاه عنه تعالى حين أخذه الخجل من أهلهم ، فيخبرهم بموتهم إلا هو فقال تعالى حاكيا عن ذلك ، وعن تعظيمه للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك بيان أن جميع كتب الله فيها جميع أخبار عن أمور كانت ، وعما يكون منها من ذكر النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وغير ذلك .

قوله تعالى : (واختـار موسى قومه سبعين رجـلا لميقاتنـا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعـل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشـاء وتهـدى من تشـاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين • واكتب لنا فى هذه الدنيـا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـات ويحرم عليهم الخبـائث ويضـع عنهم اصرهـم والأغـلال التى كانت عليهم) والمراد بالرسـول النبى الأمى هـو النبى محمـد صلى الله عليه وسلم وأمته أهل الشكر منهم •

وفى هذه الآية أشـد الايضـاح لما ذكرناه فى بيان السبب الذى لم يشرك موسى قومه فى سؤاله من أى شىء ، وأنه لـم يرد سـؤاله ما أراده قومه ، وأنه لم يطلب ذلك منه كل رجـاله من قومه تعـالى حاكيا عنـه : (أفتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) كيف يسـأل ما طلبه سفهاء قومه ، وهو يعلم أنهم سفهاء فى طلبهم لـذلك ، فيكون مثلهم بالسؤال لهم ينزه نبى الله موسى أن يضمن بسـؤاله لربه ما أضمره قومه من الكفر العظيم •

قال صاحب الكشاف ، فى تأويل هذه الآية : (ولمـا جـاء موسى لميقاتنـا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظـر الى الجبـل فان استقر مكانه فسـوف ترانى فلما تجـلى ربه للجبـل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) لميقاتنا لوقتنا الذى وقتنا له ، وحددنا ومعنى اللام الاختصاص ، كأنه قيل : واختص مجيئه لميقاتنـا ، كما يقول : أتيته لعشر خلون من الشـهر ، وكلمه ربه من غـير واسـطة ، كمـا يكلم الملك ، وتكليمه

أى يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجـرام كما خلقــه مخطوطا فى اللـــوح •

وروى أن موسى عليــه السـلام كان يسـمع المـكلام من كل جهـــة •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة ، وكتب له الألواح ، وقيل : انه كلمه فى أول الأربعين أرنى أنظر اليــك ثانى مفعــول أرنى محذوف ، أى أرنى نفســك أنظر اليك •

فان قلت : الرؤية عن النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك ؟

قلت : معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك ، بأن تتجـلى فأنظر اليك وأراك •

فان قلت : كيف لـن ترانى ولـم يقـل لن تنظـر الى لقــوله : (أنظـر اليــك) •

قلت : لمـا قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤيــة التى هى الادراك ، علم أن الطلبــة هى الرؤية لا النظر الذى لا ادراك معــه ، فقيل : لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى •

فان قلت : فكيف طلب موسى عليه السلام طلبه ذلك ، وهــو من أعلم الناس بالله وصفاته ، وما يجــوز عليه ، وما لا يجــوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك ببعض الحواس ، وذلك انما يصح فيما كان فى جهة ، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ، ومنــع المجبرة احالته فى العقــول غير لازمــة ، لأنــه ليس بأول مكابرتهم • وارتكابهم يكون طالبه ، وقــد قال حين أخــذت الرجفة الذين قالوا :

(أرنا الله جهرة) : (أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا) الى قوله : (تضل بها من تشاء) فتبرأ من فعلهم ، فدعاهم سفهاء وضلالا ؟

قلت : ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا ، وتبرأ من فعلهم ، وليلقمهم الحجر ، وذلك حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم ، وأعلمهم الخطأ ، وبعدهم عن الحق ، فلجوا وتمادوا فى لجاجهم ، وقالوا ولابد ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعوا النص من الله سبحانه وتعالى ، باستحالة ذلك وهو قوله : (لن ترانى) ليتيقنوا وينزاح عنهما ما داخلهم من الشبهة ، فلذلك قال : (رب أرنى أنظر اليك) .

فان قلت : فهلا قال لهم أرهم ينظرون اليك ؟

قلت : لأن الله سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام ، وهم يسمعون ، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه ، كما أسمعه كلامه ، فيسمعوا معه ، ارادة مبنية على قياس فاسد ، فلذلك قال موسى : (أرنى أنظر اليك) ولأنه اذا زجر على طلب وأنكر عليه فى نبوته واختصاصه ، ولزلفته عند الله وقيل له : لن يكون ذلك كان غير أولى بالانكار ، ولأن الرسول امام أمته ، فكان ما يخاطب به ، أو يخاطب راجعا اليهم .

وقوله : (أنظر اليك) وما فيه من معنى المقابلة التى محض التشبيه والتجسيم ، دليل أنه ترجمة عن مقترحهم ، وحكاية لقولهم ، وجل صاحب الحمد أن يجعل الله منظورا اليه ، مقابلا بحاسة النظر ، فكيف بمن هو أعرف بمعرفة الله من واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام وأبى الهذيل ، والشيخين وجميع المتكلمين .

فان قلت : ما معنى لن ؟

قلت : تأكيد النفى الذى تعطيه لا ، وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول : لا أفعل هذا ، فاذا أكدت فيها قلت : لن أفعل غدا ، والمعنى أن فعله ينافى كقوله تعالى : (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) فقوله : (لا تدركه الأبصار) نفى للرؤية فيما يستقبل و (لن ترانى) تأكيد وبيان ، لأن المنفى مناف لصفاته •

فان قلت : كيف أفضل الاستدراك فى قوله : (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله •

قلت : اتصل به معنى أن النظر الى محال فلا تطلبه ، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر الى الجبل الذى يرجف بك ، وبمن طلبت الرؤية لأجلهم ، كيف أفعل به ، وكيف أجعله دكا طلبك الرؤية ، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره ، كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه فى قوله تعالى : (وتخر الجبال هدا • أن دعوا للرحمن ولدا • وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) •

(فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا فى جهاته (فسوف ترانى) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه ، حين يدكه دكا ، ويسويه بالأرض ، وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض ، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع •

ألا ترى كيف تخلص من النظر على الشريطة فى وجود الرؤية ، أعنى قوله تعالى ، ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة لسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية ، أعنى قوله تعالى : (فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل) فلما ظهر له القدرة واقتداره ، وتصدى له أمره وارادته ، جعله دكا أى مدكوكا مصدر

ومعنى مفعول ، كضرب الأمير ، والدك والدق أخوان كالشك والشق ، وقرىء دكا والدكاء اسم الرابية الناشزة من الأرض ، كالدكة من الأرض دكا مستوية ، ومنهم قولهم : ناقة دكاء متواضعة السنام .

وعن الشعبى : قال لى الربيع بن خيثم : ابسط يدك دكاء أى مدها مستوية ، وقرأ يحيى بن وثاب دكا أى قطعا دكا جمع دكاء ، (وخر موسى صعقا) من هول ما رأى ، وصعق من باب فعلته ففعل ، يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقه ، ويقال لها : الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ، ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت .

وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه ، فجعلوا يوكزونه ينكرونه بأرجلهم ويقولون له : يا بن النساء الحيض ، أطمعت فى رؤية رب العزة ، (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك ليس بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس .

فان قلت : ان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب ؟

قلت : من اجرائه تلك المقالة العظيمة ، وان كان لغرض صحيح على لسانه ، من غير اذن من الله تعالى ، فانظر الى اعظام الله من الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها ، وجعله دكا ، وكيف أصعقهم ، ولم يخل كليمه من نفيان ذلك النفيان رشاش المطر مبالغة فى اعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجئا اليه ، وتاب من اجراء تلك الكلمة ، وقال : (وأنا أول المؤمنين) ثم تعجب من المقسمين بالاسلام ، المقسمين بأهل السنة والجماعة ، كيف اتخذوا هذه

العظيمة مذهبا ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فانهـا من منصـوبات أشياخهم ، والقول ما قال بعض العدلية فيهم شعرا :

لجمـاعة سـموا هواهـم سـنة
وجمـاعة حمـر لعمـرى موكفـه

قـد شـبهوه بخلقـه وتخـوفوا
شـنع الـورى وتسـتروا بالبلكفـه

وتفسير آخـر : وهو أن يريد بقوله : (أرنى أنظر اليك) عرفنى نفسـك تعريفا واضحا ، قال : كأنها اراءة فى خلائهـا بآية من آيـات القيـامة التى تضطر الخلق الى معرفتك ، (أنظر اليك) أعرفك معرفة اضطرار كأنى (أنظر اليك) لمـا جـاء فى الحديث : « سترون ربكم كمـا ترون القمر ليلة البـدر » معنى ستعرفونه معـرفة جلية هى فى الجـلاء كإبصارهم كم القمـر اذا امتلأ واسـتوى •

(قال لن ترانى) أى لا تطيق معرفتى على هذه الطريقة ، ولـن يحتمل قوتك تلك الآية المضطرة (ولكن انظر الى الجبـل) فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات ، فان ثبت لتجليهـا أى استقر مكانه ، ولم يتضعضع ، فسوف ترانى يثبت لهـا وتطيقهـا (فلما تجلى ربـه للجبـل) فلما ظهرت له آيات قدرته وعظمته (جعـله دكا وخر موسى صعقا) لعظم ما رآى (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك) مما اقترحت وتجاسرت (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك ، وأنت شىء لا يقوم لنطقـك لبأسـك •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان : ان الحق من تأويله هذا الوجه الأخير ، وأيضا فلا يصح معى فيمـا رواه من مرور الملائكة على موسى عليهم السـلام ، وقولهم له ما حكاه عنهم : لأن موسى عليه السـلام

لن يسأل ربه ما هو غير جائز له ، ولم يقصد لسؤاله فى اعتقاده إلا أن يريه أن ينظر اليه بعينه ، لا الى آية يشاهدها منه بعينيه ، فهى رؤية العين الى الله ، أى رؤيتها الى آية خارقة للعادة .

فيها قطع طمعه لقومه عما طلبوه ، وفيها دلالة على نظره اليه بجميع صفاته تعالى التى عرفها به فى الحياة الدنيا ، فى كل لحظة فى الآخرة على صفة ، نظر عباده اليه فى الآخرة بالحضور اليه بصفاته ، لا بالنظر الى ذاته ، هكذا سؤاله وطلبه فى الباطن وفى الظاهر ، فى لفظة مندوحة لقومه ، وفى كلا الحالين غير ممكن ، فأما رؤية الذات على ما طلب قومه فهو باطل ، ولا جواب له إلا المنع عن طلب ذلك .

وأما ما طلبه موسى فى الباطن فعقله الذى جعله له فى هذه الحياة الدنيا ، لا يستطيع ، وكلا الحالين جوابه لن ترانى ، ولما تجلى له بصفة من صفاته وهى صفة القدرة خر موسى صعقا .

وأما قومه ، وهم السبعون الذى اختارهم ، ماتوا جميعا ، ثم أحياهم الله بعد موتهم ، قوله تعالى .

قال المرازى على معنى قوله فى تفسيره لقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة) أن النظر معناه غير الرؤية ، فلا يقصر اطلاقه على نظر العين ، لأنه يجوز فى الأعمى أن يقال : فلان الأعمى ناظر الى فلان كثيرا بعين الرضا ، أو بعين المودة ، أو بعين الاحسان ، والمراعاة الحسنة ، أو بعين الغضب ، أو بعين الحسد وما أشبه ذلك .

ويجوز فى صفات الله أن يقال : ان الله تعالى لا يرى الكافر فى الدنيا ، ولا يراه يوم القيامة وذلك باطل ، ولا يسمع جهل باطل

ذلك فى صفات الله ، لأنه مما يدل معنـاه على أنه قـد خفى عليـه شخصه ، فلم يعلم به وبذاته ، ولم يعلمه أين هو ، فصـار جاهلا بعلمه فيه وهذا باطـل •

قلت : وعلى هذا من احتج بهذه الآية على ثبوت صحة رؤية اللـه فى الجنة ، واذا كان كذلك فكذلك الرؤية ، لا تقصر على رؤية العـين فقط ، كقوله تعالى : (ألم تر الى ربـك كيف مد الظل) ونحن لـم نر اللـه يمـد الظل ، وانما رأينـا الظل يمـده الله •

فان قيل : رجع ذلك الى رؤية النظر ، فيقول : أرأيت الله تعـالى يقول فى كتابه كذا وكذا ، ورأيت فلانا يقول فى كتابه كذا وكذا وهـو أعمى ، وانما سمع ذلك •

وقال تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون) (أفرأيتم ما تمنون) (أفرأيتم النـار التى تورون) هو خطـاب عام الأعمى العين ، وللناظر بهـا ، فلم تنحصر به الدلالة على رؤية صحة العين لذات اللـه بهـذا اللفظ ، لاشتراكه فى رؤية العـين ، ورؤية العـلم بالشىء بالسـماع أو العقل فاعرف ذلك •

*** مسـألة :**

وأما رواية الجماعة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتضامون » وفى رواية : « لا تضارون فى رؤية الله انكم لترون ربكم فى الآخـرة كما ترون القمر ليلة البدر » •

ومع أصحابنا أن كان رؤية رؤيت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يحتمل لها مخرج إلا الى الباطل الذى لا يجـوز فيه الاختلاف ، لم يجز إلا أن تكون باطلة مما كذب به على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وان احتمـل لها تأويل على الحق ، فلا يجـوز ردها •

ومعنى أن هذه الرواية يصح أن يكون لها وجوه حق من التأويلات ، وعلى ما هى عليه من قوة ألفاظها ، وكثرة معانيهـا ، حتى يـكاد أن تكون آيـة معجزة لا يـكاد العباد أن يحيطوا بهـا بجميع معانيهـا ، ولا أن يأتوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ويكاد لظهورها كذلك بين العلماء أن لا يجوز انكارها ، لأن كل من كان عالما بقوانين البلاغة والفصاحة ، ونظر بنـور العقـل النورانى ، يعلم أن هذه الرؤية من المعجـزات التى لا قـدرة للبشر غـير النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتى بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ومن تفصيل معنى من معانيهـا أنه مثل صلى اللـه عليـه وسلم رؤية العباد الى الله تعالى مثل القمر من حين يومه هلالا ، على زيادته فى كل لحظة إلا أن يكون بدرا وهى الغاية التى لا يمكن أن تـرى أكثر من يومه ذلك ، وعلى تفاوت الناس فى قوة نظرهم وضعفه ، وهذا أمر لا يحصيه أى التفاوت بين الرأى والمرئى إلا الله تعالى •

فأهل الجهل هم أهل الغى الذين لا ينظرون البدر ، وأهل الهدى هم الناظرون الى اللـه على تفاوت النظر تمثيلا للهـلال الى أن يصير قمرا ، وفى الآخـرة تمثيلا بالقمر فى حالة ابداره ، يدل بذلك أن رؤيتهم الى الله تامة كاملة على عبد كعبد يـرى ربه بصفاته بقـوة الحضور ، مع الله تعالى بكل صفة لله عرفه بهـا فى كل لحظة ، إذ لا يصـح فى الآخـرة فى الجنة أن يغفل عبدا فيها من عبيده تعالى عن ذكره يغفـله لحظة ، ولا أن يزيد عليـه الحضور تارة ، وينقص أخـرى ، ولا يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى •

لأن له فيها ما تتمناه نفسه ، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله ، وأن لا يغفل عن ذكرها لربها طرفة عين ، لأنها هى أهم شىء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطاوبهم ، وهى ألذ نعمة ، وأشد لذة ، وأعظم حلاوة فى النفس ، فهى أعظم لذات الجنان ، وأعظم من لذة الخلود فى الجنان ، ولو أمكن حصر نعم الجنان كلها على كونها بلا نهاية ما ساوت لذة لحظة من لذة الحضور الذكرى العقلى مع الله تعالى ، بجميع صفاته التى عرفها به ، لأن الله تعالى ليس لصفاته نهاية ، ولكن بما قدر عرفه العبد به ، ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ، ما كانت الجنة جنة ، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة ، وما بلغهم الله مناهم فى الدنيا ، وهذه الرؤية من المؤمنين فى الجنة ، هى رؤيتهم الى ربهم الذى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤية للذات فالقول برؤيته كفر عظيم •

وتتفاوت هذه اللذة من هذه اللذة فى الجنان وشدتها ، على تفاوت نظرهم الى الله تعالى فى الدنيا ، وعبادتهم وصفاء قلوبهم ، وقوة عزمهم ، وشدة حبهم لربهم ، وقوة ايمانهم الى غير ذلك •

ولكن كل منهم ما يعلم ما بصاحبه ، وكل منهم عقله كذلك حاضر مع تجميع صفاتها التى عرفها به ، فى كل لحظة لا يزيد ولا ينقص ، فالكل يعمهم التمثيل بالنظر الى البدر تام نوره ، تام نظر الناظر اليه ، وفى هذه الرواية دليل واضح أن رؤية المؤمنين الى الله فى الآخرة ، رؤيتهم اليه فى الدنيا ، ولكن رؤية العباد الى الله فى الدنيا رؤية ضعيفة ، لأن البدر هو عين القمر لا غير ، والقمر هو غير الهلال لا غير والمرئى هو شىء واحد ، والنظر الواحد اليه فى حالة هلالا ، وفى حالة قمرا ، وفى حالة بدرا هو واحد ، ولا فرق إلا بتزايد نوره من نور الشمس فيه أيضا •

ومن المعلوم أن رؤية المؤمنين الى ربهم فى الدنيا ، ليس هى شىء غير رؤيته بصفاته من أفعاله فى المحدثات ، لا الى اللذات ، فكذلك رؤيته فى الآخرة الى اللذات ، وانما هى بالصفات من أفعاله تعالى التى يتشاهدونها فى الآخرة ، ما لو رأوه فى الدنيا بصفة واحدة لهلكوا ، كما رآه قوم موسى عليه السلام وموسى ، فماتوا ، وخر موسى صعقا ، والنظر فى الأصل من القمر من النور ، ومن زيادات نوره : وانما هو النظر الى جرم القمر من النور الى جرم القمر ، وقوة الزيادة بنظر الناظر الى القمر عن نظره هلالا ، إنما هو نظر النور لا زيادة تحقق نظره الى جرمه •

وكذلك نظره بدرا ، ولا شك أنه كلما ازداد نوره ازداد نور أقصر نظر الناظر عن نظر جرمه أكثر مما كان قبل أن يتم نوره كذلك •

فكذلك كلما قويت رؤية العبد الى ربه بصفات من أفعاله تعالى ، قويت معرفته بربه أن ذاته تعالى لا ترى ، ولا يجوز أن يوصف أنه يرى إلا بالعقل ، ولا بالعين ، لأنه هو شىء لا يرى ، فجميع هذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية الموجز المنجزة المعجزة لكل البشر أن يأتوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

فان قيل : ما الدليل على ضعف هذه الرؤية فى الدنيا ، وما أضعفها إلا ألفة العباد لها ، وما الدليل على امكان زيادة قوتها ، حتى تصور ذلك كل من أراد أن يصوره ، فيسوغ صحة ذلك فى عقله ؟

قلنا : فلك فى ذلك مثل من نظر العبد الى ربه بقوة حضور عقله اليه من صفته أنه كريم محسن لعباده ، فيكون من جهة الاحسان ما حالك يكون ، ولو كنت فى موضع تعبد الله تعالى ، وما تدرى أنك مجاب الدعوة ، وما يدرى بك أحد ، ثم أصاب أهل بلدك جدب

شديد ، أضر بالعباد ضرا عظيما ، وخرج الناس الى الاستقاء ، وتقربوا الى الله بالدعاء ، والتضرع والابتهال ، والصلاة وبذل المال الى غير ذلك من أنواع الوسائل الى الله ذى الجلال والاكرام ، وبكثرة السؤال ، وغفلوا أن يأخذوك معهم ، ولم يزدهم ذلك إلا شدة فيما هم فيه ، وعليه من ضعف الحال •

ثم قال أحدهم : ألا أئنبئكم بمن يسقيكم الله بدعائه ، ودلهم عليك ، فأتوك وأعينهم تفيض من الدمع من نظرهم الى صبيانهم ، وضعف حالهم ، والى عجائزهم والشيوخ منهم ، والى أطفالهم يبكون من ضرر يجدونه فيهم ، كان سببه من شدة الجدب ، وتوضأت ودخلت المسجد ، وصليت ركعتين لله تعالى ، ثم دعوت الله تعالى ، وسألته أن يسقيهم ، فحين وصلت نصف تلاوة دعائك بقلبك ، وأنت ساجد بعد انقضاء الركعتين ، فأنشأ الله سحابا متراكما بعضه فوق بعض ، واشتدت لوامع البروق ، ما خافت الناس على أنفسها أن يهلكها ، وأموالها أن يحرقها ، ودورها أن يهدمها ، وجبالها أن يدكها ، وصمت الأذان من صواعق الرعود ، حتى تزلزلت الأرض والجبال من شدة الصواعق ، ونزل الماء من السماء حتى كادت الدوران يحملها ، وخافت النفوس أن يحملها ، وأن يذهب بالأموال من أرضها أن ينزعها ، وقالوا : هلكنا لا محالة ان لم تدعُ الله وتسأله أن يخففه عنا ، فسجدت ثانية وهم ينظرونك ، وسألت الله ما طلبوا ، فاستجاب الله فى الحين ، وانصرفوا شاكرين لله ثم لك ، وخصبت ديارهم كما أحيوا ، فما يكون حالك حينئذ مع الله تعالى •

أما تستعظم نعمته اليك بهذه ، وتستحى منه ، ويكون حضورك مع الله حين وجود هذه الكرامة لك أعظم مما كنت فيه مع الحضور مع الله تعالى قبل هذا ، ولابد وأن تعرف بهذا التصوير أن رؤية العبد لربه تزيد أحوالا ، وتنقص أحوالا ، وتعظم عند مشاهدة

الكرامة له من الله تعالى ، الخارقة للعادة ولا شك أن الألفة بالاحسان تضعف قوة النظر الى من كان منه ، لأنك لو فكرت لوجدت أن فضل الله تعالى لك ، اذ جعلك عاقلا ، وعرفك به ، وجعلك من المسلمين ، وعلمك ما يجب عليك له ، ووفقك على فعله هو أعظم كرامة لك من الله ، من تلك الكرامة التى ضربناها مثلا ، ولم يستعظمها عقلك استعظاما يشتد به الحضور الى الله ، بمثل تلك الكرامة •

وكذلك النبى موسى عليه السلام ، اندهش عقله من نظره الى اندكاك الجبل حتى خر صعقا ، ولم يندهش عقله من نظره الى السماء ، وما فيها والى الهوى ، وما يتكون من سحاب وبروق وأمطار ، ثم يكون الجو صحوا كما كان ، ولا شك أن هذه الآيات ليس اندكاك الجبل بأعظم منها ، ان لم تكن هى أعظم منه آية ، لولا المؤالفة فصح جميع ما قلناه •

وان جميع هذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية ، وأن معانيها بحر ولا ساحل له ولا قعر ، وأنها لا شكر من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بالرؤية هى على ما ذكرناه ، بدليل منها عليها ، وأنه ليس كما أولها القوم من رؤية الذات ، وأن رؤية الذات باطلة ، ولا يجوز القول بوجود كونها وان ذلك كفر •

قال الشيخ النسفى : أما برهان وجوده تعالى ، فحدوث العالم ، لأنه لو لم يكن محدثا بلا حدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين ، مساويا لصاحبه ، راجحا عليه بلا سبب ، وهو محال من الشرح ، أى لو أحدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين ، أى الوجود من غير ترجيح ، ومعنى ذلك أن الوجود والعدم هما على حد سواء من غير ترجيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أوضح من هذا الكلام أن يقال : كيف يقـدر أن يحدث الشيء نفسه ، وهو قبل كونه شيئا ليس بشيء ؟

دل على المحـدث له غيره وهو الله تعالى ، فحـدوث العالم يدل على وجود الصانع القديم ، الموجود بغير ايجاد موجد له ، والا تسلسل وأدى الى المحال والعـدم ، محدوث ، وهو وجود وضـد العـدم ، وهو الوجود محـدوث أيضا ، فأيهما الخالق لنفسه قبل وجوده ، فدل على محال ذلك • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : ان قولهما فى هـذه المسـألة الأخيرة التى فى حدوث العالم كله صـحيح ، ولقد جاء فى الجـواب لموافقتهما الحق والصـواب ، والله أعـلم •

وأما تلخيص القول فى المسائل السابقة ، فان فى كل منها محـلا للنظر ، ومجالا للتأمل لمن أمده الله تعـالى بالفهم ، ورزقه شيء من العلم ، وعلى قلة ما بى من الفطنة ، واعترافى بالعجز والقصـور ، فى أكثر الأمور ، فانى قد تأملت فيما قاله صاحب الكشاف ، من جـواز الوجهين فى سؤال الرؤية لموسى عليه السلام ، فلم أجـد فى أحدهمـا ما يدل على خروجه من الصـواب ، ولا مخالفته للسـنة والكتـاب ، وما رفعـه الشيخ عمن كان مكبا على قراءة الكشـاف من ادعائه أن موسى عليه السلام سأل الرؤية حقيقة •

فالزمخشرى لم يقـل بذلك ، وهو برىء من عهدته ، وانمـا صرح بأنـه سأل الرؤية ليسكت قومه ويلقمهم الحجـر ، ويتبرأ من فعلهم ، ويبين له فساد اقتراحهم وطلبتهم ، وهـذا مناف لدعوى أنه سألها ، وهو يريد ذلك حقيقة ، وكيف يظن به هـذا مع قـوله : لم يسـألها

الا ليتبرأ من فعلهم مع تصريحه فى غير موضع ، بأن موسى عليه السلام كان أعلم بالله من أن يجوز عليه الظاهر ، لكن ظاهر السؤال يوهم أنه طلب حقيقة الرؤية ، ولهذا كان من أعظم ما يحتج به المخالفون فى شبههم على جوازها على الله تعالى ، وجملة أكثر أهل العام من أصحابنا على الوجه الثانى لقربه من أفهام العامة هربا من الاشكال المتصور من نفس سؤال الرؤية على ظاهر اللفظ ، والوجه الأول أصح فى النظر ، وأليق بالمحل لأنه المطابق للغرض ، والملائم للمقصود ، والكلام قد يعدل به عن المعنى الظاهر اذا اقتضى له المحل معنى آخر التوبة ، ويكتفى بالقرائن فى ذلك •

ومثال الأمر وأن الدعاء كله فى ظاهر الأمر متحد الصورة لفظا ، ولكنه مختلف معنى بالقرائن الدالة عليه ، فقوله : (كلوا واشربوا) يفيد الاباحة ، (وأتموا الحج والعمرة لله) يفيد الوجوب ، (واعملوا ما شئتم) يفيد الوعيد والتهدد ، (واقض ما أنت قاض) يفيد اظهار القوة والتجلد ، وهاتان الصورتان لا يراد بهما معنى الأمر أصلا ، فان الله تعالى يأمر بفعل ما شاءه من المعاصى ان الله لا يأمر بالسوء والفحشاء •

وكذلك السحرة ، لم يأمروا فرعون بفعل ما فعله بهم ، لعدم جوازه فى دين الله قطعا ، وانما أرادوا بذلك اظهار قوتهم فى الدين ، وبيان تصلبهم فيه ، وعدم مبالاتهم بما لا يصنع فيهم فى هذه الحياة الفانية ، التى لا يعدونها شيئا ، وربما كان ذلك من غيرهم لاظهار الاذعان والخضوع وارادة الترحم لا غير ، وهكذا فى سائر المعانى •

فاذا كان سؤال الرؤية من موسى عليه السلام انما جاء لمعنى اسماع قومه الجواب عن الله تعالى بالمنع ، فهو الغرض الكافى فى جواز سؤالها •

ولم يكن سؤاله اياها على هذه الحالة باطلا ، ولا كفرا ولا ضلالا ، وانمـــا يكون حقا ، وهدى وصوابا ، وليس هو بمحجوج فى ذلك ، كما توهم الشيخ وفاقا للجماعة من أهل الســـنة ، وليس كلما أمكنت المناديح فيه ، كانت واجبة كما قاله ، بل قد تكون واجبة مرة ، وفاضـــلة طورا ، ومفضـــولة أخرى ، فهى كغيرها من القـــول المتنوع فى الأحـــكام على ما تقتضـــيه من الأقسام •

فقد يكون العدول عنهـــا الى التصريح بالحقائق أولى ، وان كان ظاهرها الكفر اذا اقتضاها المقام لغرض صحيح ، ولـــكن الغوص على حقائق مثل هـــذه المعانى ، ربما لا يقتدر عليه الا بعض الفرسان من علماء المعانى والبيان •

وشاهد هـــذا قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : (**فلما** جن عليه الليل رأى كوكبا قال هـــذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين • فلما رأى القمر بازغا قال هـــذا ربى فلما أفل قـــال لئن لم يهـــدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هـــذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون) فانظر كيف جاز لابراهيم عليه السلام أن يتكلم بلفظة الشرك ثلاث مرات ، مخبرا بهـــا عن نفسه ، من غـــير مندوحة ، ولا فى موضـــع تقية على نفس ولا دين ولا مال ، وليس هو مجبرا على ذلك ، ولا مأخوذا به ، وقـــد كان له فى الاحتجاج بغير هـــذا مجال رحب وسعة ، وقد احتج عليهم بغيره فى غـــير مرة ، كما صرح به فى كتاب الله تعـــالى ، ولكن برأى خطابهم على هـــذا الأسلوب ، والجرى معهم على هذه الطريقة أقطع لحجتهم ، وأدمـــغ لكلمتهم ، وأبلغ لتبكيتهم ، وأوضـــح لاعجازهم ، فأثنى الله عليه بذلك ، وحـــكى ما قاله هنالك •

وقال تأييدا له : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) واذا كانت كلمة ابراهيم عليه السلام بالشرك الصريح ، لمـــا كانت مسوقة

لهـدم قواعد الشرك ، ومقولة لايضـاح الحق لم تسم شركا لفظـا ولا معنى ولا عقـلا ولا حـكما ، فكيف يصـح فى مقالة موسى عليه السلام ، اذا كان مقصـده بها تبكيت قومه ، واقامة الحجـة عليهم ، بسـماع المنع من الله تعالى أن تكون باطلة وهى نفس الحق المبين •

فموسى الكليم ، وابراهيم الخليـل فى أحـكام الحق سـواء ، وكلمتاهما فى أحـكام الظاهر ممنوعتان سواء ، ولكنهما كانتا مسـوقتين لازهاق الباطل ، واثبات الحق ، فهما فى معنى الجواز سواء ، أم يجوز الفرق بينهما ، ولا فرق عند من عرف الحق ، فهما نفس الصـواب ، وحقيقة الهدى ، ولا يكاد يصـدر مثلهما الا عن منصب النبوة ، ولكن ربما يخفى ضـياء النهار ، على بعض الأبصـار ولله در من قـال :

واذا كنت بالمـدارج غـرا
ثـم أبصـرت حاذقـا لا تمـارى
واذا لم تر الهـلال فسـلم
لأناس رأوه بالأبصـار

فان قلت : كيف يسوغ التشبيه والاحتجاج بقصة ابراهيم عليـه السلام فى هـذه الآية الشريفة ، وقـد اختلف المفسرون فى تأويلها ؟

قلنا : ان الوجه الحق فيهـا ما قلناه ، وهو عمـدة المحققين ، وقول المنصـفين ، ولكن القوم لمـا لم يقتدروا على استخراج زبدها ، قال قائل منهم : ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك فى صـباه ، وهـذا باطل ، لأن حـكاية الشرك لا معنى لها عن صبى ولا بالغ لغير فائدة ، وأى فائدة فى تجهيل الخليل عليـه السلام ، وحـكاية الشرك عنه فى صـباه •

وقال آخرون : انه قالهـا على معنى الاسـتفهام ايهاما لقومه ، وليس بالقـوى •

وقـال بعض : تقـديره (قال هـذا ربى) بزعمكم وليس بشىء لعـدم الدلالة •

وقال بعضهم : تقديرة يقولون هـذا ربى ولا دليل عليه أيضـا فليس الوجـه الا الأول ولهذا فان نقيب المفسرين وامامهم فى المعانى والبيان ، العلامة الزمخشرى لم يذكر غيره ، ولم يلتفت الى سواه ، وبهـذا كفاية ، والله أعـلم •

فصـــل

وأما ما ذكره من شرح الحديث الذى يرويه أهل السنة والجماعة ، فى رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، فينبغى النظر فيه من وجـوه ، أحـدها تشبيه مراتب الناس بالتدريج من كونه هلالا ، الى أن يكون قمرا ، ثم بدرا ، وتشبيه أهل الجهل بالعمى الذين لا ينظرون أصـلا ، وليس هـذا مما دل عليه هـذا الحديث لفظـا ولا معنى ، فليس فى الحـديث الا رؤية الله ضرورة لا يمكن انكارها ، كما لا يمكن المبصر انكار البـدر المتجلى له فى ليـلة تمامه ، والمراد أنه لا يمكن أحـدا فى يوم القيامة انكار معرفة الله تعالى •

(اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العـذاب وتقطعت بهم الأسباب) ، (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) (وألقوا الى الله يومئـذ السـلم وضـل عنهم ما كانوا يفترون) فلم يبق فى القيامة موحد ولا مشرك الا وقد رأى اللـه بمعنى عرفه رؤية ضرورية لا يمكنه انكارها ولا دفعها كما لا ينكر المبصر انكار رؤية البدر المتجلى له وما زاد على هذا من عبارات شيخنا ، فهى من آثاره أوردها باعتباره ، وليس هى من هـذا الحـديث فى شىء ، وكأنها فى الأصل من العبارات

الصـوفية التى ذكرها بعض شراح ديوان ابن الفارض فى القصـيدة الخمرية ، فلينظر فيهـا .

وثانيها قوله : اذ لا يصـح فى الآخرة فى الجنة أن يغفل عبـد فيهـا من عبيده تعالى عن ذكره بعقـله لحظـة ، ولا أن يزيد عليه الحضـور تارة ، وتنقض أخرى ، ولا أن يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصـفة أخرى ، لأن له فيهـا ما تتمنى نفسـه ، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله ، وأن لا تغفـل عن ذكرها طرفة عين ، لأنهـا هى أهم شىء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطلوبهم . انتهى .

وليس فى كتاب الله تعالى ، ولا فى الحـديث عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هـذا ، قال الله تعالى : (ان أصحاب الجنـة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيهـا فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم) ولم يقل أهل الجنـة بغير الله ، لا يشتغلون ولا أنه فى الذكر له متبتلون ، ولا أنهم بذلك مخاطبون ، ولا أنه لا يمكن غفلتهم طرفة عين عن جميع صـفاته تعالى ، ولا أنهم دائمون على التنعم بحضرات التقدس بجميع الأسماء والصـفات فى كل حالة ، ولو كان الأمر كذلك لجاء به معظم آيات القرآن ، لأنه أشرف الأشياء وأجلها عند الله ، وأعظمها قـدرا ، ولكان ذكر غيره من الأنهار المطردة .

والأزواج المطهرة ، واللحوم الشـهية ، والفواكه اللذيذة ، وما شبهها من النعم لا يذكر الا بعدها بحكم التبعية ولكن هـذا ما لا دليل عليـه البتة وانما هو من عبارات المتصـوفة ، ومقـالات الرهبان من النصارى ، كما وجدناه فى بعض الكتب الفرنسيسية ، محتجا بذلك على أن التزويج فى الجنة غير ممكن ، وان ذكر الأزواج فى القرآن ليس على

ظاهره ، لأنها لا ينبغى أن يكون محلا للشـــهوات ، وانما هى لكمال معرفة الله تعالى والانقطاع اليه ، ولكن هـذا باطل •

وجملة القول هاهنا أن الله غنى كريم ، وأن فضـــل الله واسع عظيم ، وقد سبق فى وعـــده الصادق ، وأن لكل أحـــد فيها ما تشتهى نفســـه ، وتلذ عينه ، فيجـوز أن تختلف منهم الشـــهوات ، وتتنوع الارادات •

فمن كان همته فى الحضرات القدسية ، والواردات الالهية ، فهى هناك أتم وأكمل وأعظم وأجزل ، فما نحن بمنكرين لذلك ، أو شىء منه فى حق بعض المقربين ، وانما أنكرناه لزوم ذلك ، وعـــدم امكان غيره هنالك ، لعـــدم الدليل عليه ، ولأن ظاهر القرآن خلافه ، ولا يلتفت الى مقـــالات المتصـــوفين •

وثانيها قوله : ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ما كانت الجنة جنـــة ، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة • انتهى •

وهـــذا أيضا لا دليل عليه ، والقول فيه كما ســـبق ، وقد جرى الشيخ فى هـــذه المسألة الى آخرها مع هـــذا المنوال ، والقول فيه كله واحـــد ، فلا حاجة الى تكرار المقـــال ، وكفى به فى هـــذا الموضـــع ، والله أعـــلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : فى المشبه اذا جسم ماذا عليه ؟

الجـــواب :

يختلف فيه : قيل : كافر نعمة ، وقيل : مشرك ، وأكثر القول أنه مشرك على هـــذه الصـــفة ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : ما تقول أيجوز أن يقول الرجل : يعلم الله بعلمه أم لا ؟

الجواب :

قيل بجوازه ، وقيل بمنعه ، وقيل بجوازه لمن عرف حقيقة معناه ، والا فالمنع ، ويجوز القول بجوازه الا لمن يعتقد فيه معنى لا يجوز ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما حقيقة معناه ، وما الذى لا يجوز الاعتقاد فيه من ذلك .

الجواب :

من اعتقد فيه أنه يعلم بعلم هو غيره ، فقد جعله محتاجا لغيره ، وجعله محتاجا للحوادث ، وهذا لا يجوز ، ومن عرف أن علم الله صفة من صفاته الذاتية ، وهى هو فليست هى غيره ، ولا هى شيئا زائدا عليه ، فالقول بذلك جائز ، ويكون سبيلها كسبيل القول بأنه يعلم بذاته لا غير ، والله أعلم .

*** مسألة :**

وهل يجوز أن يدعى الله تعالى يا نور بغير اضافة تفضل علينا بالجواب مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

انى لا أحفظ فى ذلك شيئا ، ولا يعجبنى الا أن يكون بالاضافة ، فيقال يا نور السموات والأرض ، والله أعلم .

فانظر شيخنا فى هذا وذلك ، ثم لا تأخذ منه الا الحق .

فهرس

الصفحة

بــــاب :

في العلم وفي طلب العلم وفي العــلم النافع وفي خلق القرآن والناســخ والمنســوخ منــه وشــواهدها من كتــاب الله تعــالى ١٠

بــــاب :

في التوحيــد وما يجــوز من الصفات لله تعــالى وما لا يجــوز حقيقة ومجازا ١٧٥

Bibliotheca Alexandrina
0206189